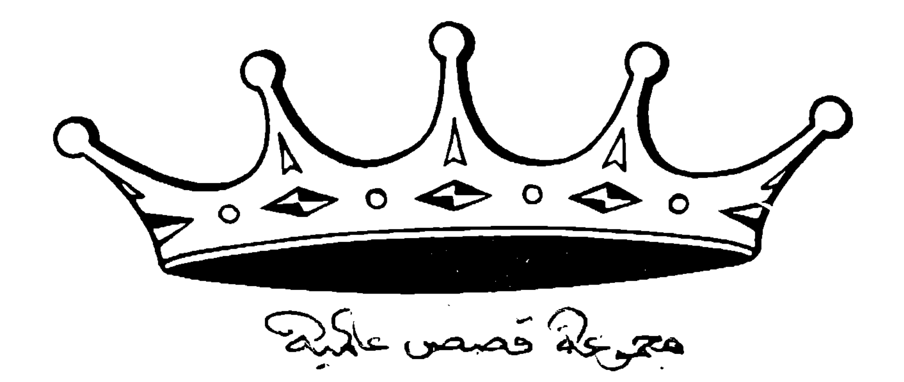

عالم الملوك
إعداد : طاهر محمد القصب



مجموعة قصص عالمية

عالم الملوك

اعداد

طاهر محمد القصاب



بغداد - ١٩٨٤

فليب اورليان

الأمير الأنثى ؟

لو عاش هذا الرجل زمن عمر ابن الخطاب يا أخي القاريء . او في زمن حفيده عمر بن عبدالعزيز .. لنفي كما نفـــي ســـواه مـــن ... الخلعاء ..

فيليب اورليان .. شقيق لويس الرابع عشر .

★ ★ ★

جاء زمن على اوروبا .

لايجلس على عرش مملكة أو امارة فيها ، سوى من أنحـــدر أو انحدرت من صلب فيليب هذا . لا لشيء ، سوى ان الرجل قد انجب عددا طيبا من الامراء والاميرات من زوجاته الثلاث ، وعشيقاته السبع ! .

★ ★ ★

ف .. من ذريته :

بودوان ، ملك بلجيكا .

دون كارلوس ، ملك أسبانيا .

أمبرتو ، ملك ايطاليا .

اوتو هابسبيرك ، ملك النمسا .

وكثيرون وكثيرات غير هؤلاء من أمراء وأميرات بلغاريا والبرتغـال وأنكلترا . ومع هذه الخصوبة الفريدة . فقد كان فيليب اورليان ، مولعا بالتشبه بالنساء ! .

يرتدي ثيابهن • ويتحلى بحليهن وزينتهن • ويتكلم بطريقتهن • ولا يستحي ، من أن يغازله الرجال أيضا كما يغازلهن • حتى اسموه في أوروبا سرا وعلانية الامير الانثى ! •

ولكن لقبه الرسمي الذي أطلقه عليه أخوه (عامدا) ليفرق بينه وبين سواه من أمراء المملكة الاسوياء •• لقب الانسة ! •

★ ★ ★

من المؤكد ••

ان اخاه الملك لويس الرابع عشر ، كان وراء هذا الانحراف الخلقي لاخيه • شجعه ، وأسهم في تغذيته ، ولم يعاقب احدا رمى به أخاه حتى في حضرته • وليس أقدر من ياوره الخاص السيد لابورت ، على ان يعطينا فكرة واضحة ، عن الظروف التي أسهمت في أنحراف فيليب اورليان • يقول لابورت :

ـ لا احد ياسيدي ، يجهل ميول لويس الرابع عشر الاستبدادية • فقد كان يخشى أخاه على عرشه كل الخشية •

وفي تلك الايام كانت مطاولة الملك ، تتوقف على مؤازرة البلاط والنبلاء لهذا او لذاك من أفراد الاسرة المالكة • وكان أبوه لويس السادس عشر ، قد لقي الامرين من أخيه التوأم الذي لم يكف يوما عن المطالبة بالعرش بحجة انه ولد قبل أخيه بثلاث دقائق •

ولهذا ، كان لويس الرابع عشر يكره أخاه ويخشى على تاجه منه منذ كانا صغيرين ولويس ملكا تحت وصاية أمه والبغضاء تنمو في قلب كل منهما للاخر • ولا انسى ما كان ينجم بينهما من شجار صباح كل يوم فور قيامهما من النوم •

كانا يناماں في غرفة واحدة حسب اوامر الملكة الوصية وصاحبها الكاردينال ميترا فاذا ما افاقا . بدأ الشجار على الفور . تضاربا بالايدى والمخدات ، وتقاذفا باحقر الالفاظ واسوأ الشتائم . وبعدها .. الى اقذر الافعال .

كان لويس ، أقوى من أخيه فيليب . فكانا اذا تماسكا بالايدي فوق الفراش . تنافسا في البصق . كل منهما يغرق وجه أخيه بهذه القذارة التي لا تليق حتى بأطفال الشوارع . فاذا انتهيا من هذه الجولة ، بال كل منهما على فراش أخيه ! .

وكان الملك لويس بعد كل شجار من هذا النوع ، يهددني قائلا : لو نقلت الى أمي ماحدث اليوم دون أن تدين فيليب .. لشويتك على نار هادئة حين تنتهي وصاية أمي اللعينة علي .

وكنت أنا أخاف على حياتي ولا ريب . فقد كان لويس طاغية لايرعى الا ولا ذمة لاحد من نبلاء مملكته .

أما كيف نشأ ميل الامير فيليب الى التشبه بالنساء ؟ . فأنا أقول انها كانت فعلة الملك لويس وحاشيته من المنافقين . الذين احاطوا فيليب المسكين بجو نسائي في كل شيء . وعن عمد ، دسوا عليه صديقه الاوحد ميشيل هوسال الذي صار فيما بعد اسقف كنيسة روتردام في باريس .

كان ميشيل هذا منذ صباه الباكر . متشبها بالنساء . يرتدي ثياب الفتيات في غرفته الخاصة . لهذا . دسه الملك على شقيقه فيليب ليكون له القدوة والمثل .

وسرعان ما اقتبس فيليب اسلوب صديقه . فكانا يتباريان في تقليد الفتيات في المشية والثياب . والحديث ايضا . كان فيليب يقول لصديقه ميشيل :

— تسريحة شعري يا عزيزتي ميشيل ، أجمل من تسريحتك . وتجيبه ميشيل :

— ولكن انظر يا فيليب الى الحلقتين في أذني . ويرد عليها فيليب قائلا :

— أجل . ولكنك لا تحسنين تثبيت الحلقتين في شحمة اذنك مثلي . انك تغارين مني ياميشيل لان اذني أجمل من اذنيك .

وتجيبه ميشل في سخرية :

— أنا يافيليب ؟ . هه ! . انا اغار منك ؟ . لماذا ؟ . هل الحمرة في وجنتيك ، أجمل من الحمرة في وجنتي ؟ . هل لعينيك سحر عيني ؟

فيقول لها فيليب :

— ورغم هذا كله ، فسأحضى بعريس اجمل من عريسك يا ميشيل . وسوف ترين ! .

★ ★ ★

و .. على يد ميشيل ..

تلقى الامير فيليب أحقر دروس الخلاعة . ولم يعد يخلع عنه ثياب ساء الا اذا غادر القصر . بل لقد حدث أن حضر حفلا تنكريا في ثياب رينا الرومانية . فقال له الملك ساخرا :

- عجبا لك يا أخي .. الا تعرف ان الحفل تنكري ؟ . لماذا لم تبدل ثيابك المعتادة ؟ .



حين بلغ العشرين ..

شرع يختار الاصدقاء . منهم بعض وزراء المملكة .. الكاردينال ميترا نفسه . عشيق أمه الملكة . وكان كثير التردد على جناح الامير حتى كشرت له الملكة عن أنيابها من فرط الغيرة .

وتجاسر الملك فأسماه في جلساته الخاصة بـ (الفتاة) . وذات يوم . فاجأ الملك وزراءه بأقتراح عجيب . قال :

— ما قولكم أيها السادة ؟ . أعتقد ان الاوان قد آن لـ .. نزوج الفتاة . وسألوا الملك :

— هل .. تعني حقا ماتقول ياصاحب الجلالة ؟ . نزوجها بمن ؟ . بالكونت ديكيش أو بالشيفاليه ديليل ؟ . أجاب الملك :

— اللعنة على ديليل ! . لقد كنت أحسبه سيكتفي بمباذله مع فتاه ، فاذا به كما علمت ، يتكلم معها في قانون وراثة العرش . فقالوا للملك :

— ليس أسهل من الزج به في الباستيل يا صاحب الجلالة . قال :

— لتقلب الفتاة الدنيا فوق رأسنا بالعدوان والطغيان على حقوق النبلاء !. ان شقيقى الفتاة . لن تتورع عن هذا اذا القينا بعريسها غير الرسمي في السجن .

— كأنك يا مولاي تعني ان تزوجها حقا ؟ . قال الملك :

— أجل . آن الاوان ليتزوج فيليب . أ .. زوجة حقيقية انثى أعني مثله ! . وتساءل الوزراء :

— انثى مثله ياصاحب الجلالة ؟ . قال الملك :

— ولم لا ؟. وقد علمت ان له عشيقتين . وله منهما ثلاثة أطفال .

★ ★ ★

و •• زوجوه كارها •

زوجوه بالاميرة هينريت • شقيقةملك انكلترا • كانت في السادسة عشرة • وكان يكبرها بخمسة أعوام • وقال عنها فيليب :

— أحببتها لثلاث ليال فقط • ثم بغضتها • اللعينة •• كانت تدعوني في خبث •• ياصاحب السمو الامير • أو •• يا رجلي العزيز ! • فهل أنا رجل ؟ • هه ! • اللعنة ! •

وتركها وتفرغ لصديقيه ديكيش والمفضل ديليل •و•• تركته هينريت وتفرغت لاصدقائها • وأولهم شقيقه الملك لويس الرابع عشر •

والمثير يا أخي القارىء • ان الامير فيليب ، شعر بالغيرة وليس بالعار • وكان يقول :

— كيف تستطيع هينريت اللعينة ان تظفر بكل هذا العدد من المعجبين الرجال ؟ • ماذا حدث لذوق رجال البلاط ؟ • صاروا يفضلون الشقراوات الممتلئات ! •

وحين أراد أن يكيد لها ، لم يجد غير افساد قوامها قال :

— لا يشوه قوام النساء •• سوى الحمل المتكرر • وجعل همه أن تحمل هينريت اللعوب كل عام •• مرة •

وكما كاد لها بأفساد قوامها • كادت له بأن أغرت شقيقه الملك على سجن صاحبه الاخير الشيفاليه ديليل • فذهب فيليب اليه غاضبا وقال :

— لماذا يا صاحب الجلالة لم تستشرني قبل القاء ديليل في السجن ؟ •

فأجابه الملك في سخرية :

— يا عزيزتي فيليب • اذكري انك الان متزوجة ! • قال فيليب :



الامير الانثى

كـــان مولعا بالتشبه بالنساء ٠ يرتدى ثيـــابهن ويتحلى بحليهن وزينتهن ٠ كان يظهر مفاتنه الكامنة للرجال بطريقة تثير الاشمئزاز ليريهم ساقيه وحذاءه ذي الكعب العالي ويعبث طول الوقت بـ (الحلقة) فـــي اذنيــه !٠

— اللعنة على زوجتي ! انها هي التي حرضتك على ما فعلت بصاحبي •

فقال له شقيقه :

— دعي الامر سنة او بعضها • وأعدك يا عزيزتي فيليب أن أعيده اليك بعدها •

صاح فيليب :

— سنة أو بعضها ؟ •• أتريد مني يا صاحب الجلالة أن أموت ببطء ؟• الى ان تعيد الي الشيفاليه ديليل ؟ • سأنتحر اذا لم يخرج ديليل من السجن اليوم • فقال له الملك :

— اسمع أيها الامير • لقد جعلتنا بمباذلك المؤسفة ، سخرية اوروبا كلها • صرت وصمة عار • وصار قصرك مرتعا للفساد والمفسدين • استرجع رجولتك أيها الامير (اذا كان قد بقي منها شيء) • وأحسن ضبط بيتك • فقد هوت سمعة زوجتك هينريت الى الحضيض • وتمرغت في الوحول • وسأله فيليب مندهشا :

— ماذا ؟ • ألم تكن أنت بعض من دفعوها الى الوحول ياصاحب الجلالة ؟ • وهل تنكر ان أحد أولادي (ولن اسميه) • هو من بعض افضالك علينا ؟ • وصاح به الملك :

— فيليب ! • لقد طال صبري عليك • واذا لم تكف عن مخاطبة مليكك بهذه اللهجة ارسلت بك الى السجن • قال فيليب :

— ليتك تفعل •• ليتك تفعل شريطة ان اسجن مع الشيفاليه ديليل !•

★ ★ ★

و •• أصر الملك على ابقاء ديليل في السجن •

ربما ، زيادة في الكيد لشقيقه • وربما لنشاط ديليل السياسي المتعارض مع سياسة لويس الرابع عشر •

ويكتب فيليب الى شقيقه الملك المتضرع :

— يا شقيقي العظيم . منذ زمن ، وأنت تشمل بعنايتك كل أصدقائي . ومن أصطفيهم لصحبتي . تنفيهم وتسجنهم وترسلهم في مهام مهلكة . لماذا تفعل بي هذا وانا شقيقك الذي لا يتردد في اراقة دمه رخيصا في سبيل مجدك ورفعتك ؟ . لقد بلغت قوتك يا شقيقي ، الى حد انتزاع صديقي ديليل من بيتي وامام خادمي وزوجتي والقيت به في السجن دون رعاية لسمعتي وكرامتي وشرفي ! . لو كنت مجرد خادم في رعيتك . لتوسلت الى رحمتك بوزرائك . ولكني . شقيقك . حملتنا بطن واحدة . وقضينا طفولتنا في غرفة واحدة . لماذا تفعل هذا بأخيك ؟ . اطلب مني ما تشاء يا اخي . فلن اتردد في طاعتك ولو كان في ذلك موتي . ولن أطلب منك لقاء دمي غير ان تسعدني في الافراج عن الشيفاليه ديليل .



ويخرج ديليل . ويعود الى مكانته في قلب الامير وفي بيته .

وفجأة .. تمرض الزوجة هينريت اللعوب شقيقة ملك انكلترا . وتموت في مرضها الذي لم يدم اكثر من أربعة أيام .

وتشير أصابع الاتهام ، الى فيليب وصديقه ديليل . ويكتب السفير البريطاني الى سيده ملك انكلترا قائلا :

— اذا كانت الاميرة هينريت قد ماتت مسمومة كما يعتقد اكثر رجال وسيدات البلاط الفرنسي . فلا أحد يخفي دور الشيفاليه ديليل وصديقه الامير فيليب ، في جريمة التسمم . أنتظر تعليمات جلالتكم لنطلب الى الملك لويس فتح باب التحقيق .

ولكن ملك انكلترا يؤثر الصمت . ولعله كان موت هينريت ، اكثر سعادة من فيليب وصاحبه ديليل .

فقد كانت سيرتها التعسة . قد صارت مضغة الافواه في قصور أوروبا كلها . وانتحر أحد ابنائها عارا حين عجز عن اثبات بنوته لفيليب .

وأراد لويس ، أن يرد الطعنة لاخيه . فقرر أن يزوجه من جديد . فقال له أخوه فيليب :

— يا الهي ! . أتزوج من جديد ؟ . وبمن ؟ . بالالمانية شارلوت ؟ . فقالوا له :

— ألم .. ترها يا صاحب السمو ؟ . فأجاب :

— ولا أريد أن أراها . فقالوا له :

— لكنها تحفة تسر الناظرين جمالا ورقة ورشاقة قوام . أنظر وأروع بشرة ! . قال فيليب :

— اللعنة ! . لا تقولوا ان بشرتها أنعم من بشرتي ! . واجابوه :

— ياصاحب السمو . انهم يلقبونها (بلتينا) . لروعة بشرتها على الخصوص . طويلة في غير اصرار . رشيقة في غير ... فقاطعهم فيليب وصاح :

— كفى ! . كفى ! . اذا ارغمت على معاشرتها ، فلسوف أفعل بها مافعلت بهينريت التعسة . سأفسد قوامها بالحمل المتكرر مرة كل عام .

★ ★ ★

وصارت بلتينا زوجته . وان صارت الزائرة الليلية الدائمة لمخدع أخيه الملك .

واذا كانت هينريت . قد اعتادت السخرية من فيليب في مجالسها

الخاصة .. فأن بلتينا ، نشرت الغسيل القذر في كل السطوح . ولا تزال الفكاهات التي اخترعتها الالمانية الخفيفة الظل على لسان الناس في فرنسا حتى يومنا هذا .

ويصفه الفيلسوف سان ريمون . وهو في ايامه الاخيرة فيقول :

— قابلت فيليب ، فاذا بي أمام انسان استنزفه التهالك على المباذل . حاول طوال المقابلة أن يظهر لي مفاتنه الكامنة بطريقة تثير الاشمئزاز ليريني ساقيه وحذاءه ذي الكعب العالي ويعبث طول الوقت بالحلقة في أذنيه ! .



و .. مات فيليب اورليان الذي اشتهر عنه تشبهه بالنساء ..
مات في السابع من شهر تشرين الثاني ، عام ۱۷۰۱ للميلاد .



جورج بروميل

ملك الموضة في بريطانيا

لم يكن يدري وهو يغادر انكلترا في اليوم السادس والعشرين من شهر اذار عام ١٨١٦ .. لم يكن يدري انه لن يعود اليها حتى وهو جثة هامدة . ومع هذا .. فقد كان قبل شهر واحد ، أشهر رجل في انكلترا كلها ... جورج بروميل .



اطلقوا عليه القابا كثيرة وكلها تسره وتسعد قلبه . قالوا :

— بروميل الجميل .

— بروميل الوسيم .

— بروميل الانيق .

— أصدق أصدقاء ولي العهد أمير ويلز .

— زينة كل مجلس .

— ملك الموضة .

وقد كان هذا كله ولا مراء .

فصداقته بولي العهد أمير ويلز مضرب الامثال رغم التنافس الشديد بينهما على قيادة مجتمع الاناقة في البلاد .

ولكن قوام بروميل الرشيق ، وقده المعتدل . كان يعطيه ميزة تفوق

على ولي العهد (السمين) ذي الضحكة العالية المفاجئة • وكان ما كان •
لا يتورع عن ان يطلق النكتة حتى على صديقه أمير ويلز • وكان الامير
يتغاضى عن وقاحة زميله ضاحكا وهو يقول :

— ما أسهل أقصاء بروميل عن مجلسي • ولكن هذا المجلس ، لايزدان
الا به وماذا تصبح لندن بدون بروميل ؟ •

★ ● ★

ثم •• جاءت من فرقت بين الصديقين •

صاحبة ولي العهد السيدة فريت هيربرت • لم تكن من المعجبات
ببروميل • فمن أول يوم عرفت فيه الامير ، شرعت تحرضه على صديقه
الى أن قالت له ذات يوم :

— لقد سخر مني أمام جميع من في حلبة سباق الخيل •
ويضحك الامير ويقول لها : لابد انه أطلق نكتة من نكاته المدوية ؟•
— هه ! • هذه المرة •• علي وعليك يا مولاي •

ويسألها الامير :

— وماذا قال ؟ • فتجيبه صاحبته :
— قال : لو خلطنا ولي العهد بالسيدة فريت هيربرت ، لانتجنا عودا من
الذرة ! •
— وهل •• هل كان زوجك موجودا عندها ؟ •
— أجل • وتحداه للمبارزة • فقال بروميل بصوت سمعه كل من في
الحلبة :
— انت ياسيد فريت هيربرت آخر من يعلم بان عودا من الذره في
طريقه الى الظهور •

— وهل حددا مكان وزمان المبارزة ياسيدتي ؟ •
— أجل • بعد غد ، في غابة ولنكتون • قال الامير :
— حسنا • سأرى رأيي ولكن اطمئني فلن تتم هذه المبارزة والا صرنا سخرية الجميع •

★ ★ ★

و •• رأى ولي العهد رأيه •

فأذا ببروميل الوسيم يحزم أمتعته ويركب عربة من عرباته الفارهة وهو يقول لحوذي عربته :

— الى دوفر يا عزيزي موريس • دعنا نغادر انكلترا التي لا تقدر للاناقة حقها • وغادر انكلترا الى مدينة كان الفرنسية مغضوبا عليه من ولي العهد « صديقه القديم » • كان يتوقع أن يهدأ غضب ولي العهد وان يعيده من جديد الى مكانته في مجلسه وحضوته لديه • ولكن السيدة فريت هيربرت ، كانت قد قررت على ان لايعود ابدا قالت :

— لن يعود بروميل الى انكلترا ما دمت على قيد الحياة ! •

★ ★ ★

ولسوء حظ بروميل ••

فأن السيدة فريت هيربرت كانت صغيرة السن وفي عنفوان صحتها •

أرسل الى ولي العهد من مدينة كان رسالة استعطاف رغم مافيها من سطور متعالية متكبرة • فعينه الامير بعد أن صار ملكا على انكلترا بأسم جورج الرابع •

عينه قنصلا لانكلترا في كان بمرتب متواضع • وكتب بروميل الى احد اصدقائه في لندن متسائلا :

— هل ينوي صاحب الجلالة أن ينقل تاج الاناقة من لندن الى بلد آخر غير متمدن ؟ . اذن ما هذا المرتب الذي لايكفيني ليوم واحد ؟ . جلالته يعرف أي طعام آكل وأي هيئة اكون عليها في جميع حالاتي ؟. أيريد أن أتسول ثمن ثيابي وطعامي من الفرنسيين ؟ . ألا يعلم انني أحتاج اسبوعيا الى عشرين قميصا و٢٤ منديلا وسبعة أزواج من الاحذية ، وعشرة بنطلونات ، وثلاثين صديريا ، وعشرين زوجا من الجوارب ، وستين ربطة عنق وعدد لا يحصى من القفازات والعصى والقبعات ؟ . من أين أشتري هذا كله ؟ . بمرتب قنصل انكلترا في كان ؟ .. اللعنة ! .

★ ★ ★

ولم يهتم الصديق الكبير .

لم يهتم بالرد على رسالة الرجل الذي هوت كفته في ميزان القصر الملكي ولم يعد امام بروميل الوسيم الانيق اذا اراد ان يحافظ على لقبه كملك للموضة في العالم أجمع .. الا ان يستدين .

استدان بأسم القنصل . وصار دائنوه اكثر من قمصانه من كل لون وطراز وصناعة . من الترزي حتى صانع الرغيف . اما الطعام ، فلم يكن في كان من لا يجد الشرف كل الشرف في وجود بروميل الانيق على مائدته يلتهم فاخر الطعام التهاما . مشكلة الطعام اذن محلولة . اما مشكلة الثياب وأجر الاقامة في أفخر فنادق كان ، فقد كانت وراء ديونه الباهضة . وتكاثرت عليه الديون . فأقترح الدائنون في أدب وكياسة . قالوا :

— اننا لا نشكو من مبالغة السيد بروميل في طلباته ولكن . ماذا لو خفض هذه الطلبات الى النصف ؟ . لينزل مثلا في فندق ارخص

وليكتفي بنبيذ أقل ثمنا وثياب أقل عددا وعربة أقل رفاهية • وقال اخرون :

— نعرف انه سيعود يوما الى الحضوة عند ملك انكلترا وسيدفع ديونه وأرباحها على الفور • ولكن لم تعد جيوبنا تحمل كل تلك الطلبات •

★ ★ ★

وقنع اخيرا ، بجناح في فندق الدرجة الثانية •• فندقانكلترا •

كان الدائنون يأملون في المستقبل • ولكن المستقبل جاءهم بضربة محطمة للآمال • فقد زار جورج الرابع باريس ، فسأله صحفي طويل اللسان :

— يا صاحب الجلالة • سمعنا انك ستعود الى انكلترا وفي معيتك السيد بروميل الانيق •

— ويرد صاحب الجلالة قائلا :

— من بروميل هذا ؟ • لا أعرف احدا ياسيدي بهذا الاسم •

أدرك الدائنون ، أن الامل في عودة بروميل الى حضوة ملك انكلترا قد تبدد بهذا الموقف الذي اتخذه الملك ازاء صديقه القديم خاصة وان تأثير السيدة فريت هيربرت على العاهل الكبير ، قد غدا كاسحا • وان بروميل لن يعطيها من نكاته اللاذعة عبر المانش •

ثم •• ارتكب بروميل حماقته الكبرى يوم كتب الى وزير الخارجية :

— سيدي الوزير • مازلت منذ وجودي في كان قنصلا لبلادي فيها اتساءل : لماذا تنفق الوزارة على قنصلية لها في كان ؟ • لماذا وفي استطاعة (حوذي) أن يقوم بما يقوم به القنصل من أعمال ؟ • ولا تدهش ياسيدي الوزير اذا سمعت عن همة ونشاط قنصل كان الذي

هو انا . فالحقيقة ان الذي يقوم بكل الاعمال هو حوذي عربتي السيد موريس ! .

★ ★ ★

كان يريد .

ان يطعن وزير الخارجية في كفاءته لقرابته البعيدة من السيدة فريت هيربرت . فجاءه الرد الحاسم :

— السيد قنصل انكلترا في كان .

نظرت الوزارة بعين الاعتبار الى رغبتكم في الغاء قنصليتها في كـان . وقررت اعتبارا من اليوم الغاء تلك القنصلية بكل ما يترتب على ذلك الالغاء من نتائج .

وكانت النتيجة والقصيرة ، انقطاع مرتبه وبقاءه في كان دون اي مورد مالي . وبدأ يبيع مقتنياته الذهبيـة والماسـية ليحـافظ علـى مظهـره الانيق . و .. ويتشبث في خجل بلقبه الذي اشتهر به وهو .. ملك الموضة .

واسرع الى نجدته ، البقال الذي يتعامل معه . أيرلندي من دبلن يقيم في كان ويدعى ارمسترونك قال له :

— دائنوك ياسيد بروميل ، يهددون بادخالك السجن وليس امامك الا ان .. تستعطف أصدقاءك القدامى في لندن . ويرد عليه بروميل :

— عزيزي ارمسترونك . لقد تعبت من الكتابة اليهم . كلهم يخافون الملك . فقال له ارمسترونك :

— الكتابة لا تجدي ياسيدي . فقال له بروميل :

— فماذا أفعل ؟ . اجابه ارمسترونك :

— اعطني خطابات مفتوحة الى هؤلاء الاصدقاء . فأسافر بنفسي الـى



ملك الموضـة في بريطانيا

كان يحتاج اسبوعيا الى ٢٠ قميصا و ٢٤ منديلا و ٧ ازواج مـن الاحذية و ١٠ بنطلونات و ٣٠ صديريا و ٢٠ زوجا من الجواريب و ٦٠ ربطة عنق وعددا لا يحصى من القفازات والعصي والقبعات !

لندن وأحصل لك منهم على مبالغ تكفي لسداد ديونك • قال بروميل :

— أيها السيد الرقيق ارمسترونك • اتفعل هذا من أجلي دون مقابل ؟ • قال ارمسترونك :

— انه ليسعدني ياسيدي أن أدخل التاريخ باعتباري الرجل الذي حمى بروميل من دخول السجن • وهذا لايمنع من أن تعطيني صكا اخر يتيح لي وحدي التعامل مع الدائنين •

ولم يجد بروميل اي سبب يدعوه الى رفض هذه المنة الكبرى •

حصل البقال الخبيث على ما أراد من خطابات وصكوك • وظل يستنزف أصدقاء بروميل في لندن بأسم الوفاء والاخلاص والوطنية ، ولا يسدد مما يحصل عليه جنيها واحدا من ديون بروميل المسكين الذي فوجيء ذات يوم بطرقات قوية على الباب :

— الشرطة ! •• افتح الباب ايها السيد بروميل ! •



وفتح الباب •

فأنقض عليه أربعة من رجال الشرطة قالوا له :

— انت مقبوض عليك بتهمة التهرب من دفع ماعليك من ديون • ويتوسل بروميل اليهم :

— أ •• أرجوكم ايها السادة • أ •• انني بثياب النوم ! • قالوا له :

— الاوامر أن نحملك الى السجن على أية هيئة تكون • فقال لهم بروميل :

— أتوسل اليكم •• مستحيل ان يغادر بروميل الوسيم الانيق ، ملك الموضة وصديق ملك انكلترا الى السجن هكذا شبه عار • اتوسل

اليكم أن لاتلحقوا بي هذا العار •

حاول ان يرتدي أفخر ثيابه • ولكنهم لم يمهلوه الا ليضع سترة لاتتناسب مع البنطلون وربطة عنق لا تسير مع القميص •

وصرخ وبكى ، وقاوم الشرطة صائحا :

— مستحيل ! • مستحيل ! • أقتلوني ولا تأخذوني بهذه الثياب • عشر دقائق أخرى بحق السماء ! •

★ ★ ★

دون جدوى •

أنزلوه الدرج دفعا والمسكين يوشك أن يتعثر مع كل خطوة • ثم •• زجوا به دون رقة في عربة السجن والناس يتصايحون خلفه :

— قنصل انكلترا في عربة السجن ؟ • ملك الموضة المفتون بروميل ، يساق الى السجن ؟ • وبلغ العار أقصاه حين زجوا به في السجن مع السكارى والافاقين والقتلة •

اختطف أحدهم ربطة عنقه وصاح به ساخرا :

— أيها الرجل الفاسد الذوق ! • ربطة عنق حمراء على سترة خضراء ؟ • هه هه هه ! • وعبثا حاول بروميل اسكاته • صاح بالرجل :

— سيدي ! •• سيدي ! • لم يمهلوني حتى أبدل ثيابي ! • البسوني هذا عنوة • أنا بروميل ملك الموضة ! •

وتوالت عليه الضحكات من السكارى • وتقدم اليه أحدهم وهو يترنح وقال له :

ـــ وأنا جورج الرابع ، ملك انكلترا ! • واستمروا في الضحك عليه • وظل في السجن عامين •

في خلالهما • سرب عددا من الخطابات الى أصدقائه في لندن توسل اليهم ان يسددوا ديونه ليغادر الجحيم الذي القوا به في أتونه •

وكان نجم السيدة هيربرت في قلب الملك قد خبا نوره ، فلم يخش أصدقاء بروميل القدامى غضبها وسددوا اكثر ديونه • وخـــرج ملـك الموضة من السجن • توقع الكثيرون أن يقلع من عاداته القديمة • ولكن الملك ، أبى أن يعتزل • ورفض أن يخلع بيديه التاج عن رأسه • وعـاد الى الاستدانة ليرتدي أفخر الثياب ويفاجيء مجتمع مدينة (كان) بكـل جديد ومبتكر •

مرة اخرى • تسرع الشرطة الى داره لتأخذه الى السجن فيقابلهم خادمه موريس متوسلا :

ـــ أيها السادة • هل تأخذون الى السجن رجلا مفلوجا ؟ • وسألوه :

ـــ ماذا ؟ • هل أصيب بالفالج ؟ • قال موريس :

ـــ أجل • وجدته ملقى على الارض وقد أصيب بشلل كامل !•

★ ★ ★

و •• أخذته احدى المعجبات واسمها الكونتيس ديستا اورسـاه •• اخذته الى قصرها •

اشرفت بنفسها على علاجه وتمريضه واطعامه فاخر الطعام الـــذي يحبه • ظل في قصرها عامين •

وحين سافرت الكونتيس الى أميركا • طرده أبناؤها ، فلم يجد غير بيت الصدقة •

يوم الخامس عشر من نوفمبر عام ١٨٤٠ سمعوه يقول في لعثمة :

— الـ •• الـ •• السترة الرمادية المخططة و •• والكرافتة الحمراء •

ثم •• أسلم الروح •

مات بروميل الوسيم الانيق ، ملك الموضة ، صديق جورج الرابع ملك انكلترا ••

الحكم الذي لا يناقش في مباراة الجمال والاناقة •• نموذج الرجل الاستقطراطي الانكليزي •• مات في بيت •• للصدقة !! •



انتظروا قريبا صدور الجزء الرابع من كتاب ••

(الغريب والمثير في شخصيات التاريخ)

اكثر الاجزاء اثارة

جوليان

الملك المتبول !

يقف عاريا في الطريق متحديـا الحيـاء والعرف والقانون ولا أحد يردعه .. بل يقف الناس أمامه قادمين من كل حدب وصوب . باسميـن راضين ، محلقين في تقاطيع وجهه وتكوين بدنه وان ابتعدوا قليلا عـن رشاش الماء المتدفق منه . ولا لوم عليه .

فهو .. طفل في الثانية من عمره . بل هو مجرد تمثال لطفل بريء ساذج ، ألحت عليه الضرورة . هو أشهر طفل فيأوربا كلها .. الطفـل شارو (شجرة الجوز) في مدينة بروكسل عاصمة بلجيكا .



ترى ..

أكان كل هدف المثال الذي صنعه ، أن يجعل الطفل وفعلته بدعـة في صناعة النافورات . أم أن الطفل العاري الجريء رمز وتخليد لذكرى طفل قبله عاش على هذه الارض حقا وصدقا وأستوفى أيامه عليها ؟ .

فيالواقع . الآراء كثيرة . فمدير بلدية بروكسل مثلا يقول :

— لا يهمني من الامر الا ناحيته المالية . فأن طفل شارع شجرة الجوز .

كنز سياحي لايقدر بثمن . ولولاه ، لما بقي في مدينتنـا بروكسـل مايشاهده السائح . ونسأل مدير البلدية :

— فلماذا صنع اذن على شكل نافورة على وجه التحديد ياسيدي مدير البلدية الذي لايعنيه الجمال الفني ؟ • فيجيب :

— السبب واضح • فبروكسل كما لعلك أدركت بعد زيارتها •• ليست مدينة • لا بحيرات فيها ولا أنهار حتى ولا جداول أو ينابيع معدنية او غير معدنية • والغدير الوحيد الذي يخترق المدينة ، ضحل قذر المياه بشع الرائحة ضاعت معالمه بالخناق الكثيرة التي أنشئت فوقه والانفاق التي شقت تحته تيسيرا لحركة المواصلات • لهذا • فأهالي بروكسل محرومون من نسيم ضفاف الانهار الرقيقة ووسوسة الماء للشواطيء الحالمة • لايجدون هذا أو ما يشبهه الا عند النافورات الصناعية الكثيرة التي حفلت بها المدينة • قلت :

— هذا صحيح ياسيدي مدير البلدية • فما مررت بشارع أو بميدان الا ونلت نصيبي من رذاذ النافورات • قال المدير :

— في مدينتنا ياسيدي الزائر اكثر من مئة نافورة • وسألته :

— ترى أتسمح لي بملاحظة صغيرة على تلك النافورات ياسيدي المدير الذي لا يعني بالجمال الفني ؟ • اجاب قائلا :

— قل ما يحلو لك من ملاحظات ياسيدي • فأنت سائح • وللسائح الحق في أن يقول ما يريد شريطة أن •• يسبح ! •

— حسنا ياسيدي مدير البلدية • أ •• أكثر تلك النافورات لا ينبيء بذوق فني رفيع • أهذا لانكم لاتدفعون أجرا مجزيا للفنانين الذين يشيدونها كما فعل أهل روما مع فنانيهم ؟ •

— للمال ياسيدي عندنا مصارف أهم من النافورات • قلت :

— هذه مسألة معنوية صرفة • فلنبقى في دائرة الملموس • هذا الفتى الصغير الذي يتحدى الحياء والقانون بعريه وبما يفعل أمام الناس

ما كان يجدر أن يفعله في خلوه • أ •• سيدي • ما اسم هذاالطفل ؟
قال المدير :

— أ •• يدعوه بعض الناس (كودافاه) واخرون يدعونه (جوليان) • وكثيرون هم الذين يصرون على اسم (ميشيل) • غير انه في اوراقنا الرسمية السياحية ، يسمى طفل شارع الجوز • وسألت المدير :

— لماذا قرنتموه بشجرة الجوز ياسيدي مدير البلدية • و •• هه ! •• لست أرى قربه سوى كرمة وارفة الظل عن يمينه وشماله ؟ • اجاب ضاحكا :

— لست أدري ياسيدي الزائر سبب تلـك الكنية • هـذه أسئلة لا يحسن الاجابة عنها سوى موظفي السياحة • يمكنك ياسيدي ان تسألهم عما تريد •

★ ★ ★

و •• أختاروا لي يا أخي من موظفي السياحة ••

اختاروا لي مرشدة أنيقة رقيقة واسعة الثقافة والافق • فـلم تتحرج من الوقوف امام الطفل العاري الجريء وهي تحكي قصته : قالت : المرشدة :

— ما اكثر الاساطير التي يتناقلها الناس عن حقيقة هذا الطفل الجريء اللطيف • وانك ياسيدي • لتجد في كتب تاريخنا وآثارنا •• أكثر من عشرين قصة • بعضها لا يقبله العقل لذهابها مع الخيال كل مذهب • وبعضها لاتجد دليلا ملموسا عليها في تاريخنا القديم • قلت :

— هل تعنين يا آنسة • ان هذا الطفل قديم قدم تاريخكم ؟ • قـــالت :

— أجل ياسيدي • ويبلغ من العمر حتى يومنا هذا •• اكثر من ٥٥٠ عاما ! • وقصته الحقيقية او لنقل قصته التي أجمع عليها اكبر عدد

من المؤرخين ، ترجع الى ابعد من هذا بكثير•• ترجع الى عام ١١٤٠ •

ـ أ •• معذرة يا آنستي • فقد قال لي مدير البلدية ان لطفلكم هذا عدة اسماء ترى • أي هذه الاسماء تفضلين ؟ • قالت :

ـ افضل الاسم الذي يقترن بالقصة الحقيقية •• جوليان •• والقصة لطيفة • ولكنها ليست اللطيفة الوحيدة في قصص هذا العاري • قلت لها :

ـ لنسمعها اذن كلها يا آنستي • ابتسمت وقالت :

ـ اوه !• هذا أمر يطول ياسيدي • أ •• لهذا نكتفي بأقربها أيها الصديق • ففي عام ١١٤٠ كان يحكم بروكسل الدوق جوليان الاول • رجل رقيق لطيف • ولكنه اسد هصور في ميدان القتال اذا تعرضت المدينة لخطر الغزو • قال يوما لزوجة الملك :

ـ مولاتي الدوقة ! • ما العمل وقوات جان الطويل تهاجم حدودنا ومولاي الدوق جوليان مريض ماذا نفعل؟ • دعيني اقابله فعساه يتحامل على نفسه ويقودنا كعادته الى النصر • لكن الدوقه ردته وقالت له :

ـ لا • لا يا كونت • أتوسل اليك • ان زوجي مريض جدا • ويقول الاطباء انه قد يموت اليوم او غدا • فأجابها جوليان :

ـ يا الهي ! • اذن فسيستولي جان الطويل على المدينة ! •

ـ لا ياعزيزي جوليان • لا • لن يحدث هذا • اذا مات الدوق • فسنكتم الخبر عن الجميع حتى لا يطمع فينا العدو •

ـ مولاتي • ومن يقودنا لطرده عن حدودنا ؟ • وتجيبه الدوقة •

ـ أنا ! • ويرد عليها جوليان بدهشة :

ـ ماذا ؟ • مولاتي • انك لم تحملي سيفاقط ! • قالت :

ـ سنحاول خداع العدو يا كونت • سأرتدي ثياب زوجي الحربية

ودرعه وخوذته • احمل سيفه ورمحه وأخرج على جواده أمـــام الجيش • سيراني الاعداء ويظنون ان الذي أمامهم هو الدوق جوليان • جوليان • الفارس العظيم الذي طالما هزمهم وردهم على اعقابهم ! •

★ ★ ★

ومات الدوق جوليان الاول ••

فأعلنت زوجته الدوقة (رودكارت) نفسها في مجلس الاشـــراف ، وصية على ولي العهد •• الطفل الصغير جوليان الثاني • وحين همـت بالخروج امام الجيش على جواد زوجها وفي درعه وخوذتـه ، أبـــى الرجال ان يحاربوا وعلى قيادتهم أمرأة لاتحسن القتال ومصارعة الابطال قالوا لها :

— لا • لن نحارب قط وراء امرأة • ليخرج ولي العهد جوليان أمام الجيش •وصاحت امه :

— ماذا ؟ • جوليان طفل في الثانية من عمره ! • فأجابوها :

— ولكنه الملك • ووجوده على رأس الجيش يقوي عزم الرجـال • سيذكرون أباه وبطولاته وجولاته • فيقوي هذا من ارادتهم على ان يكونوا أوفياء لعهد الرجل الـذي أحبـوه وقادهم دائمـا الـــى النصر •

★ ★ ★

وحملوا الطفل الصغير في مهده ••

يحرسه عدد من الفرسان • وساروا خلفه في حماس جارف ورغبـة طاغية في الانتصار على عدوهم • و •• كان اللقاء ياسيدي السائح فـــي هذا المكان • قلت للدليلة :



جوليان .. الملك المتبول !

يقف عاريا في الطريق متحديا الحياء والعرف والقانون ولا يردعه احد !

— تقصدين عند ناصية شارع شجرة الجوز وشارع .. بيتوف يا آنستي ؟ . قالت :

— كلا يا سيدي . لم تكن هنا شوارع في ذلك الزمن البعيد . واذكر ياسيدي اننا نتحدث عن معركة دارت رحاها عام ١١٤٠ وان هذه البقعة كانت من أراضي بروكسل . وكانت تسمى ضاحية (آرسيك ليلبورد) . وفي هذا المكان . كانت توجد شجرة جوز عملاقة وارفة الظلال . وضعوا مهد الطفل تحتها يحرسها عدد من الفرسان . ثم .. اندفعوا يباشرون قتال عدوهم . وسألتها :

— وهل انتصروا بفضل وجود الطفل عند الشجرة يا آنستي ؟ . قالت :

— لا ياسيدي . لا تقفز الى النتائج . فلقد طال القتال وظل ميزان النصر النزق يتأرجح لصالح هؤلاء مرة ولهؤلاء مرة اخرى . ثم شددت قوات العدو من هجومها وازالت قوات بروكسل من مواقعها . واندفعت نحو مهد الطفل . وهنا . وقع مالايصدقه عقل .

هب الطفل وأخرج سيفه من تحت فراشه ووقف يصد الاعداء عن مدينة أبيه ! . وهل يدخل هذا في طاقة الاطفال يا سيدي ؟ . قلت لها :

— لا .. لا أدري ياسيدتي . قالت :

— لم يفعل جوليان الصغير الا مايدخل في طاقة أمثاله . ولا أحد يدري ما دفعه في مواجهة العدو بلا خوف ثم .. ثم أخذ يبول عليهم ويدرك أقربه بسيله الجارف ! .

★ ★ ★

شهد محاربو بروكسل ماحدث .

ورأوا فيما فعله مليكهم فعلا حسنا . ألم يبل على عدوهم ؟ فعاودوا

الكرة والهجوم واحاطوا بالطفل يحمونه من العدو ويتفانون في القتال الى ان دارت الدائرة على قوات جان الطويل فعادوا بمليكهم الصغير (المتبول) ليتوج في كاتدرائية سان پول في بروكسل .. الملك الوحيد الذي تـوج وهو في الثانية من عمره .

— و .. أين مكان التمثال من هذه القصة الطريفة يا آنسة ؟ . قالت :

— مكانه واضح كل الوضوح ياعزيزي . فبعد حوالي ٣٠٠ عام اي في عام ١٤٢٠ على وجه التحديد . أراد حاكم بروكسل ان يخلد تلك الوقفة التاريخية النبيلة للملك الطفل . فامر بأقامة تمثـال له على تلك الحالة في نفس مكان المعركة .

كانت معالم المدينة قد تغيرت . وصار المكان جزءا منهـا وان ظلت شجرة الجوز قائمة تشهد على ما فعل الملك بالعدو . قلت :

— اذن . فقد كانت شجرة الجوز عند هذا المكان .. عنـــد ناصية الشارع الذي سمي بأسمها مع تقاطعه بشارع اتينوف يا آنســة ؟ . قالت :

— تماما ياسيدي . ولقد عهد الحاكم الى المثال الشهير (جيـــروم) العجوز ، بنحت التمثال على هيئة نافورة تصب ماءها في حوضـــ مرمري تحت أقدام الطفل جوليان . واحتفل باقامته في الثامن عشر من شهر تشرين الثاني من عام ١٤٢٠ . وسألتها :

— آ .. هل أفهم من هذا يا آنسة . ان هذا التمثال هو نفسه التمثال الذي نحته جيروم العجوز منذ اكثر من ٥٠٠ عام ؟ . أمن المعقول ان يبقى على حاله كل هذا الزمن ونحن نعـرف ان بروكســـل تعرضت للغزو والاحتلال بل وللتدمير ايضا عشرات المرات علـى طول تاريخها ؟ . قالت :

— وما اكثر ما تعرض التمثال الاصلي ياسيدي للاهوال . ففي عـام

١٦٩٥ • دمرت مدفعية النمسا المدينة تدميرا شبه كامل • ولكن الاهالي انقذوا تمثالهم الاسير واخفوه الى ان كفت عنهم النمسا مدافعها • وفي عام ١٧٤٥ حين احتل الانكليز المدينة • سرق احـــد الجنود التمثال واخفاه • ولكن القائد الانكليزي لورد كامبرلند لم يهـدأ حتى أعاد جوليان الى قاعدته وعاقب الجندي السارق • ثم عوضـ الطفل عما لحقه من أذى بان خلع عليه بدلة جنرال في الجيشـ البريطاني • وكانت تلك هي نواة لما نسميه اليوم (متحف ثيـــاب الطفل العاري) • وسألتها مندهشا :

— ماذا ؟ • وهل للطفل جوليان متحف أيضا يا آنستي ؟ • قالت :

— أجل • وبه أكثر من ألف حلـة مختلفـــة الاشـــكال والالـوان والجنسيات مما خلع عليه الملوك والاباطرة والقادة من كل انحـاء الارض على طول عمره المديد • من ثياب مهراجات الهند • الـى ايزار الساموراي الياباني ، وطاقم ثياب رعاة البقر في تكسـاسـ • قلت :

— أ •• يخيل الي يا آنستي انني ارى عدسات خفية لآلات التصــوير مثبتة في جدران البناء القريب من التمثـال • أهـي •• اجـراءات مشددة لحراسته ؟ • قالت :

— هذه ياسيدي • عيون تلفزيونية • فقد تعرض في الاعوام الاخيرة للسرقة عدة مرات • بل اعلنت جمعية تسمى نفسها جماعة حمايـة الآداب انها لن تسكت على ابقاء تمثال الصبي جوليان الوقح (عارا) على مدينتهم • وقالوا انهم سيعملون على ازالته بكـل الوســائل بما في ذلك العنف • لهذا ياسيدي • شددت الدولة الحراسـة على التمثال ليل نهار • فبعد ان كان نهبا لكل سارق مغامر •• استصدرنا قانونا يجعل من جوليان أثمن قطع التراث البلجيكـي ويفرضـــ

عقوبة قاسية على كل من يحاول اتلافه او سرقته . قلت لها :

— لعل هذا يا آنسة يعيد الامن الى قلب الطفل جوليان و .. يديم عليه نعمة التدفق ! . اجابت ضاحكة :

— نأمل هذا ياسيدي . ولكنه امل ضعيف على أية حال .

— تقولين أمل ضعيف ؟ . لماذا ؟ . قالت :

— خطابات التهديد ياسيدي تلقى عليه كل يوم . صحيح ان جوليان يعاملها بما تستحقه من احتقار بأسلوبه الخاص الذي استخدمه مع العدو عام ١١٤٠ . ولكنها تؤرقنا نحن . اما هو .. فيقف كما وقف مئات السنين باسما راضيا سعيدا . قلت لها وانا اضحك :

— وقليل الحياء أيضا ! . قالت :

— ويسعد به وبنبانه أهالي بروكسل و .. السائحون أمثالك .

توماس باتا

ملك الأحذية في العالم !

عصامي • اقام امبراطورية صناعية هو •• توماس باتا ومدينته الخرافية •• باتافيل • ارتفع من حذاء فقير • الى صاحب اول مصنع للاحذية على المستوى التجاري في النمسا والمجر • أقام مصنعه باسلوب • ويومها قال للعمال :

— لقد اشتريت هذه الآلات بالاجل • ومن الضروري أن أدفع الاقساط في مواعيدها والا وجدنا أنفسنا جميعا بلا عمل في وقت تسود فيه البطالة • دعوني أدفع لكم نصف الاجر وأسدد ثمن الآلات • ثم •• اقضيكم حقكم في النصف المؤجل •

★ ★ ★

ووافق العمال •

ولكن • تلك كانت ايام ضائقة مالية تمسك بخناق كل المؤسسات الصناعية • وجاءت الحرب العالمية الاولى • فقال لزوجته :

— لكي يكسب امبراطورنا الحرب يا ماريا • يجب أن يحسن الكسوة والتغذية لجنوده • أتعرفين ماهو أول حرف في كف الجندي ؟ • وسألته زوجته :

— وما هو هذا الحرف ؟ • أجاب توماس :

- الحذاء ! • الحرب حرب احذية يا عزيزتي • وسأبدأ الان [illegible] معركتي • وسألته ماريا :
- تعني ماذا ياتوماس ؟ فأجاب :
- أعني ياعزيزتي انني يجب ان أسرع وادخل السباق الى العطاءات لكسوة الجيش النمساوي لماذا لا أمده بالاحذية التي يحتاجها الجنود ؟ • وسألته الزوجة ايضا :
- وماذا يستطيع مصنعك الصغير هذا أن يفعل ؟ • أجاب :
- لاشيء • ولكني لن اعتمد على هذا المصنع • سأشيد اكبر مصنع في النمسا والمجر • قالت له :
- انك دائما تهزل ياتوماس في موطن الجد فأجاب :
- انه ليس الهزل بل المبادرة الجريئة يا عزيزتي • سأتقدم لامداد الجيش النمسوي بالاحذية •

★ ★ ★

وذهب الى مقر الجيش وسأل عن موعد تقديم العطاءات • فأجابوه :
- الموعد ؟ • لقد فات منذ يومين ! •

وعاد توماس الى زوجته خائبا لكنه اكد لها قائلا :
- لابد أن يقبلوا عطائي •• سيقبلونه مهما حدث •

واسرع الى جواده يخطف به الارض خطفا • من قريته زينم الى العاصمة فينا • ودخل وزارة الحرب • فقالوا له :
- لقد انتهى موعد تقديم العطاءات • فأجاب :
- أعرف • ولكن المظاريف لم تفتح بعد • عندي عطاء لايرفض •

ومرة اخرى قال له الضابط :
- آسف • لقد انتهى الموعد •

★ ★ ★

لو رجل غير توماس باتا ..

لعاد يائسا الى قريته . ولكن باتا كان من قماش غير هـذا . ظـل يطرق كل باب في سرعة محمومة ويحاول اقناع كل مسؤول . ويقـدم الهدايا والرشوة حتى بلغ أعلى المستويات . وصار أخيرا امـام المديـر المسؤول عن كسوة الجيش . قال للمسؤل :

— ألم أقل لك ان عطائي سيكون أقل العطاء ثمنا ؟ . ولكنه بالطبـع أفضلها من ناحية المواصفات . أ .. انظر الى هذا الحذاء النموذج الذي جئت به . سأترك لك انت تحديد ثمنه . وبأي شيء . اذكر أي رقم وسأقبل فورا . سأمدكم بكل ما تحتاجونـه منـي فـي زمن قياسي وبأرقام خرافية .

وظل يلح ويوضح .

وكان ظريفا لبقا . يدخل قلب محدثه بسهولة ورفـق . وأفلـح أخيرا في الحصول على عقد ثمين سمين . عندها قال له المسـؤول عـن الكسوة :

— ولما كنا في حاجة ماسة ياسيد باتا الى الاحذية وبكميات كبيرة . . فسنمدك بالعمال . هل عندك كفايتك من العمال ؟ . وأجاب باتا :

— في هذه الحرب .. الايدي العاملة نادرة بعد التجنيد العام ياسيدي .

— حسنا . سنمدك بالعمالة اللازمة من المجندين ممـن يحسـنون صناعة الاحذية . قال توماس :

— بل وممن لايحسنونها ايضا . اعطني ياسيدي اكبر عدد من العمال كيفما كانت براعتهم وأنا أقوم بتدريبهم في زمن قياسي .



وعاد باتا الى قريته زينم والى زوجته ماريا بالعقـد الفريـد • وسـألته الزوجة :

— وما الفائدة ؟ • من أين لك بالمواد الاولية ؟ • الجلود ! •• الجلود على وجه التحديد ؟ • لكن باتا سرعان ما رد قائلا :

— سأحصل عليها ياعزيزتي • وسألته ماريا :

— من أين وانت مفلس تقريبا يا توماس ؟ • فأجابها توماس :

— سأحصل على المال • كما سأحصل على الجلود بنفس الطريقـة التي حصلت بها على العقد • وذهب الى المجازر الحكومية وقابـل المسؤول :

— سيدي • انكم تذبحون كل يوم آلافا من البقر لتغذيـة المجنديـن الذين ينتظرون في المعسكرات لترحيلهم الى الميدان • ورد عليـه المسؤول قائلا :

— أجل • وما شأنك بهذا ؟ • فأجابه باتا :

— سيدي • لقد لاحظت ان الجلود مكومة على أبواب المجازر دون أن يرفعها أحد • رائحتها تزكم الانوف • ان هذا قد يسبب الاوبئة ياسيدي •

— وماذا أفعل ياسيد باتا وقد كانت المدابغ تحمل الجلود الى مصانعها ثم كفت عن ذلك ؟ •

— ولماذا ياسيدي ؟ •

— العمال اكثرهم جندوا للحرب • قال باتا :

— حسنا • انا على استعداد لتخليصكم من هذه الجلود النتنة ومستعد في الشراء ايضا •



وحصل على كل الجلود .

يوميا .. يرفع عماله من أمام المجازر اكواما من جلود البقر واكثرها بلا مقابل .

لقد حصل على كل شيء تقريبا . العمال بالمجان . والجلود أيضا . ولم يبق لتدور الآلات الا الحصول على المال اللازم لشراء بقية المواد الضرورية للتشغيل . لكن باتا قال :

— سأحصل على المال بعد أن حصلت على اهم عنصر وهو العمال .

وذهب الى أصحاب رؤوس الاموال . وكان حديثه مقنعا جدا . قال لهم :

— أ .. انني أملك كل الجلود التي تنتجها النمسا والمجر . وعندي ٦٠٠ عامل مدرب . ومعي عقد من الحربية النمسوية بتوريد اية كمية استطيع ان انتجها من الاحذية . ولا ينقصني الا مبلغ مناسب من المال . اعطوني ما اريد . يرد اليكم مع توريد اول دفعة وبربح مناسب .

واعطوه ما اراد .

بعد شهر . كان يقف أمام مدير الكسوة في الحربية النمسوية الذي قال له :

— اذا لم يكن في قدرة مصنعك ان يمدنا بألف زوج من الاحذية في كل يوم .. فسنلغي تعهدنا معك . وتساءل باتا .

— ألف زوج ؟ . سيدي . انك لم تكن تعني هذا حين تعاقدت معي . وأجابه المسؤول :

— ألف زوج والا الغينا العقد . ورد عليه باتا ضاحكا :

— وماذا أفعل بالخمسة الاف الاخرى ؟ ! • وفي دهشة • قال المدير :

— ماذا ؟ • تعني ان مصنعك قادر على انتاج ستة الاف زوج يوميـــا ياسيد باتا ؟ • قال باتا :

— بل وفي العربات أمام باب الوزارة ، انتاج عشرة ايام ياســيدي ! • ستون الف زوج ! •

★ ★ ★

بعد شهور قليلة ••

كان قد سدد ثمن الآلات القديمة واشترى أحدث الالات في عالـم صناعة الاحذية • وبعد ان كان في المصنع ٦٠٠ عامل •• صار عدد العمال في المصانع الثلاثة الجديدة ، أربعة الاف عامل مجند يعملون ليلا ونهارا في انتاج أحذية الجيش النمسوي والمجري الذي كان يخســـر المعـارك معركة بعد معركة •

ولكن الجنود في حاجة دائمة الى الاحذية • وجاء مئات من العمـال المهندسين للعمل في بناء الحلم الذي راود خيال توماس باتا منذ كان فـــي الثالثة عشر من عمره يدور في الحارات والشوارع • و •• قفة الاحذيـة القديمة على رأسه • ينادي عليها بصوته الموسيقي • وأخرج من بــرج مكتبه الخارطة الكبيرة للحلم الاسطوري • وتسأله زوجته :

— ولكنك لا تملك المال لكل هذا يا توم ! • فأجاب توم :

— اذا طالت هذه الحرب عاما اخر يا عزيزتي • فسيكون معي ضعف ما يتطلبه بناء هذه المدينة الصناعية التي أحلم بها من زمن • سأشيد أروع مدينة لصناعة الاحذية في العالم كله • لتذهب قرية زينم الى ذكريات الماضي وتقوم مكانهامدينتي •• باتافيل •





وشيد توماس باتا اروع مدينة لصناعة الاحذية في العالم

وسماها باتافيل

ويقول تاريخ باتافيل :

ان المصانع الصغيرة التي كان يعمل بها ٣٠٠ عامل عام ١٩١٣ ، صارت تضم بين جدرانها ٦٠٠٠ عامل في عام ١٩١٧ .

وما وافت سنة ١٩٣١ حتى بلغوا ٢٥ الف عامل ينتجون يوميا مئة وخمسة وثلاثين ألف زوج من الاحذية .

واختفت قرية زينم من الوجود . وقامت مكانها مدينة باتافيل الصناعية .. مدينة متكاملة في كل شيء يقول عنها صاحبها فخورا :

— كل شيء في هذه المدينة .. ملك لي وحدي . مساكن العمال في مجموعات من الاحياء مرتبة ترتيبا تصاعديا حسب رتبة كل مجموعة من المصانع . كل من يقطن في مساكن المدينة ، يعمل في مصانعي . كل المحلات الخاصة ببيع الاحذية والملابس ، تتبع المصانع . وكذلك البنوك والمدارس والصيدليات ومحلات بيع الدراجات للعمال . ملابس العمال تصنع من مصانع خاصة . وكذا سيارات الموظفين . كل شيء هنا يخدم المصانع . فالعامل يشتري من دكاكين البيع التابعة لي . ويضع من مدخراته في مصارفي . ويذهب اولادهم الى المدارس ويأكلوا في مطاعمي ويمارسوا الرياضة في فرق المصانع الرياضية . اطفال العامل يصبحون تلقائيا عمالا ومهندسين في مصانعي . او بائعين وموظفين في محلات بيع الاحذية التابعة لي في كل انحاء النمسا والمجر . القانون نفسه ، يتوقف عند أبواب مدينتي .. باتافيل ! .



وطالبته النمسا بضرائب طائلة فتهرب منها بأسلوب فريد .

انشأ شركة في سويسرا تحمل اسم (ليندر أكين) . وجعل منها

المالكة الوحيدة لكل مصانع باتا وفروعها في خمسين دولة • وصار وحده صاحب اسهم تلك الشركة القابضة • وحين ضيقوا عليه الخناق • باع الاسهم كلها بيعا صوريا لصديق طفولته فرانك موستا • وذلك في اليوم السابع من مارس عام ١٩٣٢ عندها •• فاجأ العالم بالمفاجأة الاخيرة الحاسمة •

الساعة الخامسة صباحا • وجرس التلفون يدق في غرفة نوم طياره الخاص •

— ألوا ! •

— روسيك ؟ •

— اجل ياسيد باتا •

— كن في المطار بعد نصف ساعة •

— سيدي أن •••

واغلق توماس السماعة في وجهه ! •

★ ★ ★

لم يعتد توماس باتا ان يناقش أحدا في قراراته •

وعلى الطيار أن يكون في المطار في الموعد الذي حدده •• الخامسة والنصف من صباح السابع من مارس عام ١٩٣٢ في مطار باتافيل • كانت تقف طائرته دائرة المحرك • قال له الطيار :

— لايمكننا ان نطير في هذا الجو ياسيد باتا • فرد عليه باتا :

— ومن يقول هذا ياعزيزي بروسك ؟ • قال الطيار :

— الجو ياسيدي • بيانات مصلحة الارصاد الجوية مروعة • ان مجرد التفكير في الاقلاع في جو كهذا •• يثير الرعب في قلبي • ضحك توماس باتا وقال مستهزئا :

ـــ هه ! • حسنا • ابق مكانك كما تشاء يا روسيك • اما انا ، فسأقــود طائرتي • قال الطيار :

ـــ سيدي • هذا انتحار ! • فأجابه توماس :

ـــ ايها الاحمق ! • انني لم أعتد أن اؤجل مؤتمراتي الصناعية • بعد ساعة ، سيعقد مؤتمر جنيف مع جميع مديري المصــانع والمصــارف التابعة لي في أركان المعمورة ولن أتخلف مهما قالت بيانات مصلحة الارصاد •

★ ★ ★

واضطر الطيار • الى ان يتخذ مكانه أمام عصا القيادة في الطائرة • وحلقت الطائرة في أجواء نفخ فيها الشيطان أبواقه •

بعد عشر دقائق من الطيران المضطرب • ودون أدنى أنذار •• هوت الطائرة ! •

وجدوا توماس باتا •• ميتا ويده على عصا القيادة •• دائما القائد حتى وهو في الطريق الى الموت ! •

وقامت الحرب العالمية الثانية ••

وكان لمصانع باتا دورا رئيسيا كبيرا في توريد أحذيــة الجيشـــ الالماني •• تماما كما حدث في الحرب العالمية الاولى •

وتفقد الناس ذات يوم الصديق القديم لتوماس باتا •• العجوز فرانك موستا • الذي كان توماس باتا قد باع له (صوريا) كل أسهم شركة ليندر أكين القابضة • فاذا به قد سافر الى اميريكا بأسمه واختفى في ارجائهـــا الواسعة ! •

أكان نصابا ؟ • أسرق الاسهم ليتمكن في يوم ما وبطريقته ،من سلب ملكيتها وارباحها ؟ •

لا احد يعلم بعد ان مات فقيرا معدما في غرفة حقيرة على سطح بيت متهدم في حي بروكلين في نيويورك •



ما ان ذكرت الصحف قصته ••

حتى طالب رجلان بملكية الاسهم • قال احدهما :

— أنا توماس باتا الصغير ، ابن توماس باتا الكبير صاحب الحق الاول في هذه الاسهم • كل شيء ملكي أنا الان • وقال الثاني :

— لالا • بل هي ملكي أنا •• جان باتا • ابن شقيق باتا الكبير • هذه الاسهم ملكي أنا بموجب عقد بيع لم يسجل عليه توقيع عمي ! •

★ ★ ★

ولا تزال القضية ••

أمام محكمة العدل الدولية •• حتى الان •

الملك فردريك الثالث و . . .

رباط العنق

عاد الموظف من عمله متعبا مرهقا .

استرخى على مقعده في غرفة النوم وتسارع الخدم لمعاونته في خلع ثيابه كالعادة .

ستة من الخدم (ولا تحسده ياعزيزي القاريء) . فذلك اقل عدد من الخدم لبيت متوسط الحال في منتصف القرن السابع عشر ! .

★ ★ ★

خادم يشغل باله بالسترة ..

واخر بغطاء الرأس والحذاء والجورب . أما الثالث فمستعد بالمقص .. مقص لامع حاد .

في عين حامل المقص نظرة شريرة غامضة . ويقترب بالمقص اللامع الحاد من عنق الموظف من الخلف وفي بطأ مثير . فيقول له سيده الموظف :

— برفق من فضلك . لا اريد ان اشعر بشيء .

ويرد عليه حامل المقص قائلا :

— اطمئن ياسيدي . سيتم كل شيء في هدوء . لن تشعر بألم بل .. لم تشعر بشيء على الاطلاق .

★ ★ ★

في لحظة .. تم كل شيء .

وتنهد السيد في راحة بعد ان تحررت رقبته من ضغط ربطة العنق وسقطت مقصوصة بمقص الخادم الخفيف اليد .

ويلتفت السيد الى خادمه ويقول له متذمرا :

— يا الهي ! . أكان يلزم أن يرغمنا جلالة الامبراطور على هذا الشيء الذي نلفه حول رقابنا قطعة سخيفة من القماش ؟ .

ويرد عليه الخادم :

— اسمح لي ياسيدي ان اقول ان اسمها اسخف منها .. كرافته ؟!. اسم سخيف . ما معنى ذلك ؟ . فيجاوبه سيده :

— ليس المسؤول بأعلم منها ياسائل وامرنا لله . نحن جميع موظفي الدولة ، علينا ان نطيع جلالة الامبراطور ونرتدي الكرافتة كلما ذهبنا الى العمل . ثم لانستطيع تحرير رقابنا منها الا بقصها كما تفعل معي كل يوم . وكل يوم كرافتة جديدة ! . ويسأله الخادم :

— هل صحيح ياسيدي ان جلالة الامبراطور يمنح الموظفين جميعا علاوة سخية لقاء ارتداء الكرافتة ؟ . ويأتيه الجواب من سيده قائلا :

— طبعا . والا فخبرني من اين نشتري كل يوم كرافتة جديدة مادمنا نقصها لنحرر رقابنا منها ؟ .

★ ★ ★

الخبر مثير .

كرافتة جديدة كل يوم في القرن السابع عشر . وعلاوة سخية لقاء ارتداء الكرافتة ! .

الخبر يستحق التحقيق . وعند الامبراطور فردريك الثالث ملك

بروسيا الخبر اليقين .

الرجل . الذي يرتعد امامه اعتى الرجال . قسوته وجبروته ونزقه وميله الى سفك الدماء .. تثير الرعب في قلوب وزرائه قبـــل قلـــوب خدمه ! .

ولكن . من اجل معرفة تاريخ الكرافته .. ركبنا الصـعب مـــن الامور وذهبنا الى قصر الامبراطور . ما أن رآني حتى ابتسم وقـال لـي مرحبا :

— كم انا سعيد جدا برؤيتك يا عزيزي . اهلا بك في قصري . اطلب ما تريد . كل طلباتك مجابة على الفور . قلت :

— عجبا ! . كم انت رقيق ياصاحب الجلالـــة ؟ . الان ايقنـــت ان اعداءك يكثرون عليك الكذب . قالوا لي انك ... ويقاطعني الملك ويقول :

— قالوا عني : قاس وعنيد ومحب لسفك الدماء . اليس كذلك ؟ .

— بل وابشع من ذلك يا مولاي . قال الملك :

— صدقني . انا على كل الذي قالوه أقر . ولولا شيء واحـــد .. لاكلت لحمك قبل عظامك ! . قلت :

— يالطيف ! . وما هذا الشيء الذي انقذ عظامي بعد لحمي يا صاحـب الجلالة ؟ . قال :

— الكرافتة التي حول عنقك ! . انها رائعة .. رائعة ! . ســـأطلب تعميم هذا اللون وطريقة عقدها في جميع مملكتي . قلت :

— ومن اجل هذه الكرافتة يا صاحب الجلالة جئتك . فالحقيقة . اننا نرتدي الكرافتة من زمن بعيد دون ان ندري من ايـن جاءتنا ؟ . قال الملك :

— جاءتكم مني انا ياعزيزي . لولاي لما طوقت الكرافتة عنق العالمين .
وسألته :

— وكيف اخترعتها يا صاحب الجلالة ولماذا اسميتها كرافتة ؟ . اجاب ضاحكا :

— لم اخترعها ياعزيزي . كل الذي حدث ، انني حين عزمت على الدخول في الحرب ضد گوستاف ملك السويد . استعنت بالمرتزقة من محاربي مرتزقة اوروبا الاشداء . واثناء استعراضي تلك القوات رأيت ما اثارني . فاستدعيت قائد احدى الفرق وسألته فأجابني :

— يا صاحب الجلالة . هذه شارتنا القومية . قلت :

— شارتكم القومية ؟ . قطعة سخيفة من القماش تلفونها حول رقابكم ؟.
اجاب :

— اجل يا صاحب الجلالة . ما من رجل محارب في بلادنا لايلف هذه القطعة من القماش حول رقبته تيمنا بها . وكلما تدلت عريضة على صدره .. كلما كانت حماية السماء له اقرب .وسألت القائد :

— ومن اي بلاد وسط اوروبا انتم ؟ . قال :

— نحن قبائل (الكرافات) ياصاحب الجلالة . قلت متعجبا :

— اوه ! . سمعت انكم مقاتلون اشداء . اسمع يا هذا ! . اذا انتصرنا اليوم بفضل فرقة قبائل الكرافات .. جعلتكم حرسي الخاص .

— هذا شرف لقبائل الكرافات ياصاحب الجلالة .

★ ★ ★

— وهل انتصرتم على الملك السويدي غوستاف ياصاحب الجلالة في ذلك اليوم ؟ .

— اجل . وهل يجهل احد هزيمة گوستاف المنكرة يوم الثلاثين من



واصدر الملك قانونا الزم بموجبه جميع موظفي الدولة ارتداء اربطة العنق (الكرافتة) وجعل عقوبة عدم ارتدائها الاعدام فورا !

يوليو عام ١٦٨٢ في موقعة دنكرك ؟ • كان الانتصار بفضل شجاعة قبائل الكرافات •

— اهذه هي القبائل التي تسكن جبال وأودية الكرافات وسط اوروبا ياصاحب الجلالة ؟ •

— اجل •• اجل •

— وهل جعلتهم حرسك الخاص ؟ •

— طبعا • وهذا شرف لايصل اليه اشجع الشجعان من جنود بلادي • ومن فرط سرورهم اخذوا يتباهون في شوارع العاصمة بربطة العنق التي اشتهروا بها فأسميتهم فرقة الكرافات الامبراطورية وحرمت على غيرهم ممن يريدون تقليدهم ، ارتداء ربطات العنق هذه •

— ولكن الجنود والمواطنون جميعا يستخدمونها الان يا صاحب الجلالة ! •

— لا بأس • فلقد تبدى الغرور بافراد فرقة الكرافات الامبراطورية بسبب هذا الشرف الذي خصصتهم به ، فتعالوا فخرا وكبرياء على بقية افراد الجيش • عندها حرمتهم من ذلك الشرف بأن عممت ارتداء ربطة العنق التي تميزوا بها عن سواهم واصدرت قانونا يلزم الموظفين جميعا بارتدائها اثناء العمل • كما يلزم الضباط والجنود بلفها حول رقبتهم اثناء الاستعراضات العسكرية وجعلت عقوبة عدم ارتدائها •• الاعدام فورا ! •

— واسميتها الكرافتة ياصاحب الجلالة ؟ •

— تماما يا عزيزي • وأردت ان اكون قدوة لشعبي •• فارتديت اول كرافتة في حياتي • عقدتها في ساعة غضب اوشكت ان تخنقني • ولم ينقذني من الموت شنقا غير خادمي حامل المقص •

★ ★ ★

ونسأل الامبراطور :

— وانتقاما من شعبك ، امرت ان يعقدوا كرافاتهم على ذلك الوضع الخانق فكان لابد ان يستخدموا المقص مثلك للتخلص منها كل يوم ؟ • يا للتسلط الغاشم •

واجاب جلالته :

— اي تصرف تعني يا عزيزي ؟ • الم امنحهم علاوة سخية يعرفها التاريخ بأسم علاوة كرافتات الامبراطور فردريك ؟ • ولكن خبرني • فكرافات شعبي من القطن او الصوف فما بال كرافتك هذه من الحرير ؟ • قلت :

— سأهبك منها واحدة حريرية يا صاحب الجلالة • قال الملك :

— ماذا ؟ • تريد مني بأن يصبح عنقي بهذه الكرافتة ذات الالوان الزاهية كمهرج في سيرك ؟ لا ياسيدي فردريك وشعبه لا يرتدون غير الكرافتات السوداء فقط •• مفهوم !؟• قلت : نعم ياصاحب الجلالة •

★ ★ ★

بعد ان مات فردريك الثالث ملك بروسيا •

تحررت رقاب شعبه من الكرافات بقرار امبراطوري لولده ولهلم • ولكنها كانت قد تسللت الى رقاب الشعوب الاخرى وصارت تعقد على اشكال وانماط مختلفة واسموها :

عقدة بايرون ، عقدة بلزاك ، عقدة شيفال ، عقدة جورجينا (المرأة المسترجلة) • بل حين عاد الفرنسيون من الشرق • صارت المودة هي عقدة المماليك • اما اللون • فقد كان مفردا لا يتغير •

بعض الشعوب كانوا يفضلونها سوداء • واخرون احبوها حمراء • وسواهم ارتدوها خضراء او زرقاء •

الاسبان فضلوها بيضاء ولا ندري لماذا ؟ • ولا احد يدري كيف تمردت الكرافتة ذات يوم على اللون الواحد الوانا متعددة زاهية ورسوما غريبة ايضا • وذات يوم جاء من يقول :

— انا اعرف ياسيدي متى حدث ذلك وكيف ؟ • وسألناه :

— و •• من انت ياسيدي ؟ • فأجاب :

— اسمي اندريه كاملاه سكرتير صاحب الفخامة فليبس فورد رئيس الجمهورية الفرنسية في الفترة من عام ١٨٨٥ الى عام ١٨٩٩ •

— حسنا وما دخل وظيفتك تلك يا سيد اندريه في علمك بتاريخ الكرافتة واغتصابها الالوان الزاهية المتعددة ؟ • قال اندريه :

— عجبا لك ياسيدي • لكأنك لا تعرف ان فيليب رئيس الجمهورية الفرنسية كان ملك الموضة في اوروبا في عصره ؟ • لا احد ينسى انه كان اول من ارتدى الصديري الابيض •• اول من وضع على حذائه الغطاء الصوفي الملون • اول من وضع على رأسه القبعة ذات الحواشي الضيقة • اول من علق الوردة في ياقة السترة •

كان فيلبس فورد كما قلت لك ، ملك الموضة في اوروبا في عصره • يبدأ البدعة فيتلقفها اصحاب الاناقة والوجاهة بعده • ويتكفلون في هذا الجهد الكبير وينفقون في سبيل تقليده ثروات صغيرة او كبيرة • ولكن ياسيدي لاتنس ان فورد كان لاينام الليل غيرة من ملك اخر ملك الموضة ينافسه في ذلك الميدان منافسة شديدة •

ونسأله :

— ومن ذاك الملك يا سيد اندريه ؟ • فيجيب :

— ولي عهد انكلترا ياسيدي •• ادوارد •• امير ويلز •

— تعني الذي صار فيما بعد ادوارد السابع بعد موت امه الملكة فكتوريا ؟ •

— اجل • فقد كان ادوارد هو المنافس الحقيقي الخطير لسيدي رئيس الجمهورية في ميدان الموضة وقد حدث ان استدعاني سيدي ذات يوم وقال لي :

— اسمع يا اندريه • لعلك علمت ان ادوارد ولي عهد انكلترا يزمع زيارة فرنسا زيارة رسمية ؟ •

— قلت : اجل يا صاحب الفخامة • الناس جميعا هنا يتشوقون الى رؤيته لعلمهم انه سيحاول ان يرتدي في ثيابه كل جديد ومثير • قال الملك :

— هذا الرجل يا اندريه • يريد ان يتفوق علي مهما كلفه الامر • ولكني لن امكنه من ذلك • لهذا لابد ان اعرف سلفا ماسوف يرتديه كي افسد عليه متعة ابهار الناس بمفاجآته المثيرة • يجب ان احرم له تلك المفاجأة • اني اعتمد عليك في هذا يا اندريه • ستذهب الى انكلترا ملحقا في سفارتنا هناك بمهمتين • مهمة علنية ومهمة سرية • اما العلنية فهي القيام على راحة صاحب السمو ولي العهد ادوارد اثناء رحلته من لندن الى باريس • أما المهمة السرية فهي لمعرفة كل جديد في الثياب التي سيرتديها من القبعة الى الحذاء • لاتهمل اي شيء مهما صغر فلهذا الرجل مفاجأة مثيرة يا اندريه •
قلت لجلالته :

— لن يفوتني شيء ياصاحب الفخامة • اجاب :

— حسنا • سافر من الغد يا اندريه • اما انا فسأعد لهذا المخادع مفاجأة في الموضة لا تخطر له على بال • سأنتصر عليه يا اندريه •• سأنتصر عليه • ولكن بحق السماء لاتخذلني • ارسل الي بكل التفاصيل يوما بيوم •

★ ★ ★

وحين وصل موكب الملك الى ميناء هارفرد ..

كان سيده فيليب فورد على علم كامل بكل ما في حقائب ادوارد من مفاجآت الموضة . ولكن الرجل الماكر فاجأه في الحفل الساهر الذي اقامه له فورد حين اذهل النساء والرجال اعجابا . فوقفوا امامه والدهشة والاعجاب على وجوههم . بينما كانت الحسرة بكل مرارتها ترتسم على وجه سيده رئيس الجمهورية المهزوم في ميدانه .

فقد كان ادوارد يرتدي كرافتة ذات خطوط متعارضة مختلفة الالوان . وفي كل مربع ناشيء من ثلاث خطوط ملونة .. وردة حمراء بالغة التجانس مع بقية الالوان الاخرى . وهكذا ، خرجت الى الوجود الكرافتة ذات الالوان المتعددة .

وهكذا ايضا ..

مرض فيليب فورد لستة ايام متتالية هي مدة زيارة ولي عهد انكلترا الانيق لفرنسا ! .

شارل العاشر

الملك الذي طرده شعبه !

طردت فرنسا مليكها شارل العاشر • تنازل عن العرش وفر هـــو وأسرته الى انكلترا وقبع هناك ضيفا قانعا بحاله راضيا بمصيره •

ولكن ابنته دوقة ديفيري • لم ترضى ولم تقنع •

رآها أبوها ذات يوم في ثياب الفرسان •• غدارة في كل جـــانب ، وسيف صغير معلق في حزام وسطها • وسألها :

— ماهذا يا ابنتي ؟ • متى خلعت ثياب النساء واتخذت ثياب الرجال ؟ •
أجابت :

— منذ قررت ان أسترد التاج يا والدي •
وسخر الوالد من قولها وقال لها :

— التاج ؟ • هه ! • التاج ، تنازلنا عنه يا ابنتي • وأرغمني الثوار أيضا على ان اتنازل عن حق ولدي فيه • واجابته الدوقة :

— ولكني أنا لم أتنازل • لقد تنازلت أنت يا ابي عن حق ولدك • ولكن لاحق لاحد ان يتنازل عن حق حفيدك •• ابني هنري الثامن •

— هه ! • يا ابنتي • انك لاتفكرين في تعقل • لقد اغتصب العرش هذا المدعي لويس فيليب • وأيده المجلس والشعب الذي طالما أيدني • تخلى عنا وها هو اليوم يهتف للمغتصب في ذهابه وايابه • ابنتي • هل تعرفين معنى المطالبة بالتاج لحفيدي هنري ؟ •

— أجل . معناها الحرب يا والدي .
— الحرب الاهلية يا ابنتي . الاخ يقاتل أخاه .. الابن يقتل أباه ! .
— لن يحدث هذا يا والدي . فوران يعلم المغتصب ان الشعب الفرنسي لايريده .. لن يقاوم . سيستسلم .
— هه ! . كما استسلمنا نحن يا ابنتي .
— لكن أنا على ثقة يا والدي من ان لويس فيليب سينهار فور أن يعلم ان الشعب الفرنسي في الغرب يطالبه بالتنازل لصالح الشرعية .. لصالح ولدي حفيدك هنري الثامن . وسألها ابوها :
— ومن اين لك هذه الثقة يا ابنتي ؟ . قالت :
— لقد كتبت الى زوجته الملكة خالتي . فردت معترفة بأن لولدي حقا لا ينكر في عرش فرنسا . هه ! . ولكنها ما دفعت زوجها لويس فيليب الى قبول التاج الا حين أبدى الشعب سخطه علينا ورضاه المغتصب .
— ياعزيزتي . الملكة خالتك لا تستطيع ان تحمل زوجها على مالا تريده. فلويس فيليب متمسك كل التمسك بالعرش الذي وجد نفسه فوقه ذات يوم . لا أمل يا ابنتي .. لا أمل . وتجيبه الدوقة ابنته :
— بل الامل أكبر مما تتصور يا ابتي . ويسألها الوالد :
— فما هي خطتك ؟ . فتجيبه :
— لقد اتصلت سرا بكبار الساسة المعارضين لحكم لويس فيليب . فهمت منهم ان وجودي بفرنسا سيجمع حولي المخلصين لنا . هه ! . عندها يسقط في يدي المغتصب . وعندي اكوام من رسائلهم وكلها تشترط أن اعود الى فرنسا . وستنشب الثورة ضد لويس فيليب فور عودتي . كل شيء جاهز يا والدي . فما معنى التردد ؟ .



وسافرت الدوقة سرا الى فرنسا •

امرأة في الثانية والعشرين من عمرها • رقيقة ، حليمة • عاشت حياتها مدللة معززة مكرمة • تجد نفسها في فرنسا مركز النشاط الثوري ضد الملك لويس فيليب • تفر من مدينة الى مدينة ، تطاردها القوى التي أطلقها خلفها الجالس على عرش فرنسا برضى البرلمان •

استقرت أخيرا في منطقة (الباندي) • المقاطعة التي كانت دوما حربا على كل من يحاول اغتصاب التاج من آل كابيه الذين أعطوا فرنسا ملوكها العظام من لويس التاسع حتى لويس الثامن عشر • وهي الان تنادي بولدها ملكا على عرش أجداده • والباندي كلها تؤيدها • وقد كانت لها مغامراتها المثيرة حتى اضطرت في نهاية الامر الى الاختفاء في بيت أحد اشراف مدينة نان • وطال البحث عنها دون ان تعثر لها القوات الحكومية على اي أثر •

واخيرا •• نما الى علم الملك انها في نان ولكن اين من نان ؟ • قالت لصاحب الدار :

— المدينة مليئة بجواسيس الملك يا عزيزي جولي وأخشى ان تضار بسبب وجودي بدارك • فقال لها :

— يا صاحبة السمو • انني وبناتي نبذل حياتنا رخيصة من اجل القضية • لن يأتي الى بال احد انك في داري • وقد أعددت لك جناحا بعيدا عن الشارع يحسن ان لا تضاء فيه الانوار ليلا حتى يبقى الناس على ظنهم بأنه مهجور • وحتى لو علم أحد • فليس في نان من يخونك يا صاحبة السمو •• الجميع معك • وأجابته الدوقة :

— ولكن قوات لويس فيليب كلها تطاردني يا عزيزي جولي • واخشى ان أفاجأ ذات يوم بقوات الشرطة او الجيش تفتش كل ركن من

هذه الدار • فقال لها جولي :

— لقد اعددت لكل شيء عدته يا صاحبة السمو • وسألته : كيف ؟ • أجاب جولي :

— في الغرفة الكبيرة في جناحك المهجور ، توجد مدفأة • فوقها بين الجدران ، مساحة تكفي لايواء اكثر من ثلاثة اشخاص • جعلت لهذه المساحة بابا سريا من الحديد ينفذ اليه من خلال المدفأة • فاذا حدث وداهم المنزل داهم • فما عليك الا الاسراع الى تلك المساحة عبر المدفأة ثم •• اغلقي الباب الحديدي السري • عندها لن يتمكن الشيطان نفسه من معرفة هذا المكمن الآمن •

★ ★ ★

من الغرفة الكبيرة في الجناح المهجور ••

خرجت رسائل الدوقة ديفيري تترى الى كل انصارها على طول البلاد وعرضها • بل •• الى ملوك اوروبا ، تستعديهم على المغتصب •

ومرت شهور خمسة • والحكومة لا تعرف كيف تخرج تلك الرسائل من فرنسا • وكيف تدخل ردودها وتصل الى الدوقة •

كان من المستحيل الوصول الى مكان الدوقة الا عن طريق الخيانة • وكان من الضروري البحث عن خائن • وقد وجدت الحكومة هذا الخائن في شخص من يدعى دوتس • فذات يوم • وصلت الى وزير الداخلية هذه الرسالة :

— اذا اردت معرفة مكان الدوقة ديفيريه • فقابلني في التاسعة مساء الغد في الشانزيليه •



وعرض وزير الداخلية بيير هذه الرسالة الغفل من التوقيع على مدير الامن العام الذي قال له :

— لا أنصح ياسيدي بالذهاب اليه • من يدري ؟ • لعله كمين لاغتيالك • واجابه الوزير :

— ربما • ولكن • لامفر من المجازفة • فالملك يطالبني ليل نهار بالقبض على الدوقة • فحتى متى نتركها تعبث بالعرش هذا العبث المؤسف ؟• فسأله مدير الامن :

— هل تتوقع ان يكون صاحب هذا الخط احد رجالها ياسيدي ؟ • فرد الوزير قائلا :

— من يدري ؟ • يجب ان نجري وراء اي أثر للدوقة • فقال له مدير الامن :

— احساسي يقول ان احد رجالها قرر خيانتها (لقاء المال طبعا) •

★ ★ ★

وذهب وزير الداخلية في الموعد وقابل الخائن الذي قال :

— سأسلمها لكم لقاء مليون فرنك ! • ورد عليه الوزير :

— ولكن هذا مبلغ كبير ! • قال الخائن : لن أقبل اقل من مليون بفرنك واحد • فقال له الوزير :

— حسنا • أين هي ؟ • اجاب :

— لست واثقا تماما من مكانها • ولكني سأكون واثقا بعد أيام • فقال له الوزير :

— ولماذا طلبت مقابلتي قبل ان يكون لديك ماتبيعه ؟ • قال الخائن :

— انها في نان • فرد الوزير ساخرا :

— نعلم جميعا انها في نان • ولكن أين هي ؟ • في بيت من ؟ • لقد

فتشنا كل بيوت المدينة تقريبا فلم نجدها • قال الخائن :

— أمهلني اسبوعا ياسيدي الوزير واعطني شيئا على الحساب • واجابه الوزير :

— لن تأخذ شيئا قبل ان نعرف منك اين هي على وجه التحديـــد ؟ • وايضا ليس قبل القبض عليها • •

— اذن فلن تعرفوا مني شيئا •

— في هذه الحالة يا رجل • سآمر بالقبض عليك بتهمة التآمر • قـــال الخائن :

— حسنا • حسنا • امهلني أسبوعا ياسيدي •



كان هذا الخائن دوتس ••

يقوم لحساب الدوقة بدور ساعي البريد مع ملوك اوروبا • وكـان مركز نشاطه في ا سبانيا وايطاليا والبرتغال وكان على موعد معها •

أخذه الوسيط الى •• دار السيد جولي وسأله :

— هل سأقابل سموها في دارك ياسيد جولي المرة ايضا ؟ • قال جولي :

— أجل • سأله دوتس :

— أهي تقيم هنا ؟ •

— كلا •

— أين اذن ؟ •

— لا أعرف •

— اذن كيف تقابلني في كل مرة ؟ •

— ولماذا تسأل ؟ •

— مجرد سؤال •

ـــ الدوقة تقيم في منزل اخر ياسيد • ولا تأتي الى هنا الا حين تحـدد لاحد رجالها موعدا في هذه الدار •

ـــ وهل جاءت ؟•

ـــ لالالا • ليس بعد • أبق معنا حتى تأتي •

★ ★ ★

بعد نصف ساعة ••

سمع دوتس وقع عجلات عربة تقف أمام الدار وأقدام سيدة تغـادر وتصعد الدرج • ظن انها هي الدوقة ديفيري • فقال لنفسه :

ـــ انها تقيم في مكان غير هذا اذن • فلم يكذبني السيد جولي • وكان مخطئا طبعا •

فما جاءت العربة الا باحدى بنات السيد جولي نفسه لايهام دوتـس بانها الدوقة جاءت من مكان اقامتها لتقابله •

في نفس اللحظات • كانت الدوقة تغادر جناحها في كامـل ثيابهـا • وقابلت دوتس في احدى حجرات المنزل •

بعدها بايام ••

عاد دوتس ليقابل الدوقة بشأن رسالة كلفته بحملها الى نابولي • كان يظن انها تأتي الى ذلك المنزل حسب الموعد المحدد • ولم يكن يدري انهـا تقيم على بعد خطوات من غرفة المقابلة • ولكنه هذه المرة استدرك مافاتـه •

فقد رأى من الباب الموارب لغرفة الطعام طرف ثوب الدوقة فعـرف ان هذا البيت هو مخبأها • قال في نفسه : أستطيع الان ان احصل علـى المليون فرنك من السيد بيير •



كان قد وصل الدوقة ..

خطاب يحذرها من خيانة احد رجالها . قالت لدوتس وهي توصيه برسالتها الى ملك نابولي :

— لقد وصلتني منذ ايام ياسيد دوتس رسالة عجيبة أحب أن اطلعك عليها . فقال لهادوتس :

— و .. لماذا تريدين يا صاحبة السمو ان تطلعيني على تلك الرسالة بالذات ؟ . أجابت :

— لان بها مايثير الدهشة حقا ياسيد دوتس . هذه رسالة تزعم ان احد خاصيتي قد خانني عند وزير الداخلية بيير لقاء مليون فرنك ! . فرد عليها دوتس :

— أ .. ومالي انا وهذا ياصاحبة السمو ؟ . فقالت له :

— انظر ! . انظر الى الرسالة لعلك تعرف صاحبها من خطه . قال دوتس :

— أ .. لا أعرف صاحب هذه الرسالة . فقالت له :

— هه ! . لقد فكرت طويلا في هذا الامر ياسيد دوتس . أ .. يحتمل ان تكون انت الذي باعني الى بيير ؟ . فرد دوتس ساخرا : هذا غير محتمل ياصاحبة السمو . فقالت له :

— هل حدث ذلك فعلا يا دوتس ؟ . وأجابها دوتس بشيء من الاستهزاء :

— يا صاحبة السمو . هل كنت أجسر على مقابلتك لو انني هويت الى حضيض الخيانة ؟ . فأجابته الدوقة :

— هه ! . كل شيء محتمل . ولكن ثق يا عزيزي دوتس ان لا أحد يعرف مكاني . قل هذا للسيد بيير اذا قابلته . فرد دوتس قائلا :

— انني لا أقابله يا صاحبة السمو . و .. أرجو ان تعفيني من سوء

ظنك . ضحكت الدوقة وقالت :

ـــ لقد كنت امزح يا دوتس . هذا كل ما في الامر . انا واثقة من .. من أمانتك يا عزيزي دوتس .

★ ★ ★

والعجيب يا أخي القارىء ..

انها كانت واثقة فعلا من أمانته . وما قالت له ما قالت .. الا مزاحا وتسلية بريئة . لكن دوتس كان قد عرف ما يريد .

• غادر نان الى باريس . بعدها بيومين وعلى التحديد يوم العاشر من ابريل عام ١٨٣٣ . كان السيد جولي في غرفة الطعام يتطلع الى الشارع ثم .. صاح فجأة :

ـــ اهربي .. اهربي يا صاحبة السمو . اهربي على عجل ! . الشارع مليء بالشرطة والجند . وصاحت الدوقة :

ـــ أوه يا الهي ! . كيف عرفوا مكاني ؟ . فقال جولي :

ـــ لا أدري . انها خيانة دون شك . اهربي الى الغرفة الصغيرة فوق المدفأة . وردت عليه الدوقة :

ـــ لا تخف يا عزيزي جولي . لن يتمكن الشيطان نفسه من معرفة مكاني فوق المدفأة . قالت لها صاحبة الدار :

ـــ خذي السيد جولي سكرتيرك معك . لو رأوه لاعدموه على الفور . انه من بين المطلوبين وستذهب معك احدى بناتي . لكن الدوقة صاحت بجولي قائلة :

ـــ لا تخف ياعزيزي .. لا تخف . لن يتوصلوا ابدا الى مكاني فوق المدفأة . هيا .. هيا ياسيد جولي . وانت ايضا يا آنسة داكه . يقال انك ايضا بين من يطلبون برأسها .

★ ★ ★

وعلى عجل ..

أدلفت الدوقة ومن معها الى الباب السري عبر المدفأة .. الى الغرفة الصغيرة فوقها . مساحة لا تزيد عن متر في متر . يقف بها ثلاثة اشخاص في انتظار انتهاء التفتيش . واقتحم الجنود البيت .

فتشوه بوصة بوصة . ولكن لم يجدوا شيئا . قال أحدهم : انها لم تغادر الدار . انا واثق من هذا . ورد عليه اخر : ولكننا فتشنا الدار كلهـــا . لعلها الان في طريقها الى نان ؟ . أجابه صديقه : لالا . لقد كنت اراقـب الدار قبل وصولكم . انها في الدار وأنا واثق من هذا .

★ ★ ★

واعادوا التفتيش مرة اخـــرى ولكـــن دون جـــدوى . فقرروا الانصراف .

لكن رئيس القوة قال فجأة :

— سنبقي في كل غرفة بالدار جنديين . مـــن يدري ؟ لعلها تطمئن اذا غادرنا الدار وتعود من جديد .

وكانت تلك هي الطامة الكبرى .

فقد جلس الجنديان في غرفة المدفأة يتبادلان الحديث في هدوء مـــن عول على البقاء بقية ذلك اليوم ثم ليلته . وتهامس الثلاثة فيما بينهم . قالت الدوقة :

— كأنما يستعدان للمبيت في القاعة ؟ . ورد عليها سكرتيرها قائلا :

— أجل . يخيل الي انهما لن يغادرا الغرفة اثناء الليل أيضا . تشجعي يا صاحبة السمو .

— وردت الدوقة وقالت :



ولبست ابنة الملك ثياب الفرسان وغدارة في كل جانب وسيفا صغيرا معلقا في حزامها وراحت متنكرة من بريطانيا الى فرنسا لتستعيد عرش والدها المخلوع !٠

— وهل أمامي غير هذا يا عزيزي جولي ؟ • لقد جلبت عليك المتاعب •
فقال جولي :

— اذا احتملنا الوقـوف فـي هذا المكان طيلة الليل • فسينصرفون فـي الصباح •

★ ★ ★

وجاءت كلمة الختام حين شرع الجنديان في اشعال المدفأة ! •

لم تكن الليلة باردة • ولكنهما اعجبا بالمدفأة وبنائها • فعزما علـى استعمالها • مجرد سوء حظ •

مع الدخان والحرارة •• انهارت مقاومة الدوقة الهاربـة • مـرات وثوبها يشتعل من الحرارة القاسية التي تلهب أرضية الغرفة الصغيرة فوق المدفأة • صاحت وهي تسعل سعالا قويا :

— آه ! •• آه ! • أوه •• أوه ! •

وأخيرا • لم تعد تحتمل •صاحت بالجنديين :

— كفوا ! •• كفوا ! • كفوا عن اشعال النار في المدفأة • اني •• اني استسلم ! •

قادوها في احترام شديد الى قلعة نان • فلم تكن بعد كل شيء ، سوى ابنة ملكهم السابق • وقبض دوتس المكافأة •• مليون فرنك ! •

ومن عجائب القدر يا أخي القاريء ••

انه خسر المبلغ كله على مائدة القمار ثم •• انتحر من الفاقة فـي احدى حانات البرتغال •

اما دوقة ديفيري • فقد اعادوها الى ابيها في انكلترا • ولكنها لـن تكف عن التآمر •

ظلت تكيد في منفاها للملك لويس فيليب ، حتى اشعلت الثورة ضده • وحين ظنت ان التاج قد اقترب من رأس ولدها هنري •• أعلن الشـعب الفرنسي •• الجمهورية ! •



الينورا

الملكة التي ذبحوها وزوجها ذبح النعاج !

مأساة الصغار والكبار الذين يتطلعون في شراهة الى أيدي ما في الغير . فيطمعون على الاثراء على حساب شعوب امنت لهم اغتصاب السلطان وسلب الحق من .. صاحب الحق . غير انه لايصح في النهاية .. غير الصحيح . ففي الثالث والعشرين من شهر نيسان (ابريل) عام ١٦١٧ . يعتدل الميزان في فرنسا وتعود الحقوق المسلوبة كلها الى الملك الشرعي . ويلقى المغتصب وزوجته (الكريهة) مصرعهما .. مأساة المارشال كونشيني وزوجته الينورا .

والبداية . كانت يوم وصلت الى ميناء مرسيليا في نوفمبر عام ١٦٠٠ ، الاميرة ماري ميديتشي ابنة الامير فرنسوا .. امير دوستانيا لتتزوج من هنري الرابع ملك فرنسا الذي طلق زوجته الخائنة (مارگو) .

والاميرة القادمة الى حفل عرسها .. جميلة وان كان قوامها ممتلئا اكثر قليلا مما ينبغي . ولكن بشرتها رائعة في ملمس المخمل وفي لون الورد واللبن .

قالت لها وصيفتها وهي تهم بالنزول من العربة :

— لا تغادري العربة يا صاحبة الجلالة قبل ان اصفف لك شعرك .

وترد الاميرة ضاحكة :

— دعي هذا يا الينورا الى ما بعد وصولي الى باريس •

— هه ! • بعد وصولك ؟ • مستحيل يا صاحبة الجلالة • يبدو انك لا تعرفين عيون الفرنسيين الفاحصة ؟ • يجب ان تظهر الملكة بمظهر يثير اعجاب وغيرة كل أميرات فرنسا • قالت لها الملكة :

— أ •• كما تشائين يا الينورا • أ •• ولكن • الا ترين أنك تبالغين قليلا حين تنادينني بـ صاحبة الجلالة ؟ • أ •• انني لم اتزوج الملك بعد •

— هه ! • ولماذا جئت اذن من دوستانيا يا صاحبة الجلالة ؟ • لتلاعبي هنري الرابع •• الشطرنج ؟ • ضحكت الملكة وقالت لوصيفتها :

— يالك من ماكرة • الحق انني لا أدري ماذا كنت أفعل لولاك يا الينورا ؟ •

— مولاتي • اعتمدي دائما على •• الينورا •

★ ★ ★

تلك هي الينورا وصيفة الملكة ماري ميديتشي •

نفوذها عليها طاغ • فهي ابنة مرضعتها نشأت في الفاقة • أمها غاسلة ثياب وأبوها •• حفار القبور •

ولكن الام دخلت في غفلة من الزمن الى بلاط أمير دوستانيا كمرضعة لابنته الاميرة ماري فدخلت معها الينورا • ومن يومها قالوا لها : الينورا العمة الكريهة ! •

★ ★ ★

هكذا كانوا يسمونها في دوستانيا •

قوام نحيف نحافة معيبة • ووجه شاءت قوانين الوراثة ان تعبث به

عبثا غير رحيم •

انف مقوس يشبه خرطوم الفيل • وفم بدون شفتين •• مجرد ثقب للكلام وللطعام ! • اما العينان الثاقبتان ، فيطل منهما في صراحة • شيطان مقيت لايعرف الخجل ولا الحياء • وتلك هي •• ماشطة الملكة ! •

الفتاة التي استطاعت بدهاء عجيب ، ان تسيطر على ماري ميديتشي • فلا تقبل سوى نصيحتها • ولا تستجيب الا لارادتها • قالوا عنها همسا :

— انها تصادق الجن والعفاريت • وان لها اتصالا بالقوى الخفية • وقال اخرون : انها تمارس السحر عن طريق صديقها •• ابليس ! •

★ ★ ★

ولم تأت ماري ميديتشي بهذه الساحرة الكريهة وحدها •

بل جاءت وفي حاشيتها ، خليط عجيب من الرجال والنساء • (ايطاليين وايطاليات) • وكان اكبر هؤلاء القادمين طرا هو •• السيد كونشيني •

اختلف الناس في أصله • منهم من قال :

— ابوه من أمراء ايطاليا الذين اختنى عليهم الزمن • فعمل هو وابنه في خدمة أمير دوستانيا • مثال النبيل الشريف • واخرون قالوا :

— هراء ! • بل هو ابن سائق عربة من عربات أمير دوستانيا • وهو مثال الافاق الذي لايراعي الذمة ولا يعرف الوفاء • متطلع حقير ، يبيع أمه لقاء الذهب الرنان ! •

★ ★ ★

كيفما كانت الحقيقة في شأنه ••

فقد قال يوم توسل الى أمير دوستانيا أن يذهب في حاشية ابنته الى

فرنسا • قال :

ـــ سأذهب الى فرنسا لاغدو من اثرى الاثرياء او •• أموت ! •

والعجب • ان أمنيته تحققت بشقيها •

صار فعلا من أثرى الاثرياء • ثم •• لقي مصرعه من جراء جشعه الذي لا حدود له • تطلع الي الدخول في حاشية الملك هنري الرابع • وعرضت قائمة خدم الملكة الجديدة على وجه الانطلاق على الكونت بلكارد ما ان رأى القائمة حتى صاح :

ـــ من هذا الذي أرى خطا بالقلم الاحمر تحت اسمه ؟ • فأجابوه :

ـــ انه السيد كونشيني • وتساءل بلكارد في سخرية :

ـــ انني أعرف القراءة أيها الفتى • من يكون هذا الكونشيني ؟ • ومن وضع الخط الاحمر تحت اسمه ؟ • قال الفتى :

ـــ لا أعرف يا كونت • لعلها جلالة الملكة ؟ • فقال له بلكارد :

ـــ ولماذا تريد ادخاله في حاشية جلالة الملك ؟ • ماذا يتقن من الامور ؟ •

ـــ لا أدري يا كونت • قال بلكارد :

ـــ لا يجب على أي حال أن تزداد الحاشية ايطالي جديد • الاسم مرفوض ! •

* * *

ولم يستطع كونشيني ان يتسلل الى حاشية الملك •

ولكن • من الذي وضع اسمه في قائمة المرشحين ؟ • بل من أيد ترشيحه بوضع الخط الاحمر تحت اسمه ؟ •

وجاءت الينورا الى الاميرة لتقول لها في حسرة :

ـــ لقد رفضوه يا مولاتي • وسألتها الاميرة :

— رفضوا من يا الينورا ؟ • قالت الينورا :
— السيد كونشيني ياмولاتي •
— أوه ! • صادته المصيدة اذن ؟ •
— مولاتي • هل تعجزين من عاطفة شريفة كهذه التي يحملها لـك كونشيني ؟ •
— لا • ولكنه حتى الان ، لم يكلمني في الزواج •
— لعله ينتظر حتى يدخل في حاشية الملك • وها هو الكونت بلكارد يرفض اسمه • كان يجب ياмولاتي ان تحدثيه في الامر بصفة شخصية • قالت الملكة :
— وددت لو في استطاعتي ان افعل هذا يا الينورا •
— ولماذا لاتستطيعين ياصاحبة الجلالة ؟ • قالت الملكة :
— لان بلكارد هو صوت سيده الملك هنري • فاذا رفض بلكارد شيئا ، فثقي ان الملك سيؤيده في هذا الرفض على طول الخط • وسألتها الينورا :
— اذن لا أمل في الزواج من كونشيني ياмولاتي • قالت الملكة :
— اتحبينه حقا يا الينورا ؟ • فأجابت :
— جدا يا مولاتي •
— وهو ؟ • هل أنت واثقة من حبه لك ؟ •
— أ •• تقريبا •
— اذن • انت تغامرين من فتى لاتثقين في حبه ! •
— انه يحبني ياصاحبة الجلالة • أشعر بهذا • ولكنه ، يحب المال والشهرة والمجد •• اكثر مما يحب أي شيء سواه •
— اوه ! • طموح اذن ؟ •
— اكثر من اللازم ياмولاتي • ولكن المصيبة ، انني أحبه رغم ذلك •

— حسنا • أ •• ما رأيك لو جعلته في حاشيتي أنا ؟ •

— حقا يامولاتي ؟ •

— سأفعل هذا على الفور اذا تقدم وطلب يدك رسميا يا الينورا •

★ ★ ★

و •• تقدم كونشيني وطلب يد الينورا القبيحة •

ووافقت الملكة على الفور بعد ان ضمته الى حاشيتها • ولكن الملك هنري الرابع • قال على لسان وزير البلاط :

— بلكارد ! • لا اوافق على زواج السيد كونشيني بوصيفة زوجتي الملكة • وقال كونشيني حين علم بالرفض ساخرا :

— ليرفض الملك ماشاء له الرفض • المهم انني صرت رسميا في حاشية الملكة وسأتزوج الينورا في يوم من الايام • وحتى اذا لم اتزوج ، فهي تحبني ولا ترفض طلبا • ان الينورا تحكم الملكة • وانا احكم الينورا ! •

★ ★ ★

وسارت الامور على حين فجأة في صالح كونشيني •

فقد كان الصراع في ذلك الوقت مشتعل الاوار بين الملكة وبين عشيقة الملك • واستطاع كونشيني بلباقته وظرفه ولطف محضره ، ان يسوي الخلاف بين الغريمتين فيهدأ بال الملك •• المولع بالنساء •

هذه المرة ••

يقول بلكارد وزير البلاط للفتى المغامر :

— ان صاحب الجلالة لا يجد الان ما يمنع من زواجك بالانسة الينورا ياكونشيني • ويتزوجها كونشيني •

ويصبح من تاريخ زواجه بها ، صاحب الكلمة الاولى في بلاط الملكة . ثم يبدأ في دس انفه رويدا رويدا في بلاط الملك .

ويضيق الملك الذي كان يكن للايطالي المتطلع .. بغضاء من لـون خاص . قال يوما للكونت بلكارد :

— لقد ضقت ذرعا من زمن بتصرفات هذا الايطالي . ترى ، بأية طريقة ابعده يا كونت بلكارد عن امور البلاط ؟ . ويرد بلكارد :

— ياصاحب الجلالة . لقد اختليت به ذات مرة وافهمته بوضـــوح ان جلالتك غير راض تماما من محاولاته التدخل فيما لايعنيه فقال :

— انه على استعداد لمبارحة فرنسا كلها اذا وافقت جلالة الملكة علـــى ذلك . قال الملك :

— عليه وعلى الملكة اللعنة ياكونت . انه يريد ان يوقع بينـــي وبيــن الملكة .

— ولقد كلمت الملكة يامولاي في هذا فقالت : انها راضية كل الرضا عن كونشيني . وسأله الملك :

— تعني ان وصيفتها اللعينة الينورا راضية كل الرضــا عـــن تصرفــات زوجها ؟. يجب ان اضع حدا لنفوذ الينورا وزوجها في بلاطي ياكونت. انهما يظنان ان في استطاعتهما ان يفعلا اي شيء مادامت الملكة لاتعارض رغباتهما . اني أخشى على نفسي ياكونت من هذا الرجل . فأجاب الكونت :

— الحل بيدك يامولاي . وسأله الملك :

— ماذا تقترح ياكونت بلكارد ؟ . فأجاب :

— أقترح ان تقبض على كونشيني وزوجته وتلقي بهمـا في الســجن يامولاي . وتساءل الملك :

ـــ بحق السماء ! • ماذا تفعل الملكة بي اذا فعلت ذلك ؟ • ستقيم الدنيا وتقعدها من أجلهما فاضطر الى اخراجهما من السـجن • قـال الكونت :

ـــ اخرجهما من فرنسا كلها يا مولاي • فقال الملك :

ـــ لاياكونت • يكفي اخراجهما من البلاط • لا اريد ان ارى هـذا اللعين كونشيني • ان وجود هذه العائلة الكريهة ، يسيء الى الفتيان • وتساءل ثانية : كيف تحتمل زوجتي (السيئة الذوق) وجود هذه المرأة بجانبها ؟ •

★ ★ ★

وتقاعس الملك عن ردع المغامر قبل ان يستفحل أمره •

وحين قتل الملك هنري الرابع ، سارت شائعة كانت كفيلة بتخليص البلاد من شر كونشيني • قالت الشائعات :

ـــ انه ضالع في مؤامرة مصرع الملك ! • فقد شوهد اكثر مـن مـرة مع شقيق القاتل رابياك • واخرون قالوا :

ـــ ولكن • على العرش الان الملكة ماري ميديتشي •• العوبة في يـد الينورا وزوجها •

قضـت الملكـة علـى الشـائعات • فـي عنف عنيـف • امـرت بنفي كل من أثيرت حوله الشبهات في ترويج الشـائعة • واصبح صاحب الكلمة الاولى في فرنسا • انهالت عليه الالقاب : قالوا :

ـــ حارس غرفة صاحبة الجلالة الملكة الوصية •

ـــ كونت بيرون ورويس و •• موتتاكين •

ـــ ماركيز دانتا •

ـــ مارشال فرنسا ! •



ونكدست الثروات الخيالية والمجوهرات النادرة في غرفة الساحرة البغيضة الينورا وصيفة الملكة التي صارت الحاكمة بأمرها في كل شؤون الدولة وأحاطت نفسها بمجموعة غريبة من الرجال والنساء وعدد من

الاطباء اليهود الذين اشتهروا في فرنسا بممارسة السحر الاسود والاتصال بالعوالم السفلية •

ولم يكن بد من ان تثور الشائعات حول مغامراتها الليلية مع الابالسة • فقد قال عنها الفرنسيون :

— انها تشعر دائما بصداع مقيت لا يفارقها ليل نهار • وسمعها البعض وهي تصيح ذات ليلة :

— هات لي رأسي يا ابليس العظيم واعدك ان انفذ لك كل ماتريد ! •

وقال البعض الاخر :

— انها بعد ان تجتمع بالابالسة في غرفة خاصة بجناحها •• تذبح ديكا اسود اللون وتسيل دمه فوق رأسها • وتضع نصف الديك فوق رأسها والنصف الاخر في صدرها • بهذا وحده ، تنصرف الابالسة والشياطين عن غرفتها بعد الاجتماع •

وقالت احدى الفتيات :

— لقد رأيتها بعيني رأسي تجري في غرفتها عارية وقد أمسكت في يدها شمعدانا كبيرا أوقدت كل شموعه • وخلفها كبش كبير يطاردها وهما يضحكان ! •

★ ★ ★

في الثاني والعشرين من مايو عام ١٦١٥

ارسل البرلمان الى الملكة مذكرة اعترض فيها على نفوذ الوصيفة الينورا وزوجها الماركيز • فردت الملكة في حمق :

ـــ ليس من حق احد في هذه البلاد اصدار توجيهات لجلالـة الملكـة الوصية • واني بوصفي وصية على صاحب الجلالة الملك لويـس الثالث عشر الصغير • ارفض تماما اية اعتراضـات توجـه الـى المارشال كونشيني او الى •• المارشالة زوجته • وليعرف الجميـع انني انظر اليهما كأهم الاعمدة في عرش ولدي • ويجب ان ينظـر اليهما الجميع بهذه النظرة •

الى هذا الحد ••

بلغ نفوذ كونشيني وزوجته الينورا • وبالغ الرجل المغرور فـي استخدام هذا النفوذ • وظن انه قادر على اهانة الجميع وعلى اهانة ملك البلاد الصغير ايضا •

تجاسر يوما وقال له :

ـــ ايها الولد الشقي ! • كف عن اللعب واثارة هذا الضجيج فأني سيء المزاج هذا الصباح ! • وتلك كانت الغلطة التي أودت به •

* * *

وبلغ السيل الزبى •

فلم يعد ذلك الصبي الذي اراد ذات يوم ان يحضـر مجلـس الوزراء ، فدفعته أمه امامها دفعا وهي تقول له :

ـــ ياولدي • مالك ولمهام الدولة ؟ • انك تحب اللعب بالصقور وليـس مجلس الوزراء مكانك •

لقد صار الان شابا في السادسة عشرة من عمـره يتعجـل الايـام كي يضع على رأسه التاج في حفل التتويج المرموق • وتؤول اليه كـل مقدرات البلاد •

ورغم هذا ..

فكونشيني المغامر ، سادر في غوايته . يدخل على الملك ذات يوم والقبعة على رأسه . فلما طالت نظرة الفتى الى القبعة . قال له كونشيني وهو يضحك :

— اوه ياصاحب الجلالة . لاتنتظر مني أن أخلع قبعتي في يوم شديد البرودة كهذه . ويرد عليه الملك قائلا :

— مارشال كونشيني ! . التقاليد تقضي بأن تقف عاري الرأس أمام الملك .

— هه ! . تريدني ان اقف ؟ . ومن قال من انني أنوي ان اقف ياصاحب الجلالة ؟ انني متعب وسأجلس على الفور ! .

★ ★ ★

اما الساحرة القبيحة ..

فقد تجاسرت ذات يوم وارسلت خادمها الى جناح الملك الذي يعلوها ليقول له ان يكف عن الضجة فالمارشالة تريد أن تنام ! .

ويتهيأ المسرح للصراع الدموي .

كان للملك صديق شديد الاخلاص له وللتاج هو الكونت لويس يشغل وظيفة بسيطة في القصر هي (مدير ادارة الصيد) . وكان الملك شغوفا بالصيد بالصقور .

نشأت بين الفتى ابن السادسة عشرة وبين الرجل المجرب ابن الثالثة والثلاثين ، صداقة ومحبة . ولم يكن الملك يتحرج من ان يشكو لصديقه ما يلاقي من صلافة المارشال كونشيني وزوجته . قال الملك يوما لصديقه لويس :

— جعلته أمي مارشالا ! . هه ! . وهو الذي لم يقد يوما طابورا واحدا ! . وقد سمعت انه وزوجته يرسلان الى بلدهما فلورنسا بأكوام من الذهب والفضة . ويرد لويس على الملك قائلا :
— حين تجلس على عرش آبائك يامولاي .. سينتهي هذا .
— هه ! . هذا (اذا جلست) يا لويس . اني أخشى على نفسي من هذا الرجل .
— الشعب يكرهه يامولاي ولم يجسر على ان يمد يده اليك بالشر . قال الملك :
— لقد بلغ من جبروته ياصديقي لويس انه جلس مكاني على كرسي العرش في الجلسة الاخيرة لمجلس البلاط . ورأت امي هذا كله ولم تتكلم . وحين دخلت القاعة ، لم يترك لي المجلس بل ظل على كرسي العرش متلذذا بوقوفي وراءه . فأضطررت الى الخروج . انظر ! . هذه رسالة غفل من التوقيع وجدتها أمس فوق فراشي يا لويس .
— أهي رسالة تهديد يامولاي ؟ .
— لا ياصديقي . رسالة يريد بها صاحبها ان يفتح عيني على مايجري . كأني لا أعلم بما يجري في البلاد كلها . اعتقد ان صاحبها احد الامراء او النبلاء الذين يبغضون كونشيني وزوجته القبيحة . سأله لويس :
— وماذا يقول في هذه الرسالة يامولاي ؟ . قال الملك .
— يتكلم فيها كاتبها عن أشياء كثيرة . عن العبث الذي يعبثه هذا الاجنبي بمقدرات البلاد . وسأله لويس .
— أ .. وهل ذكر اسمه فيها . ؟ . قال الملك :
— لا . وهل هناك أجنبي يعبث بمقدرات فرنسا سواه ياصديقي لويس ؟

خذ هذه الجملة اذن : الرجل البشع وزوجته التي تمارس السحر الاسود في جناحها في احط صورة من صور الانحطاط الخلقي ! •

— أوه ! • يعني الينورا بالطبع ؟ •

— أجل •• أجل • وهذه الجملة : لم يبق من مظاهر السلطة المطلقة في فرنسا سوى لقبك ياصاحب الجلالة ! •

— لقد صدق صاحب هذه الرسالة المجهولة ياصاحب الجلالة • وتساءل الملك :

— كيف أستعيد هيبتي ياصديقي ؟ • كيف أخلص المملكة من هذا الوغد الاجنبي ؟ • كل شيء في يده الان • حين ثار الامراء والنبلاء •• نصب في ميادين باريس خمسين مشنقة ! • وهدد بأن يعلق عليها كل من لم يأته طائعا • وكل ذلك بأسم الملكة الوصية • أمي التي تفضل هذا الاجنبي السارق على ولدها الملك الشرعي • آه ياصديقي • بت مقتنعا الان ان الينورا القبيحة قد ضربت على امي لونا من «السحر أخضعتها به لارادتها ولارادة زوجها اللعين • قال لويس للملك :

— لا أجد يامولاي ، غير حل واحد • وسأله الملك :

— وماذاك ؟ • قال لويس :

— نقتله ! • وصاح الملك :

— يا الهي ! •• نقتله ؟ • قال لويس :

— لاتخش النتائج يامولاي • ما أن يموت كونشيني حتى تدخل الحيات والعقارب جحورها • اقبض عليه وانته منه • وسأله الملك :

— كيف ؟ • لا مفر من محاكمته بعد القبض عليه • ومن هذا الذي سيتجاسر على محاكمته ؟ •

— اذا قبضت عليه يا مولاي • انفض الجميع عنه • ثم أنت يامولاي ،

لست في حاجة الى قضاة لمحاكمة كونشيني • انك انت صاحب السلطات جميعها • حاكمه بوصفك الملك واصدر عليه حكمك بالاعدام دون تردد • عندي لك يا مولاي الرجل المناسب •

— من ؟ •

— الكابتن منن نائب رئيس حرس جلالتك •

— حسنا • حسنا • دعنا نقابله في السر لنعرف رأيه يا عزيزي لويس •

★ ★ ★

وجاء الكابتن منن • قال له الملك :

— هل تقسم على ان تخدم مليكك في اخلاص ياكابتن منن ؟ • فأجاب منن :

— مولاي • لقد أقسمت على ذلك حين التحقت بحرس جلالتكم • واني على استعداد لان اكرر هذا القسم في كل لحظة اذا طلبت الي ذلك •

قال له الملك :

— حسنا • انا واثق من اخلاصك يا منن ! •

— ماذا تأمر يامولاي ؟ •

— أريد ان تؤدي لي خدمة يا منن •

— ما على مولاي الا ان يذكرها فأنفذها في الحال •

— أ •• مارأيك اولا بالمارشال كونشيني ؟ •

— اوه ! • مولاي • أ •• كو •• كونشيني ياصاحب الجلالة أ ••

— ها انت تتردد يا منن ؟ ! • قال منن :

— لا • لا ياصاحب الجلالة • ولكن جلالتكم أعلم مني به • انه أحقر رجل عرفته البلاد • ضحك الملك وقال :

— عجبا يا منن • ماذا أمسك لسانك اذن ؟ • حسنا • ماذا لو طلبت اليك ان تقبض عليه ؟ •

— سأنفذ اوامر جلالتكم في الحال • وسأله الملك :
— فاذا قاوم أمر القبض ؟ • هل تقتله ساعتها ؟ • اجاب منن :
— مولاي • أقتل رجلا بمجرد انه قاوم أمر القبض ؟ •
— ماذا اذن تفعل معه ؟ •
— لست قاتلا ياصاحب الجلالة •
— حسنا • اذن لا تصلح للمهمة • فهل تمسك لسانك ولا تتكلم عما دار بيننا الان ؟ • قال منن :
— مولاي ، أنا اعلم انك تريد ان تتخلص من كونشيني • فاذا كنت لا أستطيع أن أقوم بالمهمة ، فعندي من يقوم بها دون تردد • وسأله الملك :
— من ذاك • فأجاب منن :
— زوج اختي البارون فيتري قائد الحرس يامولاي •
— حقا ؟ • لم اتصور فيتري ابدا شجاعا يا منن •
— انه اشجع الشجعان يامولاي •
— حسنا • حدثه في الامر سرا ثم تعال واذكر لنا ما قال لك يا منن •

★ ★ ★

وعرض منن الامر على زوج اخته البارون الذي قال :
— لا أبت في الامر حتى اسمع الحديث من فم الملك نفسه • فقال له منن :
— حسنا • دعنا نقابله اليوم في السر •
وقابلاه فقال للملك :
— يا صاحب الجلالة ، انا رهن اشارتك • فقال له الملك :
— فيتري ! • اريدك ان تقبض على المارشال كونشيني وتسوقه الى الباستيل •

— سأنفذ امرك على الفور ياصاحب الجلالة •
— لاتتهور يا فيتري • فلو فشلنا ، لساء الامر تماما • قال فيتري :
— الفشل غير وارد ياصاحب الجلالة • ثم التفت اليه الكونت لويس وقال له :
— كابتن فيتري • هل تتصور ما سوف يحدث اذا فشلت في القبض عليه ؟ • فأجاب :
— أجل ياكونت • ستطير رقاب كثيرة •• ورقبتي أولها • وسأله الملك :
— حسنا • هل أنت على استعداد لقتل الرجل اذا قاوم امر القبض عليه ؟ • فأجاب منن :
— ماذا تريد يا صاحب الجلالة ؟ •
وقبل ان يرد عليه الملك قال له الكونت لويس :
— ان صاحب الجلالة يريد ان يقول : (وهنا قاطعه فيتري وقال) :
— ولكني اريد ان اسمع من فم صاحب الجلالة الملك نفسه • فقال له الملك :
— فيتري ! • اذا قاوم •• فأقتله ! •
— ياصاحب الجلالة • سأنفذ اوامرك •

★ ★ ★

وتحدد يوم التنفيذ ••
الثالث والعشرون من ابريل عام ١٦١٧ ووضع فيتري خطته مع شقيق زوجته الكابتن منن • ولاشك ان بعض الشائعات تسربت عن خطة يضعها الملك لاغتيال كونشيني • ووصلت الشائعة الى اذن الرجل الذي قال في أستهتار :
— هه ! • لويس ؟ • لويس لايجسر حتى على النظر في وجهي ! •
ولم يتخذ من فرط غروره أية احتياطات أمنية غير عادية •

★ ★ ★

في العاشرة من صباح الثالث والعشرين ..

وضع المتآمرون خطتهم لاغتيال كونشيني . واتفقوا علـــى ان يقـوم فيتري بالتصدي فور خروجه من جناح الملكة ومعه خطاب اليـــه . وما ان يتوقف كونشيني لقراءة الخطاب حتى يكون بقية المتآمرين قد اغلقوا الباب خلفه . وبذلك يحاصر بين قائد الحرس ورجاله وبين البـــاب المغلـق . عندها ، يسهل قتله . ونفذوا الخطة كما رسموها .

ما ان خرج كونشيني في ثيابه الانيقة من جناح الملكة وعبر الفنـــاء وحوله عدد من رجاله وحرسه .. حتى اغلق فيتري الباب خلفه . ولـــم ينتبه أحد الى ما فعل . ومن سوء حظ كونشـــيني ان اخطـر الرجـال في حرسه ، حيل بينه وبينهم بالباب المغلق . وحين صار في اول الفناء . قال له فيتري :

— أ - ياصاحب السمو .. ياصاحب السمو . اقـرأ مظلمتـي بحـق السماء . الملك يظلمني .. اقرأ مظلمتي . ويأخذ كونشيني الخطاب منه ضاحكا وهو يقول :

— اوه ! . هكذا ؟. الرجل ظالم ابدا ؟. هه ! . حسنا أرني مظلمتك .

★ ★ ★

واخذ الورقة من الرجل .

وقبل ان يقرأ سطرا منها . وضع فيتري يده على كتفه وقال له :

— مارشال كونشيني ! . لقد أمرني الملك بالقبض عليك ! .

وثارت ثائرة المارشال وقال :

— ماذا ؟ . تقبض علي ؟ . تقبض علي انا المارشال كونشيني ؟ . الا لقد هزلت ! . ورد عليه فيتري :



اليـــــنورا

ملكة ذبحوها وزوجها ذبح النعاج !

ـــ ارجوك •• لا تقاوم •

وحاول كونشيني المقاومة • امتدت يده الى مقبض سيفه ولكن النـار عاجلته • صاح بعدها طالبا النجدة :

ـــ النجدة ! •• الي ! •• الي ! • ثم •• سقط • واطلق رجاله سيقانهم للريح وتركوا سيدهم لطعنات المتآمرين ! •

فتحت الملكة نافذتها على الضجة وصاحت :

ـــ ماذا هناك ؟ • ما هذه الضجة ؟ • وأجابها احد الخدم :

ـــ انهم يقتلون المارشال كونشيني ! •

ورد عليها أحد المتآمرين :

ـــ بل لقد قتلناه فعلا يا صاحبة الجلالة ! • بعدها ، صاحت الملكة فـي غضب :

ـــ ايها التعساء ! • انكم لاتدرون ماذا فعلتم بفرنسا • واجابوها :

ـــ لقد فعلنا ما فعلنا بأمر من جلالة الملك يا سيدتي • فقالت :

ـــ حسنا ! • سيرى ما أفعل به هذا الملك الصغير القاسي ! •

★ ★ ★

وعلمت الينورا بالنبأ •

اسرعت تجمع كل مجوهراتها وتخبئها في مكتبة الفراش • ثم رقدت فوقه وادعت المرض • ولكنهم اقتحموا عليها غرفتها واخذوها الى الفناء ! •

ذبحوها ذبح النعاج والقوا بجثتها بجانب جثة زوجهـا ! • وذهـب فيتري الى الملك عدوا وقال له :

ـــ يا صاحب الجلالة • لقد نفذنا أمرك • وسأله الملك :

ـــ وهل قبضتم على كونشيني ؟ • فأجاب :

ـــ قتلناه ياصاحب الجلالة ! • وتساءل الملك في ذعر :

— ماذا ؟ • يا الهي ! • لا اصدق • مات كونشيني ؟ • اخيـرا •• مات كونشيني ! • اخيرا مات ! • من الذي اطلق عليه الرصاصة القاتلة يا فيتري ؟ • اجاب فيتري :

— انا ياصاحب الجلالة • فقال له الملك :

— فيتري ! • لقد جعلتك جنرالا •• الان صرت انامَلِكا •• انا الملك الان يا الهي •• انا الملك •• لا أصدق ! • فقال له فيتري :

— ان صاحبة الجلالة الملكة الوصية قالت كلاما قد لايرضيك ياصـاحب الجلالة • فقال :

— لتقل مايحلو لها على شرط ان لا تبارح جناحها • منذ اليـوم انـا الملك •• منذ هذه اللحظة •• أنا الملك ! •

★ ★ ★

فعلت الغوغاء بجثة كونشيني وزوجته الينورا افاعيـل يعف عنهـا الشرفاء • علقوهما في المشانق التي سبق ان نصبوها في ميادين باريـس لخصومهما • قطعوا الجثتين اربا ، وعلقوا الاشلاء في خمسين مشنقة ! •

اخرجوا قلب الرجل من صدره • وصنعوا منه شواء بشعا • ثم •• هدأ كل شيء •• وبدأ لويس الثالث حكمه •

بطرس الأول

الملك الذي قتل أخوته الستة !

ـ الفصل الاول ـ

تعتبر الفترة التي تلت خروج العرب من اسبانيا ، اسوأ فترات التاريخ . من فرط ما سفك فيها من دم ، وما استبيح اثناءها من أعراض .

لم يكن ساكن أسبانيا في ذلك الوقت ، يساوي قلامة ظفر عند ملوك قشتالة الذين خلا لهم الجو في البلاد كلها بخروج العرب منها فعاثوا فيها فسادا . قتل ، وتقطيع أطراف ، ونفي وسجن ، ومصادرة أموال .

بالشبهة ..

كانوا يأخذون الناس أخذا لا يعرف التاريخ شبيها له في القسوة والاستهانة بالدم البشري . ويكفي لدمغهم بخاتم الشر والوحشية .. انهم اصحاب محاكم التفتيش المروعة ! .

أسوأ هؤلاء الملوك جميعا وأمعنهم في سفك الدماء واستباحة الحرمات هو .. بطرس الاول .. الملقب بالشرير .

الملك العجوز الفونسو يموت . فيتوج مكانه يوم السادس عشر من ابريل عام ١٣٥٠ ولده الشرعي بطرس .

كان بطرس ..

قد عاش وحيدا مهجورا في قصر ابيه في اشبيليا ليس له من أصدقاء سوى أبناء عمال البساتين الذين يأتون كل يوم للعمل في حدائق القصر .

لم يكونوا في الحقيقة أصدقاء له . بل .. أشبه بالعبيد المسخرين لتسلية وملء فراغه . وقد حدث اكثر من مرة ان اختفى احد هؤلاء الاصدقاء . ثم .. وجدت جثته في ركن من اركان الحديقة (مخنوقا)!. وتشير أصابع الاتهام في رعب الى الامير الصغير . ولا يجسر احد على ان يتكلم .

هذا هو الفتى الذي صار ملكا على اسبانيا كلها يوم السادس عشر من ابريل عام ١٣٥٠ للميلاد .

وفي أول يوم من تسلمه مقاليد الحكم صاح :

— لتخرج هذه المرأة العابثة من القصر بلا عودة ! .

وكان يعني بتلك الصيحة المنذرة محضية أبيه الجميلة (دونا ليانورا). وتلجأ المحضية الى مستشار الملك العجوز جان البوكيت شاكية سائلة :

— أين أذهب يا جان ؟ . لقد صادر كل ما املك . حتى القصر الذي أهدانيه أبوه الملك الراحل ، استولى عليه . كلمه في هذا بحق السماء . ذكره بأبيه وما كان يكن لي من محبة واعجاب . ويرد عليها جان :

— أتحسبين يا سيدتي اني لم أكلمه في هذا ولم أستحلفه بذكرى أبيه ؟ . لم يستمع الي . وهددني أنا الاخر بالطرد من المملكة كلها . لعله لم يجد في اسبانيا كلها من يخلص له اخلاصي . لقد وعدت والده الراحل بأن أرعاه . وسأفي بوعدي .

— وبما تنصحني يا جان ؟ .

— أ .. خذي اولادك ياعزيزتي واعتكفي في أي مكان بعيدا عن يده .

وتساءلت المحضية :

— اولادي ايضا ياجان ؟ . انهم اخوته من أبيه . فكيف يتنكر لهم ؟ .

— ان أمه الملكة الشرعية هي التي تحرضه عليهم ياسيدتي .

— هه ! . أمه ! . ولم تكن في حياة الملك تجسر على أن تقول في كلمة واحدة . الان ، خرجت من مكمنها كالحية الرقطاء تحرض ولدها علي وعلى اخوته . ألم تجد لي غير هذا الحل ياعزيزي جان ؟ .

قال جان :

— لا أجد لك غيره يا دوناليانورا . وكلما بادرت بمغادرة أشـــبيليا .. كانت حياتك في مأمن من غدره ومن غدر رجاله .

★ ★ ★

و .. غادرت المحضية السابقة اشبيليا الى دار مهجـورة لهـا قرب غرناطة . ولما تلكأ اخوة الملك في اللحاق بأمهم . صاح الملك :

— اقبضوا على الستة والقوا بهم في غياهب السجون ! .

وعندما قال له مستشاره جان : يا صاحب الجلالة انهم اخوتك . قال له الملك :

— اتدافع عن الخونة ياجان البوكير ؟ .

قال جان :

— لا يامولاي . ولكن دعهم يغادرون اشبيلية وبذلك لايكونون عليـك مصدر الخطر .

— بل خطرهم في وجودهم ياجان بعيدا عن نظري وعن يدي . قـــال

جان :

ـــ ياصاحب الجلالة • ان لهم انصارا في البلاد قد يخلقون لك المتاعب •

ورد عليه الملك :

ـــ سأعرف يا جان كيف اؤدب أنصارهم أو من يبدي نحوهم أي عطف • أريد ان يكونوا هذا المساء في السجون خاصة أخي هنري تراستمير • أفهمت يابوكا ؟ • أنت مكلف بهذا ولا أحب أن تراجعني في قراري •

ـــ أجل يا مولاي •

ـــ واعلم يا جان انه لولا انك أشرفت على تربيتي وكنت اول من نادى بي ملكا على البلاد • لنالك مني كل الشر لتدخلك فيما لاشأن لك به ! • قال جان :

ـــ مولاي • أنا مستشارك ومن واجبي أن •••

ـــ من واجبك أن تسكت اذا أمرك الملك ! •

ـــ أجل ياصاحب الجلالة •

★ ★ ★

ولكن أخاه هنري ••

يهرب من أشبيليا قبل القبض عليه مع بقية اخوته الخمسة •

وجد له سفينة حملته الى ايطاليا • ومن هناك أخذ يترقب الفرصة المناسبة للعودة الى البلاد ونصب الحرب الاهلية لاخيه الشرير •

ويقبض بطرس الاول ••

على كل من ساعد أخاه على الفرار • قبض على الكثيرين من أشراف المملكة ونبلائها وأتهمهم بالعمل على خلعه • ثم •• أسلمهم لزبانيته ، فامعنوا فيهم القتل والصلب و •• تقطيع الاطراف ! •

وذهب الملك الى محضية ابيه السابقة في بيتها المهجور وقال لها مهددا :

— سألقي بك في أسوأ سجون اشبيليا اذا لم تذكري لي اسماء كل من ساعد ولدك هنري على الهرب • فأجابته المسكينة :

— يا صاحب الجلالة • لقد كان ولدي هنري في اشبيليا • انا لا أعرف شيئا عن فراره منها •

— اذكري لي اسماء الذين ساعدوه •

— لا أعرف منهم أحدا يامولاي • قال لها الملك :

— سأعذبك بالنار اذا لم تعترفي • قالت :

— بحق السماء ياصاحب الجلالة • اذكر انني •• انني في منزلة الملكة والدتك ! • فصاح بها :

— عليك اللعنة ! • انك خاطئة • ولقد سلخت قلب أبي عن أمي • انك خاطئة وللخاطئات عندي عقاب أليم • وسألته المحضية :

— أراك تهددني بالموت أيها الملك ؟ • قال الملك :

— لست أهددك ايتها المرأة •• ولكني • سأقتلك فعلا والان ! •

★ ★ ★

طعنها الملك في صدرها • صاحت آخ ! •• ثم سقطت ميتة ! •

وغرس خنجره في قلب المرأة التي عاشت اكثر من ثلاثين عاما في كنف أبيه • وكانت ترده عن ارتكاب الشرور التي يهيؤها له مستشارو السوء والتي كانت تدفعه اليها دفعا •• زوجته الملكة أم بطرس •

بعدها ••

نشر بطرس الرعب في البلاد كلها بالقبض على كل من يشتبه اتصاله بأخيه هنري • ولم يعد أحد يأمن على نفسه مهما بلغ قدره في بلاط ذلك

الفتى الدموي • الذي لم يكن قد بلغ السابعة عشرة من عمره يوم قتل محضية أبيه بيده • وفكر مستشاره جان البوكير بحيلة تطفىء من شهوة ذلك الجبار المراهق الى الدم • وذات يوم سألت زوجة جان زوجها وقالت :

— ماذا لو عرضت على الملك الزواج يا جان ؟ • وأجابها جان :

— يا زوجتي العزيزة • لم يتزوج بطرس الا من ترضى عنها أمه • انني افكر في شيء غير الزواج • لو عثرنا على الفتاة الجميلة المناسبة التي تسلي قلب الملك وعقله •• لاستطعنا عن طريقها أن نبعده عن طريق الشر الذي يسير فيه • وسألته الزوجة :

— تقصد محضية ؟ • قال :

— نعم ياعزيزتي • وسألته ثانية :

— فماذا لو استولت تلك المحضية ياجان على قلب الملك ثم خرجت من طاعته ؟ •

— هذا •• يتوقف على اختيارنا له يا زوجتي العزيزة • قالت له الزوجة :

— أهناك أميرة معينة ؟ • فأجاب :

— أجل • ما قولك في ماريا ؟ • وتساءلت الزوجة في استغراب :

— تعني ماريا ديفاديللا ؟ •• ابنتنا ؟ • قال الزوج :

— واجهي الحقيقة يا زوجتي العزيزة • فماريا ديفاديللا ليست ابنتنا • كل مافي الامر • اننا تكفلنا بها وبأخويها بعد أن مات أبوهم •

— ولكني اعتبرها في منزلة ابنتي يا جان • هل نسيت أن أباها كان ابن عمي ؟ •

— لم أنس طبعا يا عزيزتي •

— فلم اذن تلقي بها في أحضان هذا الشرير ؟ •

— لان ماريا رقيقة طيبة • وانا على ثقة من انها الوحيدة القادرة برقتها

وفرط طيبتها على ان تحمل الملك الى طريق غير طريق الشر •

— ولكني واثقة يا جان ان لاشيء يحول بطرس عن طريق الشر • قال جان :

— واعتقد ان ماريا قادرة على ذلك • ثم •• ثم • هل تطمعين لهـا في مركز أفضل من هذا ؟ • ستغدو محضية الملك • وهذا منصب تتوق اليه كل اميرات المملكة • بل يتطلع اليه الاشراف لبناتهم ويتصارعون عليه • وصاحت الزوجة :

— يا لبشاعة الخطيئة يا جان ! • قال جان :

— فكري في مستقبل ماريا يا عزيزتي • قالت :

— انك لا تفكر في غير مستقبل تلميذك الذي سار على مبادئك وخرج على كل ما علمته وصار رمزا للشر • لا أدري كيف سكت عنه قداسة البابا ؟ •

— لا تكثري من الكلام في هذا الموضوع يا ماركريتا • اذكري ان للملك عيونا وآذانا في كل مكان • وانه لمن المعجزات ان اظل رغم كل ما حدث لاشراف الملك ومستشاريه في دائرة حضوته ومكمن ثقته • وصاحت الزوجة :

— لا ! • لا ياجان • لن ادفع ماريا الى الخنى مهما كانت النتائج • لست امانع من ذهابها الى اشبيليا اذا كان ذلك لزواج شرعي • اما ان تكون مجرد محضية لهذا الشرير •• مستحيل ! • قال لها جان :

— حسنا •• حسنا • لنكرس جهدنا اذا رآها واعجب بها • على ان تنتهي علاقتهما بالزواج •

— وكيف ستعرض عليه ما تفكر فيه ؟ •

— سأدعوه الى قضاء يوم في قصري هنا وسيرى ماريا • أنا واثق من

أنه سيقع في هواها • فالفتاة جميلة بقدر ما هي رقيقة • وما رآهـــا أحد الا وأعجب بها •

★ ★ ★

وجاء الملك الى قصر مستشاره جان البوكيت •

وما رأى ماريا ديفاديللا وجلس اليها •• حتى وقع في هواها •

أطال بقاءه في قصر المستشار الذي توقع ان تنتهـي الزيـارة بالزواج المنتظر • قال الملك لماريا :

— تعالي معي يا ماريا •• تعالي معي الى أشبيليا • وسألته ماريا :

— وماذا أصنع يامولاي في أشبيليا ؟ •

— أوه ! • انني أحبك • و •• أنا في حاجة اليك •

— ولكن أبي لن يوافق على ذلك يا مولاي •

— انه ليس أباك • البوكيت ، هو راعيك فحسب • سأرعاك خيرا منـه يا ماريا •

— ياصاحب الجلالة • أمي ايضا لن توافق • قال الملك :

— انها ليست أمك هي الاخرى • انك يتيمة يا ماريا • كأني لا أعرف كل شيء عن أسرتك • تعالي معي •• تعالي معي الى أشبيليا • قالت له ماريا :

— لا أستطيع يا صاحب الجلالة • فقال لها :

— الا تعرفين ان •• ان اجمل أميرات مملكتي ، تمنين ما أعرضـه عليك ؟ •

— وماذا تعرض علي يا مولاي ؟ • أن اعيش معك في الخنى ؟ •

— أوه ! • لماذا تسمين تلك العلاقة التي ربطتنا بـ •• الخنى ؟ • انـي احبك يا ماريا وعلى استعداد ان أضع على رأسك التاج وأشركك في مملكتي •

— ولكنك لم تفعل هذا يامولاي .
— بل سأفعل . نعم سأفعل . أ .. ألا تحبينني أيتها الجميلة الرقيقة ؟ .
— مولاي . اني أحبك .. أحبك حبا لاحدود له . ولكني لن اذهب معك كمحضية .
— زوجة اذن ؟ . قالت له :
— أجل .
— و .. لكن الظروف السياسية تمنعني من الزواج بك في هذه الايام .
— لماذا ؟ .
— سأعقد معاهدة مع فرنسا ومن شروطها .. أن أتزوج ابنة الملك .
— ولكني لن أقوى على فراقك ياصاحب الجلالة . لذلك سأدخل الدير .
— انك تريدين الزواج وانا أعرضه عليك . فلم ترددين في الذهاب معي الى أشبيليا ؟ .
— اذا كلمت أبي وأمي ووعدت بعقد الزواج .. قبلت الذهاب معك ولن اتردد لحظة يامولاي .
— لا . لا يا ماريا لن أكلم أحدا . انني أكلم قلبك وحده وأعدك ان نتزوج فور وصولنا الى أشبيليا .. لنتزوج سرا . وسألته ماريا :
— وكيف ؟ . ولماذا سرا يا مولاي ؟ . قال لها الملك :
— حتى اعقد المعاهدة مع فرنسا . وبعدها .. أتوج زواجي بأبنة الملك . حتى اذا استوفت المعاهدة اغراضها .. أعلنت الزواج بك .

★ ★ ★

وعادت معه ماريا ديفاديللا الى اسبانيا وعقد قرانه عليها سرا .

ولم يشهد العقد سوى أسقف أشبيليا الذي لم يكد يغادر القصر حتى أحس بآلام شديدة قاسية في بطنه . وأحس بالسم يسري في جسده ! . ولم

يلبث ان غادر الحياة فلم يبق احد في اسبانيا كلها يعرف بأمر ذلك الزواج السري • وذات يوم قال الملك لماريا :

ــ ماريا • أقسمي لي على ان لا تبوحي بالسر • لا يجب ان يعرف أحد اننا زوجان • لو انتشر الخبر ، لم أتمكن من عقد المعاهدة مع فرنسا •

فأجابته ماريا :

ــ لن أخبر أحدا سوى أبي البوكيت ياصاحب الجلالة • ورد الملك غاضبا :

ــ لا ! •• لالا • لايجب ان يعرف أي انسان بوجود هذا العقد حتى أبوك البوكيت •

ــ اعطني العقد اذن يا صاحب الجلالة • قال لها الملك :

ــ سأعطيك اياه اذا أقسمت أن لا تبوحي بالسر لاحد • فقالت له ماريا :

ــ أقسم لك على هذا يا زوجي الحبيب •

★ ★ ★

و •• اخذت ماريا العقد منه وعليه توقيع الاسقف القتيل وأخفته في مكان امين •

ـ انتهى الفصل الاول ـ

● ـ ويليه الفصل الثاني •

بطرس الأول

الملك الذي قتل أخوته الستة !

– الفصل الثاني والاخير –

الملك الشرير . الذي أغرق اسبانيا في بحيرة من الدم .. بطرس الاول .

شاهدناه في الفصل الاول يا أخي القاريء . يوقع في براثنه ، الفتاة الطيبة ماريا ديفاديللا . اليتيمة التي كانت تعيش في كنف جان البوكيت أخلص المستشارين له فيتخذها عشيقة بعد ان افتعل لها سرا هو وأسقف أشبيليا زواجا كاذبا . وتقع الفتاة الطيبة وقد ظنت نفسها زوجة شرعية .. تقع في غرام الملك الشرير . فاذا اعطته طفلة جميلة صغيرة مثلها .. وهبها الملك كل أملاك الاشراف الذين قتلهم وصادر املاكهم .

وكانت لماريا ديفاديللا وصيفة عجوز تدعى كاريللا . جاءت معها الى القصر . ليست لها سواها تبوح لها بأسرار قلبها وما يساورها من قلق . وذات يوم قالت ماريا للوصيفة العجوز :

— كاريللا . اخشى أن ينصرف عني الملك . وردت عليها كاريللا قائلة :

— انه يحبك يا ابنتي وانه لايترك كل مهام الدولة ليأتيك الى هنا في أي ساعة من ساعات الليل أو النهار . ماذا تريدين بديلا عن حبه اكثر من هذا ؟ .

— أعرف انه يحبني يا كاريللا •• أعرف • وانا أحبه • قالت لها كاريللا :

— لاباس • فهو وسيم أنيق وفي عنفوان شبابه • لماذا تخشين ان ينصرف عنك ؟ • هل بدا منه ما يجعلك تخشين هذا ؟ • قالت ماريا :

— انه سريع التقلب ياكاريللا • يحدثني يوما عن رجاله المخلصين الذين يقربهم اليه ويمكنهم من شؤون الدولة • ثم •• ثم أجده في اليوم التالي قد انقلب عليهم وأصدر أحكامه باعدامهم او نفيهم وتقطيع أطرافهم ! • ماذا يعني هذا ؟ •

— أنا أقول يا ابنتي ماريا • أن احدى نساء القصر قد وقعت في غرامه وضربت عليه السحر ! • وتساءلت ماريا :

— ماذا ؟ • أيمكن أن يكون هذا قد حدث فعلا ياكاريللا ؟ • قالت كاريللا :

— أنا واثقة من هذا ولكن • لا تخافي من هذا السحر الذي ضرب على زوجك • سأحرره منه • أنت تعرفين براعتي في السحر • قالت ماريا :

— ليتك تخلصيه يا كاريللا من ذلك السحر • واجابتها كاريللا قائلة :

— ولكن انصحك قبل كل شيء • ان تبتعدي عن السياسة • اعتكفي في هذا القصر • ولا تتدخلي في شؤون الدولة • انه لا يفعل بالاشراف ما يفعل ، الا لتدخلهم في قراراته • انه يريد ان يحكم بلا معقب على حكمه • وان خوفه الحقيقي من أن يجد أخوه هنري خلفاء له من بين أشراف البلاد • وسألتها ماريا :

— ولكن هنري في ايطاليا • فردت كاريللا :

— أعرف يا ماريا • ولكنه لايكف عن التآمر على ان يسلب أخاه

العرش • وهذا هو سبب قسوة زوجك الظاهرة • قالت لهـا ماريا :

— سآخذ بنصيحتك يا كاريللا فلا أتدخل في شؤون الدولة •

— لا تهربي من حديثه اذا طلب اليك النصيحة في أي أمر من أمـــور الدولة •

— انه كثيرا ما يسألني وأعـرف كيف أتصـرف بها • فقـالت لهـــا كاريللا :

— اذا حدثك يا ابنتي في السياسة • فحدثيه في الحب • ذلك هو سلاحك الذي لا يفل •• سلاح ماض يؤازره جمالك الباهر • احرصي على هذا الشيء ، تحتفظي بحب زوجك الى الابد •



وكان بطرس الاول ••

قد عقد معاهدة صداقة وتحالف ضد انكلترا مع ملك فرنسا الملقب بـ(جان الطيب)• وكانت تلك المعاهدة تقضي بزواج بطرس بأبنة الملك الاميرة فلانش دي فونفو • وحين تم الخطبة يهرع اليه مستشاره البوكير ويقول له :

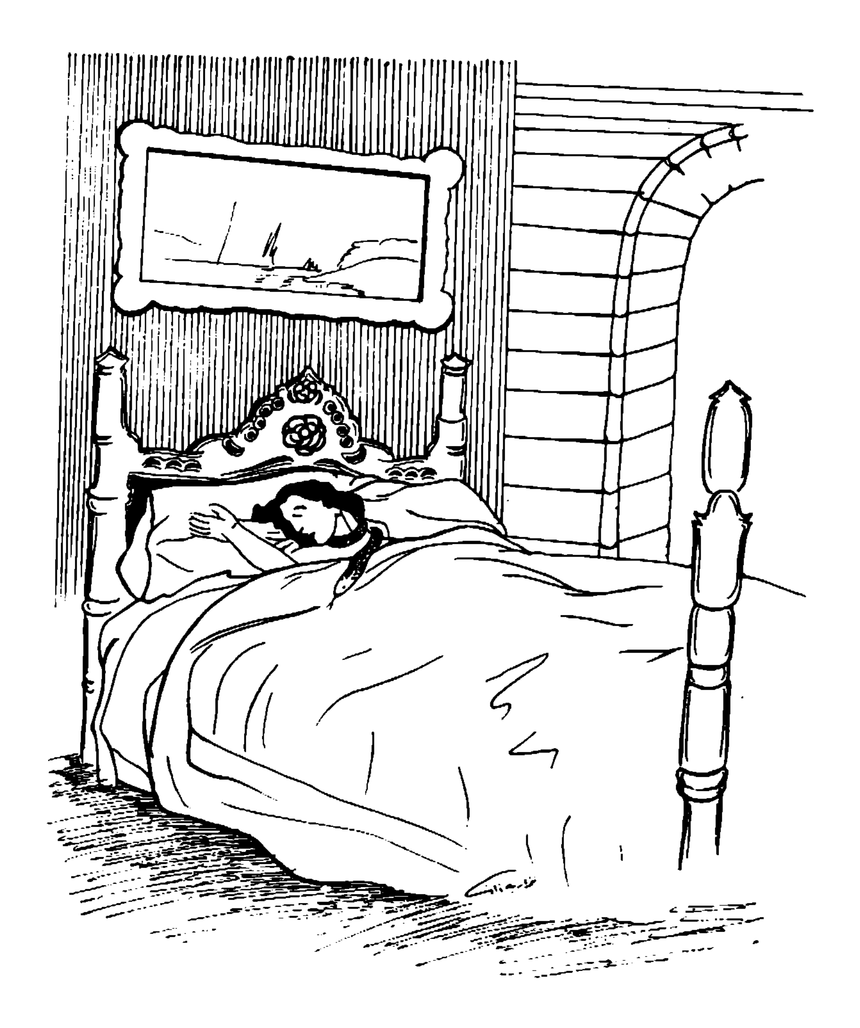
— مولاي ! • لايمكن ان يتم هذا الزواج • اذكر يامولاي انك متزوج • ويرد عليه الملك ساخطا :

— متزوج ؟ • هه ! • من قال لك انني متزوج يا البوكيـر ؟ • قـال البوكير :

— مولاي • لقد علمت ذلك من أسقف اشبيليا وهو على فراش الموت • فقال له الملك :

— الرجل كاذب يا البوكير • ولماذا لم تتكلم منذ مات الاسقف ؟ •

— لانه أخبرني انك تريد ابقاء الامر في السر يامولاي • اما الان ••



الملك بطرس الاول ٠٠ قتل اخوته الستة !
وجدوه ذات يوم ميتا وقد التفت على عنقه حية رقطاء وضعتها في فراشه احدى الساحرات ٠

فأنت تريد ان تتـزوج ! • كيف يتأتى ذلـك يامولاي ؟ • قال لـه الملك :

ـــ البوكير ! • اني آمرك بالصمت !• واجابه البوكير :

ـــ مولاي • ولكن ماريا ديفاديللا في منزلة ابنتي • كيف اسكت وانـا أراك تخالف الشريعة وتتزوج من امرأة ثانية ؟ • لم يرض البابا عن ذلك • قال الملك :

ـــ اذا أمسكت لسانك يا البوكير •• لم يدر أحد بالامر ولا يتسـرب النبأ الى البابا بأني متزوج • قال البوكير :

ـــ مولاي • بحق خدماتي لك ولوالدك الراحل يامولاي ، أن تعدل عن هذا المشروع • وصاح الملك :

ـــ اني آمرك أن تسكت ! •

★ ★ ★

وسكت جان البوكير مستشار الملك الامين •

ولكن سكوته لم يجده شيئا • فان الملك الذي يتوجس الشر مـن كل الناس ، دس عليه من قتله وهو في فراشه ! • ثم •• انتهز الفرصـة السانحة ، فأعدم عددا من أعدائه أشراف البلاد بتهمة التـآمر علـى قتـل المستشار ! •

وذات يوم • كان الملك مع ماريا • قال لها :

ـــ ماريا ! • اعطني عقد الزواج الذي شهد عليه أسـقف أشـبيليا • وسألته ماريا :

ـــ ولماذا تريد العقد يامولاي ؟ • انه السند الوحيد الذي يثبت زواجي منك • اجابها الملك :

ـــ السند الوحيد •• هو حبي لك يا ماريا • ذلك الحب الذي لايتغيـر

ولا يتبدل أبدا •

ـــ ومع هذا يامولاي • تنوي أن تتزوج ابنة ملك فرنسا ؟ •

ـــ من زعم لك هذا الهراء ؟ •

ـــ علمت انها تستعد للحضور الى أسبانيا ياصاحب الجلالة •

ـــ هراء ! •• هراء ! • وسألته ماريا :

ـــ اذن • لماذا تريد عقد الزواج ؟ • فأجابها الملك في تؤفف :

ـــ اوه ياعزيزتي ماريا • تعرفين ان بيني وبين ملك فرنسا معاهدة • ولقد تورطت في هذه المعاهدة وافترضت على نفسي الزواج بابنته •

ـــ وها انت تعترف ؟ •

ـــ ولم آتك ياماريا الا من أجل ان آأخذ هذا العقد وأطلع عليه ملك فرنسا في السر ليحلني من وعدي • فقالت له ماريا :

ـــ لكن ملك فرنسا • لن يرضى بان يزوج ابنته من رجل متزوج يا مولاي •

★ ★ ★

وحصل الملك على العقد •

ثم •• أتلفه دون علمماريا ديفاديللا • و •• تمت الخطبة •

وجاءت ابنة ملك فرنسا الى اسبانيا • وتوقع الناس جميعا ان يذهب الملك بنفسه الى الميناء لاستقبال عروسه • ولكنه لم يذهب • بل •• لم يكلف نفسه مشقة ارسال بعثة لاستقبالها • ودخلت العروس الجميلة أشبيليا كأنها غريبة لايرحب بها أحد • في مساء ليلة وصولها • قالت الام لولدها الملك :

ـــ ما معنى بقاءك في هذا الجناح ؟ • لماذا لا تذهب الى جناح زوجتك ؟ • اجابها الملك :

ـــ لقد رأيتها يا اماه ولم تقع في قلبي • كيف أتزوج ممن لا أحبها ؟ •
فقالت له أمه :

ـــ الان يا ولدي بت اصدق ان كاريللا العجوز وصيفة ماريا ديفاديللا ، قد ضربت عليك السحر • كيف لا تذهب الى زوجتك ليلة زفافك ؟ • انك بهذا تشعل العداوة بينك وبين أبيها • ماذا تتوقع أن يفعل أبوها اذا عرف ان ابنته تعيش في قصرك مهانة ذليلة ؟ • ورد عليها الملك في غضب :

ـــ ليفعل أبوها مايشاء • وما أحسبه بقادر على ان يفعل شيئا وابنته رهينة في قصري •

★ ★ ★

ويدع الملك عروسه القادمة من فرنسا في انتظاره ، ويسرع على متن جواده الى قصر ماريا ديفاديللا في مدينة مونتلفاه •

وتحرك النبلاء معترضين على تصرفات الملك • ولا ريب انه كان وراء جرأتهم تلك وعودا من البابا بحماية أو بنجدة في وقت الشدة •

وجاء وقت الشدة حين روع الملك البلاد بسلسلة من المذابح التي أغرقت البلاد في حمامات الدم • ولم يتحرك البابا • ولم يتحرك أيضا هنري راستيمير أخوه المنفي في ايطاليا والمتطلع دوما الى العرش •

وخلت الساحة للملك وجزاريه • وصار بطرس الاول هو الرعب الجاثم على صدر اسبانيا و •• بغضه الجميع الا ماريا ديفاديللا •

واستدعى الملك ذات يوم اسقف مدينة سلامنسا وقال له :

ـــ اني أعرف تطلعاتك كلها أيها الاسقف بورديك • أنت تريد ان تكون رئيس الاساقفة أليس كذلك ؟ • واجابه الاسقف :

ـــ لعل مولاي يراني أجدر الاساقفة بهذا المنصب • فرد عليه الملك :

ـــ هو لك بشرط • فقال له الاسقف :

ـــ أنا رهن أوامرك كلها يامولاي • قال الملك :

ـــ اريد أن تصدر قرارا كنسيا بالغاء زواجي من ابنة ملك اسبانيا •

ـــ مولاي • ولكني انا الذي عقدت ذلك الزواج رغم علمي بانك متزوج من قبل بماريا ديفاديللا • فقال له الملك :

ـــ انت تعترف اذن بانك اخطأت حين عقدت زواجي على ابنة الملك • أليس كذلك ؟ • حسنا • ما يمنعك اذن من ان تصلح اخطاءك ايها الاسقف اللعين ؟ •

ـــ ليس هناك ما يبرر الالغاء يا مولاي •

ـــ بل هناك مبرر قوي جدا وهو اريد ان اتزوج من الدومالدين ! •

ـــ أوه يا مولاي ! • زواج ثالث ؟ • ان هذا يتنافى مع الشريعة المسيحية ! • وصاح به الملك :

ـــ اذا لم تصدر قرارك أيها الاسقف بالغاء زواجي من ابنة ملك فرنسا • لم يعجزني ان أجد من أساقفة اسبانيا من يفعل ما تردد فيه أنت •

★ ★ ★

وصدر القرار ••

بالغاء زواج الملك بطرس الاول من ابنة ملك فرنسا الاميرة فلانش دي فونفو بذريعة كاذبة •

فقد ادعى الاسقف في حيثيات قراره ان الملكة تآمرت على حياة زوجها الملك • وتزوج الملك بطرس الاول من الدونا الدومالدين التي كان الملك قد شغف بها ! •

والعجيب يا اخي القاريء ••

انه كان لايقضي أحلى أوقاته .. الا مع حبيبـــة القلب القديمـــة ماريـا ديفاديللا . وما أن بلغ النبأ البابا ، حتى اصدر قراره بحرمان أسبانيا كلها واهلها ايضا من بركات الكنيسة . وصب البابا غضبه على الشعب الاسباني لتقاعسه عن الوقوف في وجه هذا الطاغية الذي استهان بكل الحرمـــات . وخشيت العاشقة مغبة قرارالحرمان هذا .. فارسلت الى البابا تقول :

— يا صاحب القداسة . انني على استعداد لتقبل قرار مـــن قداســتكم لتخليص يدي من صاحب الجلالة الملك بطرس الاول حتى لايتعرض هو وشعبه الى غضبكم من أجل خطأ ارتكبته عن جهل ونزق . واني لاتوسل الى قداستكم ان تحددوا لي اي دير لادخله واقضي بـــه مابقي لي من عمر اكفر فيه بالصلاة وبالتوبة .

★ ★ ★

ولكن البابا لايلين .

ويفعل قرار الحرمان فعله . فتقوم الثورة في معظم مدن اســبانيا . ويعود هنري الى أسبانيا خلسة ويقود الثائرين الذين يتمكنـــون مـــن محاصرة الملك بطرس والقاء القبض عليه وسجنه في قلعـــة (تورو) . ويطلب بطرس وهو في محبسه أن يتكلم مع اخيه هنري زعيم الثائرين . وتكلم بطرس مع أخيه هنري . فقال له :

— لم تعد لي في حكم هذه البلاد رغبة . انك يا اخي هنري قد صـــرت الان رجل الشعب المختار . وأنا .. أنزل لك طائعا عن التاج . ولما طلب منه هنري أن يكتب له صكا بهذا . قال بطرس :

— لا يا أخي . ما فائدة الصكوك ؟ . ليكن ذلك علانية وعلى رؤوســ الاشهاد . فأجابه هنري :

ـــ حسنا • لنذهب غدا الى اشبيليا ونجمع مجلس البلاط ونعلن أمام الجميع تنازلك عن العرش • فأجابه بطرس :

ـــ غدا ؟ • اوه يا أخي • تريد مني ان اذهب في هذه الهيئة المزرية الى أشبيليا ؟ • لقد اصبت كما تراني بالهزال من سوء التغذية في القلعة ومن طول حبسي بها • انتظر حتى استرد صحتي • ويجيبه شقيقه هنري :

ـــ كما تشاء • ليكن ذلك بعد شهر •• بعد شهرين • وتساءل الملك :

ـــ هل تعني ايها الاخ الرقيق انني سأظل في سجني هذا مدة شهرين آخرين ؟ • ان هذا بالنسبة لي هو الموت • ولو مت لم يعد لك أمل للحصول على تنازل شرعي مني • وسيطالب بالملك من بعدي ولدي من ماريا ديفاديللا • فقال له اخوه :

ـــ انه ولد غير شرعي يا بطرس • فأجابه بطرس :

ـــ اذكر انك ايضا يا هنري ولد غير شرعي لابيك ! • وسأله هنري :

ـــ اذن • ماذا تريد بحق السماء يا بطرس ؟ • قال بطرس :

ـــ اريد ان تمنحني طعاما افضل و •• حرية اكثر • قال اخوه هنري :

ـــ حسنا • من حقك ان تحدد نوع الطعام الذي تريد • فقال بطرس :

ـــ و •• اريد ايضا ان تسمح لي بالنزهة في بساتين القلعة وما حولها حتى تسترد الي الصحة والعافية واسترد مافقدت من وزن • لا أحب ان ابدو في مجلس البلاط هزيلا نحيفا بعد هذا الحبس الطويل •

★ ★ ★

ويوافق هنري على ماطلب منه اخوه بطرس المخادع •

ويصحو من في القلعة ذات صباح •• فأذا الملك قد فر اثناء احدى نزواته في بساتين القلعة والغابات المحيطة بها ! •

ويتمكن ان يستميل اليه اهل غرناطة • وان يعـود المتمسـكون بالشرعية الى الالتفاف حول الملك الشرعي • ويرسل البابا حملة صغيـرة لتآزر الثوار • لكن بطرس يتمكن من ان يلحق بجيش البابا وبجيوشـ الثائرين الهزيمة تلو الهزيمة • وحين يصبح أخوه هنري في قبضته يقول له :

— لقد نذرت ان اقتلك يا هنري بيدي اذا وقعت في قبضتي ! • ويجيبه هنري :

— اعرف انك فقدت عقلك يا بطرس تماما • لهذا فلن تتورع عن ان تقتل أخاك بيدك • فقال له بطرس في تهور :

— انك تستفزني أيها الخائن ! • ورد عليه اخوه هنري قائلا :

— أعرف انني ملاق ربي بعد لحظات • ولهذا فلن أبادلك ايها الكافر الخارج عن الشريعة المسيحية •• لن أبادلك الكلام فأفعل ما تريد • فأجابه بطرس :

— كنت قد عزمت على ان اقتلك وحدك يا هنري • ولكن بعد ان قلت ما قلت • لم انزع روحك الشريرة عن جسدك حتى تراني وأنا اقتل اخوتك الخمسة •• الواحد بعد الاخر !! •

★ ★ ★

وارتكب بطرس الجريمة المروعة •

قتل اخوته الستة في مجلس واحد ! • ولكن الله يمهل ولا يهمـل الظالمين • وجدوه ذات يوم وقد التفت على عنقه (حية) رقطاء • زعموا ان امه هي التي وضعتها في فراشه • وزعم اخرون انها فعلته ماريا ديفاديللا وساحرتها الشمطاء •• فقتلوها • ثم •• توجوا ولدها من بطرس الاول ملكا على اسبانيا بأسم •• بطرس الثاني •

كابروفسكي

الأميرة التي ذبحت ٢٦ شاباً واحتفظت برؤوسهم محنطة في دولاب بدارها ؟

القصة التي نقدمها لك اليوم عزيزي القاريء • ليست من القصص البوليسية الخيالية • انما هي بنت الساعة بطلها الكابتن ويلارد رئيس شرطة لندن وما بذله من جهد للوصول الى أسرار الجريمة والقبض على الجناة •



كان ذلك عام ١٦٧١

حين كان الامن في شوارع المدن الكبرى في اوروبا ألعوبة في أيدي اللصوص والقتلة والسفاحين • لا أحد آمن •

واذا جاء الليل ، صارت شوارع المدن غابة يترصد فيها السفاحون لمن أتعسهالحظ بالخروج لحاجة من حاجاته •

لا رحمة • مصيره المؤكد ، هو ان يسرق ويضرب ويقتل اذا قاوم الضرب والسرقة •

كان ذلك يحدث رغم نشاط الشرطة في تتبع المجرمين وعتاة اللصوص • ثم •• صار على رأس شرطة لندن رجل حاد الذكاء لا يهدأ يعمل ليل نهار في محاولة اعادة الامن والهدوء الى الشوارع المضطربة •

قال له وزير الامن السيد جونكا ذات يوم وهو يتقدم بطلب اجازة للراحة والاستجمام .

قال له :

— لولا انك يا ويلارد في حاجة ماسة الى الاجازة ، لما سمحت لك بها .
واجابه ويلارد :

— سيدي الوزير . لقد وعدت بها ولدي . اعتقد ان في استطاعتكم الاستغناء عن خدماتي لثلاثة شهور هي فترة اجازتي . ويجيبه الوزير :

— انك تستحق الاجازة ياسيد ويلارد . واني لسعيد حقا بالعمل معا .

— سيدي الوزير . لولا همتكم العظيمة ، لما عاد الامن الى لندن كلها . لقد تنفست البلاد الصعداء . يكفي اننا في الشهر الاخير فقط .. قبضنا على ثلاثة وثلاثين لصا وقاتلا وهذا حصاد طيب . قال الوزير جونكا :

— هذا بالاضافة ياسيد ويلارد الى اعتقال عدد كبير من فتيات الليل . ان هذا يطهر الحانات والمقاهي من كثير من مفاسدها . حسنا .. حسنا . اهنأ بالاجازة يا عزيزي ويلارد وعد الينا في اتم صحة لنستأنف عملنا معا من جديد .

★ ★ ★

ويذهب ويلارد لاين . المساعد الاول لوزير الامن في لندن في اجازة .

فلا تمر أسابيع ، حتى يعود الاضطراب الى شوارع لندن . حوادث اختفاء غامضة ، البلاغات متتالية عن اختفاء عدد من الشبان من مختلف الاعمار ومن مناطق متباينة في لندن .

ولما عاد ويلارد من اجازته • كان الذعر في لندن قد بلغ أقصاه • ذهب وزير الامن وقال له في تعجب :

— هذا لا يصدق ياسيدي ! • اثنان وعشرون شخصا ؟ ! • ورد عليه الوزير بشيء من الاسى :

— وكلهم من الشبان ياسيد ويلارد • اكبرهم في السادسة والعشرين •

— وكلهم من أهالي لندن ياسيدي الوزير • قال الوزير :

واصغرهم عامل في احدى الحانات لايزيد سنه عن التاسعة عشرة • قال ويلارد :

— اجل • كلهم عدا احد الفلاحين الشبان •

— هذا عجيب ياسيدي • لماذا اختار الخاطفون ضحاياهم من الشبان فقط ؟ •

— لا أحد يدري • لم تسفر التحريات عن شيء ياسيد ويلارد • لقد اعتاد ضباط الجيش اذا حدث نقص في عدد الجنود ، ان يقتنصوا الشبان من الحانات والشوارع ويلحقونهم بالجيش فيما وراء البحار • قال ويلارد :

— اذن لماذا لا تكون هذه هي الحقيقة وراء الاختفاء ياسيدي الوزير ؟ • واجاب الوزير :

— لقد تحريت هذا من وزير الحربية فقال لي انه لم يصدر أية أوامر سرية في هذا الشأن يا عزيزي •

— هه ! • لعله اخفى الحقيقة عنك ياسيدي • فهذه الاوامر السرية تصدر عادة من جلالة الملك الى وزير الحربية •

— لقد قدرت ذلك أيضا يا عزيزي ويلارد • ولكني • لم أجسر على الذهاب الى الملك لمعرفة الحقيقة • جعلت همي في استجواب اصحاب الحانات فأكدوا لي انه لم يحدث ان قبض ضباط الجيش على احد من

الشبان من الحانات او المقاهي • وسأله ويلارد :

— أ •• هل تقع هذه الحوادث في منطقة معينة ياسيدي الوزير ؟ • قال الوزير :

— لا • أحيانا تأتي الشكوى من جنوب لندن واحيانا من شمالها • لا معيار للامر ابدا •

— يا الهي ! • اثنان وعشرون ؟ • هذا عدد كبير سيدي الوزير ! •

— لذلك • فلندن كلها في رعب • لا أحد يجسر على الخروج ليلا • الشبان على الخصوص في ذعر • ولان كل المخطوفين كما قلت لك •• من الشبان • وتساءل ويلارد :

— ولم تخطف شابة واحدة يا سيادة الوزير ؟ • اجاب الوزير :

— لا • لا يا عزيزي ويلارد • كلهم من الذكور • وحين ساد الذعر لندن • استدعاني صاحب الجلالة الى القصر وقال لي :

— انا أعرف ان المهمة شاقة يا مستر كارد • ولكن الامر خرج عن حدود المعقول • الم تصلوا في التحريات الى أي نتيجة • قلت :

— لم نصل الى أية نتيجة يا مولاي • وسألني جلالته في دهشة :

— ولا أثر للجثث ؟ • لثياب المخطوفين مثلا ؟ • قلت :

— لا أثر لاي شيء يامولاي • لقد جاء الى خاطري أن يكون الجيش أ •• فقاطعه الملك :

— أفهم ماتعني • لا ياسيدي • لم أصدر أية أوامر سرية بجمع الشبان لارسالهم الى الحرب في المستعمرات • قلت للملك :

— اذن • فنحن يامولاي نواجه عصابة عادية • فقال جلالته :

— أتعتقد ان هذا من عمل عدد كبير من القتلة والسفاحين ؟ • قلت :

— لا تفسير سوى هذا يامولاي • لا يمكن أن يكون ذلك من عمل رجل واحد • قال :

— ومع هذا فلم يقع واحد في خطأ يدل عليه ؟ • انها عصابة منظمة اذن
أ •• مستر كارد •
— نعم يامولاي •
— انني آمل ان تريح لندن من هذا الهم المقيت • ان لك سجلا حافلا بالمفاخر وأنا أثق بك •
— هذا يامولاي • يدفعني ورجالي لمضاعفة الجهد • قال الملك :
— لا تدخر جهدا في سبيل القبض على أفراد هذه العصابة • سأوافق على الفور على كل الاعتمادات المالية المطلوبة • كما اني سأهب من مالي الخاص معاشا سنويا لكل من يكشف عن أسرار هذه الحوادث قدره ألف جنيه • ورد عليه وزير الامن :
— هذا كرم عظيم يامولاي سيشحذ همة الرجال معي •
— ومهما حدث يامستر كارد فأعلم انني راض عنك وعنهم • ولكني مع هذا آمل أن تصلوا الى نهاية سعيدة لهذه الاحداث المؤسفة •

★ ★ ★

وما ان سمع ويلارد بدفع الف جنيه لمن يقبض على الجناة • حتى ذهب مسرعا الى وزير الامن وقال له باسما :
— معاش الف جنيه ؟ • هذا مبلغ يسيل له اللعاب ياسيدي • وسأله الوزير :
— تعني يا ويلارد انك تستنتج مما ذكرناه الان عن الاحداث شيئا سيؤدي الى القبض على الجناة ؟ • قال ويلارد :
— ليس بعد يا سيادة الوزير • ولكني سأصل حتما الى شيء •
— حسنا • هذا هو ملف القضايا كلها • أدرسها بعناية وأريد أن أعرف رأيك بعد أيام قليلة •

وبعد ايام • عاد الكابتن ويلارد الى رئيسه وزير الامن وقال له :

— اعتبر الجناة مقبوضا عليهم ومكبلين بالاغلال في سجنك ياسيدي الوزير • سأخلصك منهم • فسأله الوزير في شيء من الاستغراب :

— هل يمكنك أن تخبرني عن الاسلوب الذي ستسير عليه في عملك في القضية ؟ • قال ويلارد :

— هه ! • أسهل الاساليب ياسيدي أجودها دائما • لقد لاحظت قاسما مشتركا في كل احداث الخطف هذه • كلهم من الشبان الاقوياء الاصحاء • الشبان الذين يصلحون صلاحية تامة للخدمة • وسأله الوزير :

— ماذا ؟ • تقصد في الجيش ؟ • فأجاب :

— هناك مجالات كثيرة للخدمة ياسيدي • للحب ! • للحب ! • وتساءل الوزير :

— ماذا ؟ • للحب ؟ • تعني أن العصابة الخاطفة مكونة من النساء ؟ • فأجاب ويلارد :

— هذا هو اعتقادي • يخطفن الشبان على وجه التحديد ويساعدهن في ذلك عدد من الرجال •

— ولماذا لم يطلقن سراحهم بعد •• الخدمة ؟ •

— اعتقد انهن يقتلن ضحاياهن ياسيدي الوزير •

— والجثث ؟ • أين تختفي ؟ •

— سيدي • اذا وصلنا الى الخاطفات ، عرفنا كيف تختفي جثث المخطوفين •

— اذن • ماهي خطتك ؟ •

— بسيطة كما قلت لك ياسيدي الوزير • سأعرض شابا وسيما جميلا قويا كالثور •

ــ ومن ذا الذي يرضى بأن يتعرض لخطر كهذا ؟ • قال ويلارد :

ــ انه ولدي توماس ! • لا تخف ياسيدي انه حريص كأبيه • ولسوف اتخذه طعما لهؤلاء الخاطفات • قال الوزير :

ــ لا • لالا • لا أ رضى بأن تعرض ولدك لخطر كهذا • أعتقد انه هو الاخر سوف •• سوف يرفض • قال ويلارد مبتسما :

ــ بل لقد قبل ان يقوم بالمهمة ياسيدي • فقال الوزير :

ــ في هذه الحالة • يلزم ان •• أن يراقبه من بعد ، عدد من رجالنا لحمايته • قال ويلارد :

ــ وانا على رأسهم ياسيدي الوزير •

★ ★ ★

ووضعت الخطة على هذا الاساس •

كان توماس ابن الكابتن ويلارد • شابا وسيما انيقا قويا شديد الجاذبية •

ارتدى افخر ثيابه واخذ يذرع شاطيء التايمس في كلمناطقه وعيون الشرطة المختفين وراء الاشجار وعند ابواب البنايات ، تتلمس أي شبح يقترب منه •

ومرت ايام وليال دون صيد •

ثم •• جاء عصر احد الايام • ورأى الفتى وهو يسير على شاطيء التايمز •• رأى شابة مليحة أنيقة الثياب • بهره جمالها فتبعها •

نظرت اليه في اول الامر دون اهتمام • ثم •• شيعته بنظرة اغراء وأشارت الى وصيفة عجوز معها • فتصدت العجوز للفتى وجلسا على مقعد قرب الشاطيء • قالت له العجوز :

— لقد أسأت الى سيدتي بنظراتك الجريئة أيها الفتى • ضحك الفتى وقال :

— من يملك يا سيدتي الا أن ينظر بجرأة الى ذلك الجمال الفتان ؟ • من هي ؟ • قالت العجوز :

— اوه ! • قصتها طويلة • فقال الفتى :

— أ •• أحب أن أعرفها • قالت له :

— لا أظن انك لم ترق في عينيها • ولولا ذلك لما أمرتني هي ان اعرف نياتك نحوها •

— أ •• أهي متزوجة ؟ • قالت العجوز :

— كلا • بل هل تصل نياتك الى الزواج ؟ • قال توماس :

— حتى أعرف من هي ياسيدتي • قالت :

— انها من اسرة بولونية عريقة جدا • وتساءل الفتى :

— ما اسمها ؟ • قالت العجوز :

— الاميرة كابروفسكي • امها فرنسية وأبوها هو الامير كابروفسكي • ذهب ذات صيف الى فرنسا فأحب أمها واغواها وانجب منها الاميرة ثم عاد الى وطنه وتركها وابنتها الصغيرة في فرنسا • ولكن أباه ارغمه على الاعتراف ببنوة الطفلة خاصة بعد ان ماتت الام الفرنسية •وسألها الفتى :

— وهل استعاد الجد حفيدته في بولندا ؟ • اجابت العجوز :

— أجل • ولما مات جدها وابوها ، ورثت ثروة طائلة • ولكنها مسكينة تعيسة في الحب • لا تجد القلب الحنون الودود الذي تلجأ اليه في وحدتها • فأرجوك • أتوسل اليك اذا لم تكن نياتك شريفة •• ابتعد عنها • قال توماس مؤكدا :

— أقسم لك ياسيدتي • ان نياتي شريفة • وسأكون أسعد الناس اذا



كابروفسكي

اميرة ذبحت ٢٦ شابا واحتفظت برؤوسهم محنطة في دولاب بدارها !

قبلتني الاميرة زوجا لها • أ •• أيمكن هذا حقا ؟ • لا أصدق • فقالت له المرأة العجوز :

— لا أستطيع أن أعدك بشيء حتى أعرف تأثير نظراتك عليها • ايه من يدري ؟ •

— أ •• خذيني الى قصرها ياسيدتي • قالت العجوز :

— انها تقيم في دار في الضواحي • فقال لها الفتى :

— لنذهب اذن • قالت له :

— ليس قبل ان اعرف رأيها • اسمع ! • قابلني غدا في مثل هذا الموعد هنا • أفهمت ؟ • اذا جئت اليك فأعلم انها قبلت أن تراك لتختبر حبك لها • واذا لم أحضر ، فما عليك الا ان تنساها كلية • اذهب الان • الان •• اذهب ! •

★ ★ ★

وفي اليوم التالي ••

كان رجال الشرطة في كل مكان حول البقعة التي سيتم فيها اللقاء •

في الموعد المتفق عليه • أقبلت عربة مغلقة • اقتربت العربة من مكان الفتى وأطلت العجوز برأسها وقالت للفتى :

— اصعد أيها الفتى • الا انك لمحظوظ حقا ! • وسألها الفتى :

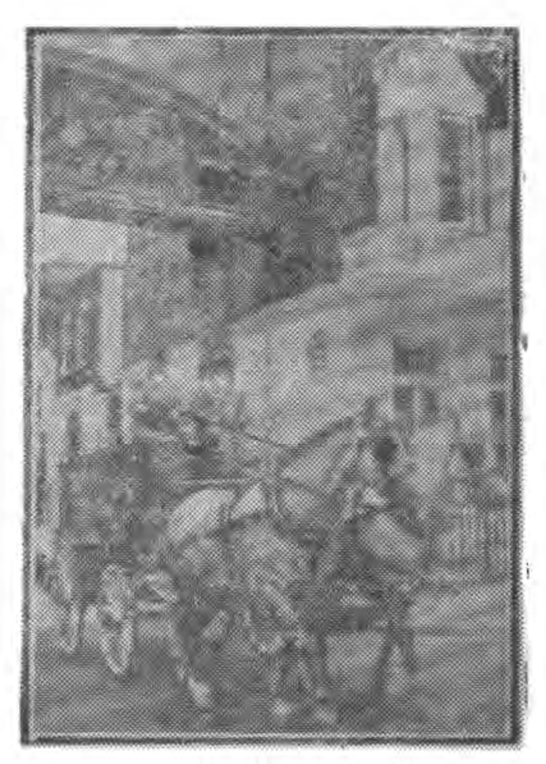
— هي أمرتك بذلك ياسيدتي ؟ • فأجابته بأبتسام :

— أجل • وهي في انتظارك الان • هيا أصعد •• هيا ! •

★ ★ ★

وتبعها رجال الشرطة في عربة اخرى عن بعد •

وخرجت العربتان من لندن الى الضاحية القريبة ثم دلفت العربة



وفي الموعد المتفق عليه ..

اقبلت عربة مغلقة ارسلتها الاميرة لنقل الضحية الجديدة الى دارها !

الاولى من بوابة دار انيقة فسيحة البستان حتى الفناء الكبير ثم دخل الفتى من باب خلفي قادته اليه العجوز . وفي لحظات ..

أطبق رجال الشرطة على الدار الآثمة من كل مكان .

قبضوا على الاميرة كابروفسكي ووصيفتها العجوز ، وعلى أربعة من أشرس رجال العصابات .

وقال الكابتن ويلارد في تقريره الذي رفعه الى وزير الامن :



وقطعت الاميرة راس ٢٦ شابا في مقتبل العمر

— فتشنا جميع غرف الدار وكل الدواليب فلم نجد ما يثير الريبة . غير انا وجدنا في غرفة المتعة المؤثثة بأفخر الرياش ، دولابا كبيرا بعرض الحائط . حين فتحناه .. وجدنا أفظع منظر وقعت عليه العين .

ست وعشرون رأسا لستة وعشرين شابا في مقتبل العمر كل منها على طبق من فضة وتحت الطبق بطاقة بأسمه وسنه وكلها محنطة كأن لم يمض على قطعها من رقبة صاحبها غير ساعات !! .

على احدى المناضد قرب الفراش ، وجدنا طبقا من الفضة ليس بـه شيء . انه الطبق الذي كان ينتظر رأس ولدي توماس ! .

★ ★ ★

وعثروا على الجثث مدفونة في فناء البيت الداخلي . وأعدمت الاميرة كابروفسكي . كانت أميرة حقا وصدقا . وعاد بعدها الهدوء الى شـوارع لندن .

لويس الأول

الملك الذي اغلق الجامعات وعطل المدارس ومنع المظاهرات من أجل عيون راقصة !

اغلق الجامعات وعطل الدراسة • ومنع المظاهرات من أجل جمال عيونها ! •• لويس الاول ملك بافاريا •

★ ★ ★

مساء الثامن من يوليو عام ١٨٤٣ للميلاد • ومسرح الكوفن كاردن بلندن كامل العدد • وقبل ان ترفع الستار • التفت أحد الجالسين الى صديق له بجانبه وقال له مؤكدا انه رآها وهي تدخل ليلة أمس من باب المسرح • يا للسماوات ! أي جمال وأي بشرة ناعمة وردية هذه ؟ • ويرد عليه صديقه قائلا :

— يقولون انها ابنة اخت المركيز دي پاسترا والكونتيس دي پالماس • لكن امرأة كانت هي الاخرى جالسة في الصفوف الاولى من المقاعد الامامية • ما ان سمعت حوار الصديقين عن الراقصة حتى التفتت اليهما وقالت في عصبية :

— هراء ! • لو انها كما تقولان ، لما قبلت ان ترقص على مسرح • هه ! • يا الهي ! • الى أي حد هوت سمعة الكوفن كاردن ؟ الى حد أن يقدم رقصات منفردة على خشبته ؟ • فقالوا لها :

— ياسيدتي • هذه هي الفتاة العظيمة •• لولا مونتيز ! • أروع راقصة

كلاسيك وغير الكلاسيك في عالمنا المعاصر • سترين حين ترفع الستار ما يذهلك عن نفسك من جميل رقصها • لكن السيدة اصرت على ما قالته واضافت الى ذلك فقالت :

— قولوا ما تشاؤون • أما أنا فلا أثق بالراقصات • كلهن من ادنى الطبقات • ولا أشك بأن هذه اللولا مونتيز خريجة حواري المكسيك او مدريد •

★ ★ ★

ورفع الستار •

ورقصت لولا مونتيز وشدت اليها الانظار • حتى السيدة التي استنكرت ان يسمح الگوفن كاردن بتقديم رقصات منفردة على خشبته همست لجارها وقالت :

— أوه ! • ما أروع هذه الفنانة وما أروع رقصاتها ؟ • والان • انا على ثقة من أنها سليلة أكرم عائلات أسبانيا •

وفجأة • وقف في احدى المقصورات شاب أنيق لندن كلها تعرفه وتسمع الكثير عن مغامراته العاطفية وغزواته الليلية هو •• لورد راندال • وقف يقول ساخرا :

— اني أعرف هذه الافاقة بما فيه الكفاية • انني اعرفها تماما كما تعرفها كل حواري مدريد •

انها ليست أسبانية كما انني لست ايطالي المولد • انها عشيقة الكابتن جيمس گيربرد ولقد قابلتها في الهند مرارا •

★ ★ ★

وانقلب عليها الجمهور الذي كان منذ لحظات في نشوة رقصها وحسن ادائها •

وتجاسر بعضهم فقذفها بورقة البرنامج بعد ان صنعوا منها كورا سريعة الطيران الى الهدف • ونزل الستار • وغادرت لولا مونتيز المسكينة الخشبة والدموع في عينيها واليأس القاتل في قلبها •

نراها بعد يومين ، على السفينة المتجهة الى هارفرد • نسـألها الى أين ؟ • فتقول :

— سأرقص ياسيدي رغم ما حدث لي • وسأغدو أروع راقصة في العالم • ولاني سأحقق مالم تحققه راقصة قبلي •• سأغدو ملكة ! • ونسألها ايضا :

— هل قرأت لك احدى الغجريات طالعك ؟ • فتقول :

— لا • ولكني أعرف قدراتي • انني أجمل جميلات العـالم • فكيف لايكون ملوك اوروبا تحت قدمي ؟ ! • قلنا :

— يا آنسة •• لقد • أ •• قالت :

— سيدة من فضلك ! • أنا متزوجة • اعني • كنت متزوجة • قلنا :

— آنسة لولا مونتيز (اذا كان هذا هو اسمك الحقيقي) •• لقد كنت في لندن ولم يرتم أحد منا الملوك تحت قدميك ! • قالت لنا في سخرية :

— هه ! • مع وجود فكتوريا المتزمتة على العرش ؟ • لقد اخطأت حيـن جئت الى كوفن كاردن •

— جئته من اين يا سيدتي ؟ • وهل صدق ما صاح به اللورد راندال ؟• هل أنت من حواري المكسيك أم من اسبانيا ؟ • قالت في سخرية :

— هراء ! • أنا أيرلندية • قلنا :

— أمعقول هذا ؟ • فأجابت :

— ولم لا ؟ • قلنا :

— البشرة التي تميل الى السمرة •والعينان السوداوان • فقالت :

— ان هذا من اثر الوراثة يا سيدي • فجدتي لامي من أسبانيا • اما أبـي وأمي فهما من أيرلندا • ولقد ولدت في مدينة نومريد الايرلندية • قلنا :

— من اسرة متواضعة بالطبع ؟ • قالت :

— لم تقول هذا ؟ • الانني اكثر حرة ؟ • قلنا ايضا :

— هذه هي الصفة العامة ياسيدتي • فقالت :

— لقد أخطأت ياسيدي • لقد مات أبي وانا في السادسة من عمري • كان اسمي ولا يزال ماريا اندرو كان ابي ضابطا في الجيش البريطاني في الهند • فلما مات • أخذتني أمي وعادت بي الى ايرلندة • كان معنـا على السفينة شاب ظريف أنيق ، ضابط في الجيش هو الاخر في الثانية والعشرين • تعلق بي تعلقا شديدا ورافقنا طيلة الرحلة • وبعد وصولنا الى ايرلندا أخذت أمي تشتري لي اروع ما في السوق مـن ثيـاب وأحذية • وأنا أعجب هذا الفستان ، قال لي الضابط :

— أتعرفين لماذا تشتري لك امك كل هذه الثياب الثمينة يا ماريـا ؟ •

— كلا ياسيدي • هل تعرف اين ؟ • اجاب :

— أجل • انها تعد لك جهازك • قلت ضاحكة :

— أتعني انها تريد أن تزوجني ؟ • أجاب : نعم • قلت : ألم تفاتحـك أمي في الموضوع ؟ • قال : كلا ولكني مازلت اتحرى حتى عرفـت • لقد تم خطبتك في السر لاحد قضاة المحكمة العليا في كلكتا •

وسألت الضابط مستغربا : أمعنى ذلك اننا سنعود الى الهند ؟ • أجاب : نعم • عندها اعلنت للضابط عن فرحتي وسعادتي بذلك وقلت له :

— اذن • فسأتزوج قاضيا ؟ • اني احب القضاة الشبان •

لكن سرعان ما أدرك الضابط وقال ساخرا :

— ولكن عريسك المنتظر هذا يا ماريا ليس شابا • انه ثري •• ولكنـه

في الستين • قلت ماذا ؟ • في الستين ؟ • وهنا ثارت ثائرتي لكن والدتي سرعان ما تدخلت وقالت لي :

— اهدئي يا ابنتي •• اهدئي •• اهدئي بحق السماء •

قلت لها : انه في الستين يا أماه ! •• في الستين • أنا لا أريد الزواج به • انني يا أماه لازلت صبية في السابعة عشر فكيف تزوجيني برجل في الستين ؟ • اني أفضل أن أموت على ان أتزوج عجوزا في الستين ! •

لكن والدتي أصرت وقالت بالحرف الواحد

— لن تموتي يا ابنتي • بل ستحيين حياة مرفهة سعيدة • قلت لها : لن اتزوجه • فقالت بعصبية :

— بل ستتزوجين الذي اخترته لك ولن تعصيني • أفهمت ؟ •

★ ★ ★

في اليوم التالي غادرت الهند مع الضابط •

عشت معه دون زواج عاما ثم اراد بعدها الزواج مني • فعدت معه الى الهند • وهناك لم يتورع التعس عن أن يقدمني الى أصدقائه ! • وهناك في الهند •• عرفت اللورد راندال • بعدها ضقت ذرعا بالزوج الخائن • كان يقضي الليل كله يشرب ويلعب الورق غير عابىء بي وبما أفعل •تركته في الهند وعدت على أول سفينة قادمة الى اوروبا حيث قررت أن احترف الرقص فيها وقد تسأل لماذا هذا الرقص البوهيمي على وجه التحديد ؟ فأقول : لقد تدبرت أمري ورأيت أن شهرتي تكمن في تقديم لون جديد لم تألفه الجماهير على المسارح التي يسمونها (المحترفة) فطلبت بين الرقص البوهيمي والباليه • ووقتها قالوا لي ان أساتذة الرقص لا يوافقونني على هذا الخلط الذي أفسد البوهيمية كما افسد الباليه • لقد تركتهم وشأنهم لكن جمهوري قال شيئا غير هذا •

أما أين تعلمت اللونين من الرقص ياسيدي • فلقد تعلمت البوهيمية على غجريات المجر • وأما الباليه فمن راقصات روسيا •

— تقولين يا ماريا انك تعلمت اللونين من الرقص من غجريات المجر وروسيا أيضا • فكيف بالله وأنت شابة حلوة في العشرين • لا أشك في انك كنت هدف الكثيرين من محبي الجمال • قالت :

— أجل ياسيدي • ولكني أحسنت الدفاع عن سمعتي لا يجسر عليه أحد من هواة المغامرة مع الجميلات • اما ما يزعم لورد راندال من انه نال اكثر من قبلة • هذا صحيح ولكن على •• على ظهر يدي ! • قلنا :

— والآن يا ماريا وبعد ان رقصت على مسرح الكوفن كاردن في لندن فالى اين بعد هذا ؟ • قالت :

— تلقيت دعوة من أحد مسارح وارشو فأهملتها • ولكني وبعد الذي حدث في لندن • لا أجدني سوى تلبية هذه الدعوة • وارجو الله ان لايكون ما حدث في مسرح الكوفن قد رافقني الى وارشو • وقد وعدت بأن أقدم رقصات على مسرح الباليه الذي يسمونه في وارشو المسرح الكبير •

— حسنا ياسيدة لولا مونتيز • أتمنى لك النجاح • وارجو أن اسمع الكثير عن أخبارك •

— وكيف تسمع عني ياسيدي وأنت بعيد ؟ • تعال معي • اصطحبني الى هناك وكن مؤرخ حياتي فأنا على ثقة من انني سأكتب سطرا عريضا في تاريخ الدنيا وأنت كما علمت مولع بالتاريخ •





راقصة

من اجلها .. اغلق الملك الجامعات وعطل الدراسة ومنع المظاهرات !

و .. ذهبنا يا اخي القاريء معها الى وارشو .

مع بداية عام ١٨٤٤ قدمت لولا عرضا رائعا في الرقص البوهيمي على المسرح الكبير . وانفجرت انباءها في وارشو انفجار قارورة عطر . وصار المسرح الكبير مهبط آمال العظماء والكبراء . وجاء الوصي على عرش بولندا الامير باسكوفيج .. جاء كل ليلة ليسعد برقص لولا مونتيز ذات الجمال الباهر . وذات يوم سألتني وهي تضحك :

— هه ! . ألم تعرف ؟ . قلت :

— أعرف ماذا ؟ . قالت :

— ان الامير باسكوفيج طلب أن أذهب لارقص أمامه في القصر . قلت : وهل ستذهبين يا آنستي ؟ . قالت :

— بالطبع . انها أروع فرصة . فاذا منحني الجنسية البولونية .. بقيت عمري كله في بولندا . قلت :

— ما أشد ما أشفق عليك يا لولا . قالت : لماذا يا فتى ؟ . تتكلم كأني ذاهبة الى المقصلة وليس للرقص أمام الوصي على العرش ! .

★ ★ ★

وذهبت ..

ورأت الوصي على العرش لاول مرة .. رأت الامير باسكوفيج الذي استطاع بمهارته السياسية وحبه العسكري أيضا أن يحفظ على بولندا استقلالها وسط عواصف الجشع الاستعماري الاوروبي .

رأت عجوزا متهالكا متصابيا . ورقصت دون حماس . فقد شاء الرجل الزنديق ان يبقى وحده معها في الغرفة لا يدعها تؤدي حركة من حركاتها دون أن يعوقها بلمساته . ثم .. تجاسر واحتضنها . عندما ثارت ثائرتها فقال لها الامير :

— ارجوك يا لولا •• أرجوك لاتصرخي في •• أرجوك • وردت عليه لولا قائلة :

— أرجو ان تدعني ياصاحب السمو • أنا لو أعلم انك ستتصرف هكذا في جنون • ماليت دعوتك • أرجوك أدع مافي القصر • ولن تشهد رقصاتي بعد ! • والان اما ان تدعني أرحل • واما أن أصرخ فتكون الفضيحة • فقال لها الامير :

— لا • لا تكوني قاسية يا لولا • اطلبي ما تشائين من ضياع القصور من حلي • لك كل ماتطلبين اذا وهبتيني الحب • أليس لي في قلبك مكان ؟ • فأجابته لولا :

— لا ياصاحب السمو • حبي كله لايكفي • فلقد رفضت ان أتزوج رجلا في ا لستين • هه ! • فكيف تتصور ان أقبل أن أعيش في الخنى مع رجل في السعين ؟ • فقال لها الامير :

— انني الملك ! • فأجابته لولا :

— وانا ملكة بصفتي ياصاحب السمو • ولو استجبت لك لما صرت الا خادمة في هذا القصر • وداعا يا صاحب السمو •• وداعا • وأسرع اليها الامير وقال صائحا :

— انك لاتعرفين نتيجة هذا الرفض يا لولا • سآمر بقتلك او بحبسك • ولسوف أتهمك بسرقة بعض مجوهراتي ! • لا ! •• لا تقولين هذا • اطلبي •• أ •• اطلبي ما تشائين •• أطلبي ! •

★ ★ ★

ولم يجسر الملك على ان ينفذ وعيده •

اما هي • فقد جسرت على مالم تتصور ان تفعل • وقفت على خشبة المسرح في الليلة التالية • وحين همت الموسيقى بالعزف توطئة للرقص • أشارت الى العازفين وقالت :

— انتظروا ايها الزملاء فأن لدي ما أقوله لجمهوري العزيز هـذه الليلة ، لقد راودني مليككم الامير باسكوفيج عن نفسي واراد ان اكون عشيقة للرجل المراهق ابن السبعين • ولقد هددني بالسجن وربما بالقتل ايضا • فاعلموا انني اذا لم ارقص ليلة الغد على هذا المسرح • فقد نفذ مليككم وعيده • والان ليتكرم الزملاء بالعزف ! •

★ ★ ★

كان الشعب البولوني ، يكره الامير الوصي على العرش •

فقد ضج الناس من حماقات شيخوخته وأنباء تهتكه واعتداءاته على الحرمات •

تظاهر الطلبة حول قصره • وتدخل الجيش يمنع الجماهير من التدفق الى القصر • وانتهز اعداء النظام الفرصة للوصول بالثورة الجديدة الى نقطة اللا عودة • واتخذوا من حادث لولا مونتيز وسيلة لعزل الوصي •

سألنا لولا وقلنا لها :

— كيفما تكون نتيجة الثورة ، فقد صار موقفك في وارشو هشا • وانصحك بمغادرتها • ضحكت لولا وقالت :

— لقد قررت ذلك منذ بداية الثورة • قلنا لها الى اين ؟ • قالت : الى باريس •دعنا نجرب حظنا في مدينة الفن • لقد كتبت الى الكسندر ديماه بأن يعاونني وانه ما من مسرح محترم في باريس الا ويقبل منه النصيحة الفنية • وعلى هذا فسأسافر الى باريس • قلت :

— سيدتي • هل تعرفين ان الذوق الفني في باريس هو محل كل فنان يريد النجاح خاصة اذا رضي عنك الذوق الباريسي عندها ، لن يكون حد لنجاحك ؟ •

اما اذا لم يقبل رقصاتك المنفردة كرقصة الحمامة العارية والفراشة

الحالمة .. اذا لم يقبل هذا اللون من الرقص . فلا تطمعي في اي مجد فني بعد ذلك .

واجابتنا لولا ان ديماه هو كل شيء في المجال الفني واذا وعد فلن يخلف وعده .

— لكن . اتعرفين الثمن ياسيدتي ؟ . فديماه رجل ! .

قالت لولا :

— يا عزيزي . لقد تصارحنا في الخطابات . ولقد فتح كل منا قلبه للاخر . ولولا أنه مشغول باليهودية (راشيل) لما قبلت ان اضع نفسي بين براثنه . وانه لو نظر الي نظرة اعجاب .. لقتلته راشيل الغيور على الفور .

★ ★ ★

وذهبت لولا الى باريس . واستقبلها ديماه في منزله في حفاوة بالغة وعينه على خليلته اليهودية راشيل . وقال بعد ان رقصت امامه :

— يا سيدتي العظيمة . كوني على ثقة انه وقبل مرور ثلاثة اشهر على مقابلتنا السعيدة هذه . ستغدو باريس تحت قدميك هاتين الانيقتين ! .

ولم يخلف ديماه وعده . وحين عرض ديماه على مدير مسرح الاوبرا ان تقدم لولا رقصاتها الجديدة الاسبانية المبتكرة . قال مدير المسرح :

— استاذ ديماه . ايلزم ان يكون ذلك على مسرح الاوبرا . فأجابه ديماه : ولم لا ؟ .. لم لا ؟ . فقال له المدير :

— اننا نقدم راقصات من هذا الصنف ، في رقصات منفردة . وانه لابأس اذا ادمجت رقصاتها في اطار مسرحية غنائية مثلا . لكن بحق السماء . من يرضى ان يفعل هذا في عمل مسرحي له ؟ . ورد عليه ديماه :

— انا ؟ •• انا ياعزيزتي • سأكتب لها مسرحية غنائية تؤدي لولا خلال فصولها بعض رقصاتها • ما رأيك ؟ • فأجابه مدير المسرح :

— استاذ ديماه • لقد ظللت أتوسل اليك ثلاثة اعوام لتكتب للمسرح • فرفضت • وها انت اخيرا توافق من أجل لولا ؟ • سنقدم يا استاذ ديماه •• سنقدم لولا او حتى الشيطان نفسه اذا كان ذلك من خلال مسرحية للاستاذ العظيم ديماه ! •

★ ★ ★

ورغم ذلك ••

فشلت الرقصات فشلا ذريعا • صفر النظارة لديماه طويلا وصفروا للولا مونتيز ايضا •

في الليلة الثانية • حدث ما هو ابشع مما حدث في الليلة الاولى •

القوا عليها البيض الفاسد والطماطم ؟ • دخلوا به المسرح خصيصا لتكريم الراقصة التي ظنت انها ستضع باريس تحت قدميها لمجرد الرقص الخليع الخالي من الذوق الفني • وغادرت باريس •

— سألناه : الى اين هذه المرة ياسيدة لولا مونتيز ؟ • أجابت : الى ميونيخ •

قلنا لها :

— ولماذا ميونيخ على وجه التحديد ؟ • قالت :

— الذوق الفني هناك ، لايقل رفاهة عن الذوق الفني في باريس • سأذهب الى ميونيخ لسببين • الاول ان ملك بافاريا لوي الاول يعتبر حامي الفنون والاداب في تلك المنطقة الجرمانية من العالم • والسبب الثاني لان ليز في ميونيخ • اجل ليز •• الموسيقار الالماني العظيم فرانسس ليز • ولا أحد سواه • وسألناها :

ـ هل دعاك ليز للحاق به في ميونيخ ؟ • قالت :

ـ أجل • قابلته مرة عند ديماه • وبصراحة •• لقد تحابنا • انـــه أجمل رجل وقعت عليه عيناي • أحبه بجنون • ولقد وعدنـي ان يقدمني لجلالة الملك لوي الاول ملك بافاريا • كما وعد ان يكتب لـي الوانا خاصة برقصاتي • اعتقد ان الحظ سيبتسم لي في ميونيخ هذه المرة يا عزيزي •

★ ★ ★

ابتسامة واسعة حقا تلك التي خصها بها الحظ •

فلقد عاشت شهورا مع ليز الذي اخذ يهم بها ارقى المنتديات حتـى صار اسمها على كل لسان • لم تعد لولا مونتيز الراقصة الشهيرة ، بل •• لولا مونتيز صديقة العبقري ليز • لكن ليز لم يقدمها للملك • بل عـاد الى باريس فجأة بعد ان اوصى الوزير دافيل الذي أراد ان يحقق لهـــا املها في مقابلة الملك عاشق الجمال • قال الوزير للملك :

ـ ياصـاحب الجلالة • ترى هل في وقتك دقائق خمس للسيدة لولا مونتيز ؟ • ويسأله الملك : تقصد لولا صديقة ليـــز ؟ • فأجـاب الوزير : أجل ياصاحب الجلالة •

ويوجه الملك سؤالا لوزيره ويقول :

ـ أيلزم ان اقابل كل راقصة متجولة تأتي الى بـــلادي يا عزيـــزي شارل ؟ • فيؤكد شارل للملك ان لولا على وجه التحديد تستحق ان يراها •

★ ★ ★

ورآها الملك •

قلب عينيه فيها • ولم يستطع ان يمنع نفسه من المقارنة بينها وبين زوجته الملكة • قال :

— يا الهي ! • اي فرق هذا الذي بين هذه الفنانة الرائعة الجمال وبين الملكة ذلك القبح بعينه ؟ •

سحرته لولا تماما • فصار اسير هواها منذ المقابلة الاولى • طلبت ان ترقص امامه فطلب الملك منها ان ترقص الرقص الكلاسيكي • قال لها :

— الرقص الكلاسيكي ؟ • بصراحة •• انا لا احب غير الرقص الكلاسيكي • فقالت له : مولاي • ستسر ما سوف ترى •

ورقصت الكاتشوشا والفلامنكو •• نفس الرقصات التي رقصتها في باريس على قذائف الطماطم والبيض الفاسد •

هذه المرة • صاح الملك حامي الفن :

— لقد مضى علي زمن أيتها الانسة لم اكتب فيه الشعر • لكن ومن اجل هذه الرقصات الرائعة •• سأعود الى عالم الشعر بقصيدة تعطي فنك حقه •

وصارت سيدة قلبه •

لم يكن يتورع من ان يقول هذا في كل مناسبة • وفي مجلس الوزراء حين طلب ان يصرف لها مرتب سنوي كبير • عزز الملك طلبه بقوله :

— أصارحكم أيها السادة • ان الفنانة العظيمة لولا مونتيز قد سحرتني تماما ! •

ولم يعد لاحد في بافاريا كلها من حديث ، غير تدني الملك المحبوب في غرام الراقصة • ولم يرق هذا للشعب •• الطلبة على وجه الخصوص •

وجدوا في هذه الفنانة عقبة كأداء امام الاصلاحات التي يرجونها من

الملك • صار اهتمامه كله بالطرب والفن والمسرح والغناء والرقص • والقى في سلة المهملات بكل مشروعات الاصلاح الجوهرية التي كان الشعب يطالب بها •
وحين قدمت رقصاتها بأمر من الملك على خشبة مسرح اوبرا ميونيخ • غادر النظارة أماكنهم احتجاجا • ومن بقي منهم •• اشبعها سخرية وصفيرا ! •

★ ★ ★

وبكى الملك ليلتها • وقال لوزيره دافيل :
— تصور يادافيل • لقد •• لقد سخروا من مونتيز • وانهم تجاسروا على ان يصفروا أمام رقصاتها القدسية ! • اذا كانوا لايريدون ان يسعدوا برقصاتها •• فسأبني لها مسرحا لا يدخله غير هواة الفن الحقيقي الصادق • ولكن لولا طلبت شيئا اخر • قالت :
— أريد قصرا جديدا يا صاحب الجلالة بحدائق تزهو على حدائق قصر فرساي • واكواخا غرامية أجمل من اكواخ الغرام في تويدري • ووسط هذا كله اريد مسرحا كبيرا يعزف لي فيه انبغ الفنانين • واؤدي فيه الكاتشوشا والفلامنكو •
ولم يتوان الملك في تنفيذ طلبها •
أشرف بنفسه على الرسوم والتشييد • أهمل كل أمور الدولة ليقف كأصغر مهندس ، يراجع مع العمال الوان المرمر الذي سيكسو ارضية القصر الرائع الذي بناه من مال الدولة للراقصة الحسنة الحظ • وبلغ السخط أقساه حين حومت الشائعات المروعة فوق الرؤوس والقائلة بأن الملك ينوي ان يطلق جلالة الملكة ليتزوج الراقصة •
في مجلس الوزراء • وفي اجتماع سري •

تقرر ان يذهب الوزير مترنيخ الى قصر الراقصة بعرض مغر • قال لها :

ــ يا سيدتي • ان هذا الذي اعرضه عليك • ليس •• فقاطعته الراقصة وقالت :

ــ لست ادري يا مركيز مترنيخ ان كان صاحب الجلالة قد اطلعكم او لم يطلعكم بعد على المرسوم الصادر منه هذا الصباح ؟ • فرد مترنيخ قائلا :

ــ انني لم أقابل صاحب الجلالة الملك اليوم ياسيدتي • فقالت لهلولا :

ــ لهذا تصر يا مركيز على ان توجه الي الحديث بكلمة (ياسيدتي) • المرسوم الذي صدر اليوم • يجعلني أميرة ! • فقال لها مترنيخ :

ــ حسنا يا صاحبة السمو • ان الذي اعرضه عليك اليوم •• تم بعلم صاحبة الجلالة الملكة • و •• انه في رأيي ورأى جميع الوزراء ، تعويض كاف • فنأمل ان تقبليه • وتساءلت لولا مرتعدة :

ــ تعويض عن ماذا يا مركيز ؟ • ما هذا الذي تمد به يدك نحوي ؟ • اجابها المركيز :

ــ انه شيك ياسيدتي بمئة الف فرنك فدية الملك يا صاحبة السمو • وردت لولا ساخرة :

ــ هه ! • كل هذا كي أهجر أحب الناس الى قلبي ؟ ••• الملك ؟ • فقال لها المركيز :

ــ اجل يا صاحبة السمو • لايخفى عليك ان الشعب كله يطالب بذلك • ارجوك • فبهذا المبلغ ، تستطيعين ان تحيي في باريس ملكة غير متوجة فردت عليه لولا :

ــ هات الشيك يا مترنيخ • فأعطاها الشيك فمزقته • عندها قال لها مترنيخ :

— سيدتي ! • لقد مزقت الشيك الذي تعلقت به آمال الشعب كلــه •

فأجابته لولا :

— لاشيء ياسيدي ، يساوي ساعة واحدة من حياتي بعيدة عن الملك •• حبي الاول والاخير • فقال لها مترنيخ :

— سيدتي • أخشى ان تدفع بافاريا كلها ثمن هذه العلاقة الشائنة • أجل شائنة وتستطيعين ان تقولي ذلك للملك • قولي له ايضا انه اذا لـم يصدر قرارا بابعادك •• فسأقدم له استقالتي من الغد •

* * *

ولم يصدر من الملك قرار الابعاد •

و •• قدم الوزراء جميعا استقالاتهم • لم يبق معه سوى صديقه الوزير دافيل الذي طلب الى الملك ان يهديء الموقف بارسال السيدة لولا في رحلة حول العالم • ففي هذه الحالة يسترد الوزراء استقالاتهم •• استقالة وزير الخارجية مترنيخ على وجه الخصوص التي اثارت ضجة شديدة في عواصم العالم في هذه الفترة الحرجة من تاريخ البلاد • لكن الملك صاح في وجـــه وزيره دافيل وقال :

— لا أريد ومترنيخ على وجه الخصوص • تصور ! •• تصور يا كونت دافيل •• تصور رغم ان مترنيخ قدم لها شيكا بثروة كبيرة فمزقته • سخرت منه • كيف تصور هذا التعس ان في استطاعته اغراءها بالمال ؟• لولا مونتيز يا دافيل •• ليست الا المزايا الطيبة الساذجة • فـرد عليه دافيل قائلا :

— أ •• وأي عيب في رحلة حول العالم يا مولاي تهدأ فيها الامور ؟ •

فصاح فيه الملك :

— اذا اردتم ان تذهب لولا •• فلن تذهب وحدها • سأكون معها ايضا •

وسأله دافيل :

وماذا سيقول عنك الشعب ؟ .. ملك مع راقصة ؟ . ورد الملك قائلا ؟.
— سأتنازل عن العرش اذا شئتم . وتساءل دافيل : من اجل هذه ال ...؟.
فرد عليه الملك محتدا :
— لاتتم الجملة !. أرجوك كفاية ! .

★ ★ ★

احبها الرجل حب الهوس .

وصار حلمه المجنون ان يضع التاج على رأسها المحبوب .

وحين تجمهر طلاب الجامعة امام قصر المحضية وتصايحوا مطالبين بابعادها .. خرجت الى الشرفة .

قذف الطلاب الشرفة بالحجارة . فدخلت لولا وعادت الى الشرفة مرة اخرى وبيدها غدارتان . صاحت بالجماهير المحتشدة :

— لو وقع حجر واحد ناحية هذه الشرفة .. فستنطلق اثنتا عشر رصاصة نحوكم . الا تعلمون انني أجيد الرماية وانني أعرف كيف أصوب الى القلب ؟ .

★ ★ ★

وعلم الملك بما حدث . وأصدر قرارا قال فيه :

— اغلقوا الجامعات . وعطلوا الدراسة حتى يعرف الطلبة انهم اخطأوا خطأ فاحشا في حق ملكتهم المقبلة ! .

★ ★ ★

بلغ السيل الزبى .

وأشتعلت بافاريا كلها بثورة عارمة . ولم يعد امام الملك من خيار . فأما ان يذهب او .. تذهب لولا .

وبيد مرتعدة ، ودموع تهطل مدرارا .. وقع الرجـــل قرار ابعـاد المحبوبة وقال :

— الان ! . الان ! . انتهت حياتي ! .

وخبا نجم لولا مونتيز من بافاريا . تشردت في بلاد اوروبا زمنـــا . ثم .. ماتت وحدها في غرفة باردة تعول فيها الريـــح في مونمارت باريس في الاول من شهر شباط عام ١٨٦١ للميلاد .

أورتانز بوهانيف

الأميرة ذات المئة عشيق !

اطلقوا عليها ايام مجدها ومجد زوج امها •• الملكة ذات المئة عشيق •• اورتانز بوهانيف •• ابنة جوزفين بوهانيف ، زوجة بونابارت امبراطور فرنسا •

شاع في اوروبا كلها أنها تلقى بنفسها القاء ، على كل فتى وسيم رشيق حلو الكلمة يغمز لها ولو كان خادما في حضائر جيادها ! •
وفي الشارع ••

صدق كثيف • والاصدق •• انها لم تحب في حياتها احدا كما احبت الوسيم الانيق الجاحد •• كونت فلاهوف •

منذ شبت عن الطوق • وخطابها كثيرون • فهي جميلة كالزنبقة الرشيقة ، فارعة العود • ولكنها فضلت ان تحتفظ بحرية قلبها • وحين الحت عليها أمها قالت لها :

— أماه !• انني اطمح في ان اصنع علامة في تاريخ اسرتنا • فكيف يمكن ان افعل هذا وليس في ا ستطاعتي ان ادخل مجتمع فرنسا الراقي ؟•
وصدقت ! • حين كانت في الرابعة عشر من عمرها •• كانت زهرة متفتحة للحب • كان خطابها رغم كثرتهم ، من الطبقة المتوسطة بل واقل من ذلك بكثير ايضا • وكانت تردد مع نفسها قائلة :

— ومن من افراد الطبقة العليا يرضى بأن يتقدم لفتاة فقيرة امها مطلقة تطارد ضابطا في المدفعية يدعى بونابارت ؟•



لم تكن تعلم ..

ان هذا الضابط ، سيتحكم بعد سنوات قليلة في مصائر شعوب اوروبا كلها . ثم .. تزوجت أمها جوزفين من ذلك الضابط . فما بلغت الثامنة عشرة حتى أمسك بزمام البلاد بلقب (القنصل الاول) . ويومها قالت لها امها :

ـــ الان . لا مهرب لك من الزواج يا اورتانز . فنابليون يريد ان يزوجك باخيه لويس .

وردت اورتانز قائلة :

ـــ أ .. الا لويس يا أماه ! . انني لا أحبه .

وصاحت بها أمها :

ـــ يا بلهاء ! . ليس للقلب حساب في مسألة الزواج . لم يطلب اليك احد ان تحبيه . ثم .. ثم ان الحب يأتي بعد الزواج . قالت اورتانز :

ـــ أماه ! . كأنك لاتعرفين من هو لويس بونابارت ؟. أكل ما يهمك هو انه شقيق زوجك ؟ . قالت الام :

ـــ اجل يا ابنتي . لانه لن ينساه وهو يرقى سلم المجد . سيغدو لويس في يوم من الايام مساعده في حكم البلاد .

ـــ أماه ! . انه مريض بأكثر من مرض . ذراعه الايمن عاجز تقريبا . كما انه كثير التوجس والشكوك . فهو يتشكك حتى في عفة امه . سيقلب حياتي جحيما بهذه الشكوك .

ـــ على الزوجة العاقلة يا ابنتي اورتانز . ان تقتل هذه الشكوك كلها بكياستها وسلوكها الطيب . قالت :

ـــ لكني لن استطيع يا أماه ذلك ابدا لاني لا أطيقه .. لا احبه . وقالت الام :

— كما قلت لك يا ابنتي • فالحب يأتي بعد الزواج •

★ ★ ★

ولم يأت الحب ابدا • خاصة ••

حين اثبت لويس بونابارت انه زوج تافه تزوجته راغما وأعطته طفلا اسماه ابوه (نابليون شارل) •

وتضايق نابليون الكبير من تسمية الطفل بأسمه • قـال لزوجته جوزفين :

— من المؤكد ان اخي ليس والد هذا الطفل • وتساءل من هو ابـوه الحقيقي ؟ •

قالت له جوزفين :

— لاتثر المتاعب للاسرة السعيدة ارجوك •

ورد عليها نابليون ساخرا :

— هه ! • الاسرة السعيدة ! • لن احب هذا الطفل ابدا حتى يغيروا من اسمه •

★ ★ ★

ولكنهم لم يغيروا من اسم الطفل •

ظل ابن اورتانز المجهول الاب ، يحمل اسم نابليون • ويدخل بـه التاريخ ذات يوم بأسم •• نابليون الثالث امبراطور فرنسا •

ولم يكن الزوج يهتم بحقيقة بنوة الطفل • انه في شغل عـن هـذه الامور ، بحالته الصحية التي تسوء يوما بعد يوم • فهو يتنقل على طـول العام بين قرى المياه المعدنية بحثا عن الشفاء •• ولا شفاء •

وفتحت الزوجة الجميلة الشابة بيتها لنجوم مجتمع فرنسا في عهـد ما بعد الثورة • واختارت من بين هؤلاء النجوم فتى سيء السمعة وان كان

وسيما كأبوللو هو .. الكونت شارل فلاهوف . وقررت ان تكون صديقة للفتى الجميل . فخافت أمها غضب بونابارت ولكن اورتانز قالت لامها :

— هل نسيت يا اماه انني أبنته المدلله ؟ .

★ ★ ★

وكانت اورتانز فعلا ابنة بونابارت المدللة .

فأليها كان يذهب اذا اثارت زوجته جوزفين المتاعب في بيت الزوجية . وهي التي كانت دائما تصلح مابينه وبين أمها برقتها وحسن دعابتها . لذا غض طرفه عن العلاقة الجديدة التي نشأت بينها وبين شارل فلاهوف .

في يومياتها كتبت اورتانز :

— انني اخرج معه يوميا تقريبا للتنزه في الغابة القريبة ونصطاد معا كل اسبوع . انه رزين ومتزن ، ولم يحدثني مرة واحدة عن الحب . وهذا لا يضايقني . فأنا لا أحبه . كل مافي الامر ، أن صحبته تروق لي كما قلت لامي من قبل .

★ ★ ★

ولكنها كانت تخادع نفسها . فقد كتبت بعد ذلك :

— اذا تحدث احد امامي عن الحب وذكر لوعته وما يفعل بالمحبين .. قلت لنفسي حمدا لله على انني لا احب شارل فلاهوف . فلا اريد ان اتعرض لمحنة الحب الحقيقية .

اما هو ..

فكان يلعب معها اللعبة على اصولها التي أتقنها .. الصبر على الفريسة حتى تستسلم دون صراع ! . كان يسألها :

— أ .. اين ستقضين صباح الغد يا عزيزتي ؟ .

وتضحك هي وتقول : أ .. لا ادري . فيجيبها : حسنا . أ .. ذلك

لاني سأكون مشغولا ببعض اعمالي الخاصة • وترد هي :

— أ •• كما تشاء يا كونت •

ولكنها (وما اعجب المصادفات)••

كانت تجده دائما في اي مكان تذهب اليه ، فيقول لها مفتعلا السرور :

— اوه ! • ما أجمل المصادفات ؟ • من كان يظن انني سألقاك هنا ياعزيزتي ؟ • وطال أمد اللعبة •

فلا هي تعترف بأنها تحبه ، ولا هو يريد ان يهاجم القلعة في صراحة • لو كان يحبها حقا ، لفعل ذلك • ولكنه كان يراها أجمل تحفة في متحف مغامراته العاطفية •• مجرد تحفة انيقة لا اكثر ولا أقل •

افلت الزمام منه ذات ليلة امام جمالها الطاغي وسحرها الاخاذ • قال لها :

— اورتانز ! •• اورتانز ! • انك تعاملينني بدلال لايتناسب مع علاقتنا الطويلة • وتجاوبه اورتانز في دهشة :

— ما هذا يا عزيزي شارل ؟ • انك تتهمني بما لم يجسر احد من قبل على أتهامي به • الدلال ياعزيزي •• صنعة بائعات الهوى •

— اوه ! • انني لآسف جد الاسف لما قلت يا عزيزتي • اورتانز ، لم اكن اعني هذا ولكن ••

— ولكن ماذا تعني على وجه التحديد ؟ •

— اعني •• اعنى انني احبك يا اورتانز • وسأقتل نفسي على الفور اذا لم يكن لي في قلبك مكان • فقالت له اورتانز :

— بصراحة ؟ • انني لا أحبك • صحيح انك رقيق ولطيف ، ولكن الحب لم يأت بعد • قال لها شارل :

— انني صبور وسأنتظر • قالت اورتانز :

— سيطول صبرك يا شارل . انا واثقة من قلبي ، انه لا يحمل لك غير الاعجاب . اما الحب .. فهذا أمر بعيد يا كونت .

★ ★ ★

لم تكن تدري ان ذلك البعيد ، كان يدق الباب في عنف . وأنها ستفتح له قبل ان تفيق الى نفسها من سكرة غرامها بالفتى الوسيم الذي تسبقه سمعته السيئة في عالم المغامرات العاطفية .

وعرفت فرنسا كلها ان الكونت فلاهوف ، صار الصديق الاسير الوحيد لاورتانز الجميلة مدللة بونابارت وزوجة شقيقه المريض لويس بونابارت . وقال القنصل لزوجته جوزفين :

— انني خائف على اورتانز يا جوزفين . فلقد شغفها فلاهوف حبا .

قالت جوزفين :

— لا تخف عليها يا عزيزي . انه مجرد صفقة جديدة في متحف مغامرات ابنتنا العزيزة . قال :

— العكس تماما هو الصحيح يا جوزفين . لان فلاهوف يعبث بها بينما حبه الحقيقي للممثلة الانسة مارز . اخشى ان يكسر هذا قلب عزيزتنا اورتانز ويحطم زواجها . لن يرضى اخي اذا عاد الي باريس .

★ ★ ★

ورأى بونابارت ان يضع حدا لهذه العلاقة التي صارت حديث الصالونات.

ارسل الفتى المحبوب سفيرا لفرنسا في ايطاليا . وجنت اورتانز ! . ذهبت الى زوج امها تستنجد به . قالت له :

— ارجوك يا خالي اعده الى باريس . انني لا اطيق البعد عنه .

ورد عليها الخال :

— هل جننت يا اورتانز ؟ . هل نسيت انك زوجـــة ؟ . الفتى يعبث بعواطفك ولا يحبك كما يصور لك . فقالت له اورتانز :

— لا يا خالي . انا اعرف انه يحبني . وفي استطاعتك ان تطلقني مـــن لويس وسأتزوجه .

— صدقيني يا اورتانز انه غارق الى اذنيه في حب الآنسة مارز الممثلة . قالت اورتانز :

— هذه شائعات سخيفة يا خالي . وسألها الخال :

— اتريدين دليلا على صحة الشائعات ؟ . حسنا . اعلمي انها سافرت خلفه الى روما . وانها الغت عروضها وسافرت وراءه ! .

★ ★ ★

ولم تيأس اورتانز من استرجاع الحبيب الغادر .

رغم ان الآنسة مارز ارسلت اليها من روما تؤكد لها انها ستتــزوج بالكونت فلاهوف وتطلب اليها ان تنسى رجلا لم يكن لها في يوم من الايام غير الصداقة العابرة .. فأنها قررت ان تسافر الى روما . ولكن امهـــا تقف منها لاول مرة موقفا حازما . قالت لها :

— كفى عبثا بالاسرة كلها يا اورتانز ! . ان بونابارت سيغدو امبراطورا لفرنسا . وسأتوج بجانبه امبراطورة . فكيف تبددين هذه الفرصة التي اتيحت للرجل الذي يعتبرك في منزلة ابنته ؟ . قالت اورتانز :

— ولكنني يا اماه لم اسافر الى روما فأن شارل فلاهوف سيتزوج بالآنسة مارز . قالت الام :

— اعدك يا ابنتي ان يمنع بونابارت هذا الزواج بشرط ان تعدلي عـــن السفر حتى يتم تتويج بونابارت امبراطورا على فرنسا .



كانت اورتانز تتوقع ان يشهد الحبيب الجاحد حفلات التتويج . ولكنه لم يعد الى باريس .

امره الامبراطور بالبقاء في روما . وأسرع باستدعاء اخيه وجعله ملكا على هولندا . وتساءلت اورتانز :

— ماذا ؟ . جعل من لويس ملكا ؟.

وقالت لها أمها :

— وصرت انت الملكة يا ابنتي اورتانز . يا للسعادة ! .. صرت ملكة هولندا ! . قالت اورتانز :

— ولكني لا اريد يا اماه ان اصبح ملكة . لا اريد ان اغادر باريس . لقد علمت ان فلاهوف استقال من السلك الدبلوماسي وانه عائد الى باريس .

وصاحت بها أمها :

— يا بلهاء ! . لا تضيعي الفرصة !. انت لست اقل من بقية زوجات اخت الامبراطور . كلهم الان ملوك على دول اوروبا . جيرون على وستفاليا وموراه زوج اخته كارولين ملك على نابولي . ويوجين على بلجيكا . وجوزفين على اسبانيا . فلا تضيعي الفرصة فأنك لست اقل من هؤلاء .

وتجيبها اورتانز : سأكون تعيسة يا اماه بدون شارل فلاهوف . فقالت لها امها :

— لا عليك يا ابنتي . سأدبر الامر كي يزورك فلاهوف في لاهاي كلما اردت ذلك . وردت اورتانز :

— اماه ! . هذا وعد منك . سأذهب فقط املا في تحقيق هذاالوعد .



ونزلت عند رغبة الامبراطور الذي وزع ممالك اوروبا واماراتها على اخوته وازواج اخواته •

سافرت اورتانز الى هولندا ملكة بجانب زوجها المريض الكهل لويس بونابارت ملك هولندا الجديد • ووفت الام بوعدها • فطلبت الى فلاهوف بأن يكثر من السفر الى لاهاي ليؤنس وحدة الملكة الجديدة الشابة • فقال لها :

— سيدتي • ان صاحبة الجلالة الملكة اورتانز تخلط بين الحب والصداقة • فقالت له :

— اعرف يا كونت انك كنت تحبها في وقت ما •

ورد عليها الكونت قائلا : د

— اجل • لازلت اكن لها الكثير من الاعزاز ولكن فرقا ما بينهما • قالت له جوزفين :

— لا فرق هناك ياكونت • الحب هو الاعزاز • والاعزاز هو الحب •

ارجوك لا تحطم قلب المسكينة اذهب اليها لتؤنس وحدة قلبها في لاهاي •

وسافر العاشق الجاحد راغما • ولكنه ••

وجد من الملك الزوج عنتا شديدا • لم يكد يتركه لحظة و احدة مع الزوجة العاشقة • ومع هذا ••

فقد كانت اورتانز تجد دائما الفرصة للخلوة في غابات هولندا بالعاشق الجاحد • وكثرت ساعات الشجار والنقار بين الزوجين وذات يوم قال لاورتانز بالحرف الواحد :

— انت تحينه ! • ان عندي الدليل على خيانتك ! • وسألته اورتانز :

— وكيف تملك الدليل على شيء غير موجود ؟ • فأجابها الزوج :

— الدليل في احشائك ! • فقالت له :

— كذب ! • انت كاذب ! • كيف تجسر على ان تتهمني بهذا ؟ • هل نسيت انني الملكة وانني زوجتك ؟ • ومهما تكن الامور ، فأنت والد كل ما اضع من اطفال •



ووضعت بنتا •

وكتبت احدى الصحف التي تعارض بونابارت على لسان سيده من اديبات العصر • قالت الصحيفة :

— ان الملكة اورتانز صريحة وواضحة الاجابات على كل ما يوجه اليها عادة من اسئلة • ولكن من المؤكد ان ذاكرتها ضعيفة جـدا فيما يختص بأسماء آباء اطفالها ! •

ورغم الفضيحة التـي انتهزتها الصحف البريطانية فرصتها وجلدت بها امبراطور فرنسا واسرته جلدا بلا رحمة •• فأن اورتانز اصرت على طلب الطلاق من الملك لويس زوجها بعد ان قال لها شـارل فلاهوف :

— انني ابدا لم احب الآنسة مارز وانا على استعداد للـزواج منـك يا اورتانز اذا وافق جلالة الامبراطور على فراقك من اخيـه • أن بيننا الان طفلة صغيرة جميلة ! •



ونزل بونابارت عند رغبة المدلله اورتانز •

ولكن الحبيب الغادر وجه اليها الضربة القاضية • سافر الى نابولي • وهناك •• صار العشيق الرسمي للملكة كارولين ملكـة نابلـي وشقيقـة الامبراطور •

ورغم ان فلاهوف مل في سرعة صحبة كارولين ، فأنه لم يعد ابـدا الى اورتانز التي ظلت تنتظره وكلمات الصفح على لسانها • كانت تقول :

— انني انتظره رغم كل شيء • فساعة من السعادة معـه •• تسـاوي انتظار مئة عام ! •



ولكنها لم تره بعد ذلك قط •

وماتت في قصرها في الثاني من شهر كانون الاول من عـام ١٨٣٧ للميلاد •

هنري الرابع

الملك الذي غير من عقيدة أمته كلها من أجل امرأة ؟

هنري الرابع .. ملك فرنسا .

الرجل ، الذي ابلغته العرش مغامرة عاطفية واوشكت ان تضيعه منه مغامرة عاطفية اخرى .

تبع نساء . لايكاد يلمح طرف ثوب جميلة .. الا ويلقي قلبه تحت قدمي صاحبته . وفي القائمة أسماء كثيرة .

غير ان الدور الذي لعبته ضيفة هذه الدقائق .. أثار الجميع في الضحك . (حاشيته ونبلاءه واسرته والشعب كله من ورائهم) .. الجميلة الساحرة كابريلا داستري .

★ ● ★

من هي هذه اللعوب الطموح التي أوشكت ان تهوي بعشيقها من قمة المجد الى حضيض المهانة وتسقطه من قلوب شعبه ؟ .. كانت مربية طفله الوحيد ! . تسللت الى قلب الملك عن هذا الطريق . وما اكثر الملوك الذين عشقوا مربيات أطفالهم ! .

هنري الثامن ملك انكلترا .. صاد اثنتين من غرف أطفاله . كذلك فعل هنري الرابع ملك فرنسا .

كانت بروستانتية . فغير من عقيدة أمته كلها من أجل جمال عيونها !.

وكانت أقرب الى البدانة منها الى النحافة . فصارت الموضة هي الخصر الواسع . وهو اليوم .. يريد ان يخطو الخطوة التي جسر عليها هنري الثامن الا وهي الزواج من كابريلا وتطليق الملكة ماركو . ورغم ان الكثيرين قالوا :

— لن تستطيع ياصاحب الجلالة .. لن تستطيع . لقد اغضبت البابا حين اعدت البروستانتية الى فرنسا وعاديت الكاثوليكية . فكيف تطمح في ان يوافق البابا على تطليقك من الملكة ؟ . ولكنه رد قائلا :

— لقد سبق للبابا ان وافق على تطليق هنري الثامن ملك انكلترا من زوجته كاترين . فقالوا له :

— لا يا صاحب الجلالة . فلقد اضطر هنري الثامن ان يصدر قرارا من كنيسته بهذا الطلاق . ولكن قداسة البابا لم يوافق عليه . فاضطر هنري الى الاستلماح بكنيسة انكلترا بدلا عن الكنيسة الكاثوليكية . قال الملك :

— اذا رفض البابا .. فعلت أنا ايضا ما فعل هنري الانكليزي . قالوا له :

— يا صاحب الجلالة . لقد فعلت ذلك منذ ثلاث سنوات ، يوم غيرت العقيدة في البلاد أ .. هل نسيت ؟ . فرد عليهم الملك :

— هذا صحيح . ولكني ، سأجد الوسيلة . لابد من الزواج من عزيزتي الدوقة داستري .

★ ★ ★

و .. لم تكن داستري .

غير فتاة من عامة الشعب الايطالي . رفع قدرها ان تزوجت امها

احد نبلاء فرنسا • فقدمها الى بلاط هنري الرابع • فاذا بها ، تقتحم قلب الملك كالصاروخ •

منذ الليلة الاولى ••

صارت الافاقة الصغيرة كابريلا (دوقة) ودوقة لاخصب دوقية في فرنسا كلها •• دوقية داستري • والبقية في الطريق •

ولكن الطريق مليء بالعقبات • و •• والملك عنده رئيس وزرائـــه حلال المشكلات •• دوق دي سولي الذي قال للملك :

— يا صاحب الجلالة • النساء كثيرات • صحيح ان الدوقة جميلة رائعة الجمال • ولكن ، لايلزم أن تغدو ملكة • فرد الملك :

— أفهمني يا سولي أرجوك • لست أهدف فقط الى الزواج من كابريلا ولكن • الى الخلاص أيضا من الملكة مارگو المجنونة المستهترة التي تركتني وعادت الى موطنها بريتاني تعبث مع عشاقها كما تشاء • كان نصف عدد اسماء من رشحن للجلوس على العرش بجانبي • أ •• خذ مثلا الاميرة فانسي أنها أ ••

- ولكن ياصاحب الجلالة لو أستعرضنا كل اسماء أميرات فرنســا وانكلترا والمانيا أيضا •• لما راقت في عينيك في نهاية الامر • ويضحك الملك ويقول :

— كأنك تقرأ كل أفكاري يا سولي • ويرد سولي قائلا :

— ولكن هذا مستحيل ياصاحب الجلالة • فيجيبه الملك :

— عليك ان تجعل المستحيل ممكنا يا عزيزي سولي • قال له سولي :

- هذا هو المستحيل الابدي يا مولاي ! • فقال له الملك :

— يا رجل ! • لقد وعدتها فأبحث لي عن حل ولو من باب الشفقـــة الانسانية •

— مولاي • السياسة لا تعرف العواطف الانسانية • السياسة لا قلب لها

والشعب كله لايحب التي تحبها جلالتك . فهل .. ستقف ضد ارادة شعبك ؟ .

— ألاعيك يا سولي القاتل ! .. كل شيء عندك أبدي ونهائي ومستحيل .

— مولاي . زواجك من كابريلا مستحيل استحالة أبدية . وهو أيضا أ .. في رأيك انت وحدك تحد نهائي للشعب الذي يرفض كله . في رأيك وحدك أيضا هذا الزواج .

— عزيزي سولي . انا رجل لا اعرف هذه الحتميات والنهائيات والابديات . لهذا اطالبك ان تبحث لي عن حل . قال سولي :

— الحل جاهز يا مولاي . وسأله الملك :

— وما هو ؟ . اجاب :

— تطلب الى الدوقة ان تكف عن طلب الزواج منك والتتويج . فقال الملك :

— ولكن هذا مستحيل ! . ومرة اخرى يسأله سالي :

— أرأيت يامولاي كيف ان المستحيلات في الموضوع كثيرة ؟ . قال الملك :

— حسنا .. حسنا . لنبقى الامر عند هذه النقطة . فلا زواج ولا طلاق ولا تتويج للملكة . من يدري ماذا يحدث في العام القادم اذا ماتت الملكة ماركو ؟ . قال سولي :

— مولاي . هلا ستدس على ماركو من يقتلها لتفسح لك الطريق ؟ . فصاح الملك :

— أوه يا عزيزي سولي . انني عاشق و .. لست سفاحا .



واراد الملك العاشق ..

ان يجرب الحل الذي قدمه وزيره المخلص سولي ٠ وهو ان يطلب الى عشيقته التخلي عن فكرة الزواج والجلوس بجانبه على العرش ٠ ولكن ٠ اترضى المرأة الطموح بهذا بعد ان خططت له ورسمت واستولت على قلب الملك وعقله وارادته ؟ ٠ ولم يبق الا النطق بالكلمة المرجوة ٠ قالت للملك :

ــ أوه يا عزيزي أنا حامل ! ٠ اردت ان اشعر انك لي كلك ٠٠ ملكك وروحك وتاجك ٠ ويجيبها الملك :

ــ وما قيمة التاج وأنت كل حياتي ؟ ٠ وتسأله :

ــ و ٠٠ هذا الجنين الذي في بطني ؟ ٠ أتريده أن يغدو مجرد دوق داستري ؟ ٠

ــ أ ٠٠ سأجعله اميرا بعد الاعتراف به عزيزتي ٠ قالت له :

ــ ايعطيه هذا الحق في الجلوس على العرش يا مولاي ؟ ٠ قال الملك ٠

ــ كلا بالطبع ياعزيزتي ٠ فهناك ولدي ولي العهد من الملكة مارگو ٠ قالت :

ــ ارأيت ؟ ٠ ما أن يغدو ولدك منها ملكا ٠٠ حتى ينتهي أجلك ٠ اجابها الملك :

ــ أوه ياعزيزتي ٠ من يدري ماذا في بطنك ؟ ٠ هل هو ذكر او انثى ؟ ٠ دعينا ننتظر الميلاد ونرى ٠ قالت له :

ــ وما فائدة الانتظار ؟ ٠ قال الملك :

ــ اذا جاء الوليد ذكرا ٠ فسيكون الرأي العام مستعدا لقبول فكرة زواجي منك ٠ سأبررها حينئذ بضرورة جلوس ولدك على العرش بدلا من ابني من مارگو المجنونة ٠

ــ لا ٠ لم أضع مصيري ومصير جنيني في كفة القدر ٠ اوه يا حبيبي ! ٠ دعني اذن أنسحب من الحياة العادية وادخل الدير ٠

ـــ الدير ؟ • و •• تتركيني ياعزيزتي ؟ •• مستحيل •• مستحيل ! •

★ ● ★

كانت تلك ••

لعبتها المفضلة التي تضغط بها على ارادة الملك كلما اوشك حلمها السعيد بالزواج منه والجلوس على العرش ان يتبدد •

وكان يعشقها عشق الجنون • ولم تكن البدانة في تلك الايام معيارا لجمال الانثى • ولكنها صارت كذلك مع عشق الملك المتيم بها •

وكلما زادت كابريلا داتسي رطلا •• كلما زاد رصيدها من الهيام في قلب الملك الذي حير مؤرخيه •• هنري الرابع •• العاشق الابدي •

هذه المرة ••

تقاضت كابريلا ثمن التهديد الاخير جرعة منشطة قربتها الى التاج خطوات وخطوات فقد توعك الملك في جناحها وزاره طبيبه الخاص • ويسأله الملك :

ـــ ماذا وجدت يا دكتور بايرون ؟ • قال الدكتور :

ـــ أ •• انها البروستاتا يا صاحب الجلالة • وسأله الملك :

ـــ أوه ! • أ •• أهو مرض هذا ؟ • قال بايرون :

ـــ البروستاتا غدة في الجسم يامولاي • ولقد ارهقتها جلالتك كثيرا فأصابها بعض التضخم •

ـــ ألا شفاء منها اذن ؟ •

ـــ الذي خلق الداء يا مولاي •• خلق الدواء •

ـــ وأين الدواء يادكتور ؟ •

ـــ قد يحتاج الامر الى جراحة يا مولاي •

ـــ لالا ! • مستحيل • لن احتمل السكين يا دكتور بايرون •

— مولاي . قد نؤجلها الى حين ونستخدم وسـائل اخرى . أ ..
ولكن ..
— كل الوسائل مصرح لك بها يا دكتور الا الجراحة . اللعنـة علـى الزهري التي أصابتني به فلاحة اللورين . أ .. قصدك يادكتور ان لديك أنباء أخرى عن مرضي ؟ .
— اجل يا صاحب الجلالة . وسأله الملك :
— سيئة ؟ . قال الدكتور :
— من حسن الحظ يامولاي . انك انجبت ولدا وبنتا من الملكة مارگو .
وسأله الملك :
— وما دخل هذا بموضوع مرضي ؟ . ما العلاقة يا دكتـور ؟ . قـال الدكتور :
— لن تنجب بعد ذلك يامولاي ! .
— ماذا ؟ . وهل أنت واثق يابايرون ؟ .
— كل الثقة يا مولاي .

★ ● ★

صار حتما اذن ..

أن يعترف الملك بطفله من كابريلا اذا جاء ذكرا . ويومها قالت لـه ام الجنين :

— ارأيت يامولاي ؟ . السماء نفسها تريد لي ولولدي التاج .

وجاء الوليد والملك في الفراش .

ولكنه ، لم يوقف حفلات القصر بل قال لوزيره دي سولي :

— سولي . اريدها ان تكون ابهى حفلات فرنسا كلها . فأني اعد لكم مفاجأة طيبة .
— يخيل لي يامولاي . انك تنوي ان تعيد جلالة الملكة مارگو ؟ . قال الملك :

— أنت مجنون دون ريب يا سولي • ماذا دفعك الى هذا القول ؟ •
— ما سمعته من الدكتور بايرون يا مولاي •
— أوه ! • عن انني لن انجب بعد ذلك • أليس كذلك ؟ •
— اجل يامولاي •
— حسنا • المفاجأة لها علاقة بما قال بايرون على اي حال • ولا تسألني اكثر من هذا •

★ ● ★

وشهد القصر الملكي أبهى احتفاله بالعيد منذ شيد •

الاميرات والامراء والنبيلات والنبلاء • في ابهى ثياب وأجمل زينة واروع حلي • البروكات والداتيللا والحرائر المذهبة والريش الجميل • والقلادات الماسية والنياشين • وأضواء أكثر من مئة الف شمعة تحيل ظلام القاعات نهارا ساطعا •

وفجأة • صاح الياور :

— صاحب الجلالة الملك وصاحبة الفخامة الدوقة داستري ! •

وسكت الجميع •

ودخلت المحضية مستندة الى ذراع صاحبها •

كان التقليد حتى ذلك اليوم • أن تتقدم أمها وتأخذها منه فتقف معها في الصف حسب رتبتها • واقتربت الام • وصاحت بأبنها :

— أوه يا عزيزتي • اننا •• نسير الى مكان اخر • وردت البنت :

— ومصير اخر أيضا يا أماه •

وتراجعت الام الى مكانها • وتهامس الجميع • وبلغ الملك وعشيقته كرسي العرش • وصفق الملك بيديه • فأقترب الياور بسرعة • وقال له الملك :

— هات بمقعد لصاحبة الفخامة الدوقة •

أجلسها الملك بجانبه ثم .. أمسك بيدها واخرج من جيب صديريته خاتم التتويج الذي وضعه في اصبعه يوم توج كبير كرادلة نوتردام . قال الملك :

— هذا ايها السادة والسيدات .. خاتم تتويجي .. خاتم زفافي الــى ملكة فرنسا . اني .. أضعه امامكم في اصبع صاحبة الفخامة الدوقة داستري . ف .. اعطيني اصبعك ياعزيزتي .

★ ● ★

اثار الحادث الرأي العام كله .

وغدا واضحا ان الملك يتحدى الجميع في سبيل تحقيق رغبة المحضية في الطموح .. الملكة ماركو وولي عهدها الشرعي . والنبــلاء والــوزراء والبابا والشعب الفرنسي كله .

ويوم قال الملك لها :

— يا عزيزتي . سنحتفل بزواجنا مهما حدث في الشهر القادم . قالت هي لامها :

— أماه . لا أحد يقوى الان على منعي من الوصول الى العرش الا الله و .. موت الملك .

ـ التتمة في الفصل الثاني ـ

هنري الرابـع

الفصل الثاني

هنري الرابع ملك فرنسا .

رأيناه في الفصل الاول كيف اوشك ان يفقد التاج من اجل محضية افقدته عقله وارادته و .. قلبه قبل كل شيء ... كابريلا داستري .

ألحت عليه بأن يطلق الملكة المجنونة ماركو ويتزوجها فيصبح الجنين الذي في بطنها منه ولي عهده ذكرا كان او انثى .

وتبع الملك هواها . فاعطاها خاتم تتويجه في حفلات العيد . مما ادرك منه الشعب ان الملك عازم على ان يجلس بجانبه تلك المحضية السيئة السيرة قبل علاقتها بهنري وبعدها . وبات الصراع حتميا .

النبلاء والامراء والشعب وبابا روما . بجانب .. وهنري ومحضيتـه الطموح كابريلا في جانب اخر . **وصاح الملك :**

ــ ايحسب الفرنسيون ان هذه الصيحات المجنونـة حـــول قصــري ستثنيني عن عزمي ؟ . والتفت الى الدوق دي سولي وقال له :

ــ لا أفهم لماذا لا تقول لهم ذلك يا دوق . ويرد عليه الدوق :

ــ مولاي . وما جدوى قولي ازاء ما يقوله لهم القساوسة ومطارنـة الكنائس ؟ . وما يشيعه نبلاء وأشراف البلاد عن الخراب الـــذي ستجره عليهم زيجة كهذه .

ــ حسنا يا دوق . يريدونها حربا اذن ؟ . **قال الدوق :**

ــ مولاي . ألا يكفي ما دخلت من حروب لتثبيت سلطة الملك فوق نفوذ النبلاء ؟ . لا أنصح بدخول حرب أهلية ثانية . من يدري ماذا ستكون نتيجتها وقداسة البابا هذه المرة بالذات ؟ . ورد عليـه الملك :

ــ الا اذا كنت غير قادر على الحاق الهزيمة بأعدائي . ولكنني ياكونت

لن اكون البادىء بالشر • وليس معنى هذا ان أبقى ساكنا حتى أرى أشراف البلاد ونبلاءها يغزون باريس •

★ ★ ★

كان هنري ••

يستعد لحفلات الزواج كأنما يستعد للحروب • وصدرت قراراته مثيرة للدهشة وهي :

١ ـ يعين الدوق داستري والد الدوقة كابريلا حاكما عسكريا لباريس •

٢ ـ يعين شقيقنا الامير ليون حاكما عسكريا على ميناء الهافر •

٣ ـ يعين شقيقنا الاميرال كورديس قائدا عاما للاسطول وتشمل مسؤولياته مخازن الذخيرة في جميع ثغور البلاد •

ورغم هذا ••

فقد كان في قرارة نفسه يود ان ينتهي الامر في سلام •

ان يتقبل الشعب المحضية الجديدة ملكة عليه • وان يقبل البابا اصدار قرار طلاقه من الملكة مارگو أو ان تعدل كابريلا نفسها عن فكرة الزواج والتتويج • ولكنها أبت تماما رغم كل تلك الاخطار التي تحيق بصاحبها وبالبلاد • أبت ان تتنازل عن لعبتها الاخيرة فقالت :

ــ لا • لقد عشت ثلاث سنوات أداعب هذا الامل ويداعبني • لن أعدل عن هذه الرغبة مهما حدث • لا تحدثينني في هذا بعد الان يا كونتيس ستيلا •

وتجيبها الكونتيس :

ــ يا عزيزتي • انك تعاملين كما تعامل أية ملكة • ماذا تريدين اكثر من هذا • قالت :

ــ لا أسمح بان تملي علي ارادتك او تخاطبينني مخاطبة الند للند ياكونتيس • اذكري انك مجرد وصيفة •

— سيدتي . لا أستطيع الا ان اذكر انني صديقتك المخلصة . فأنا لا استطيع أن أشهد كل هذا الصرح العظيم ينهار من اجل رغبة طائشة ثم أقف ساكتة دون ان امدك بالنصيحة . اذا كنت تحبين الملك حقا يا كابريلا فاعدلي عن هذه الرغبة .

— مستحيل ياكونتيس .. مستحيل .. مستحيل يا ميري .. مستحيل ! .

— سيدتي . لقد صرت سخرية الناس جميعا . ولم يعد أحد في باريس يجهل انك تستشيرين العرافات وقارئات الطوالع والباحثات عن اسرار الغيب في الرمل وفي فناجين القهوة وفي النجوم .

— لن أعدل عن رغبتي هذه يا ميري . وان كل من أستشرتهن قلن لي انني سأضع التاج على رأسي . لن أعدل يا ميري .. لن أعدل عن رغبتي .

★ ★ ★

وكانت تكذب .

فلم تتنبأ لها عرافة واحدة بتحقيق الامل المرجو . واحدة فقط قالت لها :

— ستقربين من هدفك أيتها السيدة حتى مسافة اصبع واحد ثم .. يتبدد الحلم الجميل فجأة .

واخرى ضربت لها الرمل وقالت :

— لن تتزوجي غير مرة واحدة يا سيدتي . وترد عليها غابريلا :

— ولكني تزوجت فعلا قبل ان اعرف الملك . فتجيبها العرافة :

— اذن . فقد استوفيت الزيجة التي كتبت في قدرك .

وثالثة قالت :

— من المحزن يا سيدتي انك ستموتين في زهرة شبابك .



الملك هنرى الرابـع

كان تبع نساء لا يـكاد يلمح طرف ثوب امراة جميلة الا ويلقي قلبه تحت قدميها حتى انه احب مربية طفله الوحيد التي تسللت الى قلبـه ٠ ومن اجلها غير الملك من عقيدة امته كلها !٠

ــ لا بأس • المهم هو التاج •• التاج وطفلي • وتجيبها العرافة :

ــ لا تاج ولا طفلة أيتها السيدة •

★ ★ ★

وحاولت كابريلا ان تعزي نفسها بان الكل حاقد عليها وكاره لها حتى اولئك العرافات الكاذبات اللاتي قبضن ثمن النبوءات ذهبا يبارى • ولكن الاحلام أيضا تقول ما قالت العرافات • فقد ذهبت مرتجفة ذات ليلة الى مخدع وصيفتها ميري وقالت لها :

ــ رأيت في نومي ان نارا هائلة تفترسني فقمت والرعب أحالني كتلة مرتجفة من الثلج • أيقظني بعدها الملك الذي كان نائما بجانبي في عمق فقام في ضيق وقال لي :

ــ بحق السماء يا كابريلا • لقد كان يوما شاقا وأريد ان أحضى بنوم هادىء • فدعيني من احلامك التي لا معنى لها • فأسرعت اليك يا ميري أسألك مامعنى هذه النيران ؟ • أليس لها عندك من تفسير ؟•

والعجيب ••

ان الملك رأى في نومه في نفس تلك الليلة • انها تموت بين يديه دون ان يملك لها شيئا • ورغم هذا • فالاستعداد للزواج يسير قدما ساعة بعد ساعة • كان يلزم الحصول على موافقة البابا فأرسل اليه الملك وزيره المطيع سالي • وقال البابا في وضوح :

ــ سأصدر قرار تطليق الملك من مارگو بعد أن ينزل عند شروطي •

فأجابه سالي :

ــ وما هي شروط قداستك ؟ • قال البابا :

ــ ان يلغي هنري مرسوم نانت الذي يقضي بحرية العبادة وتمكين البروتستانت من ممارسة طقوس عقيدتهم • قال سالي :

ــ يا صاحب القداسة • معنى هذا عودة فرنسا الى الكاثوليكية • اجاب البابا :

ـــ تماما . فشعب فرنسا يريد ذلك ولا يحجزه عنـه ســوى الملـك وصاحبته . فاذا عادت الكاثوليكية الى فرنسا بالغاء مرسوم نان ، كان في استطاعتي ارضاء صاحبكم بتطليقه من الملكة مارگو والموافقة على زواجه من المحضية .

★ ★ ★

ولم ينزل هنري عند رغبة البابا .

فقد كان رغم كل شيء . شديد التمسك بالعقيدة البروتستانتيـة . وعلى أساسها بلغ العرش ووضع التاج على رأسه . ونزل هنري عنـد نصيحة سولي الماكر الذي قال له :

ـــ يا صاحب الجلالة . لن تنال ماتريد الا اذا تقربت الدوقة كابريلا من الشعب نفسه . دعها تنزل الى الاسواق وتغشى المنتديات . تبرع من الاموال الطائلة التي حصلت عليها منك للمشروعات الخيرية . لو أحبها الشعب .. زالت العقبة الرئيسية يا مولاي . قال الملك مستهزئا بأقوال سالي :

ـــ هه ! . هذا معناه تأجيل الزواج يا سالي . قال سالي :

ـــ وما عيب هذا يامولاي ؟ . قال الملك :

ـــ عيبه انها ستضع وليدها بعد شهرين . يجب ان تضعه وهي في بيت الزوجية والا فقد حقه في العرش .

ـــ اذن فلتفعل هذا خلال شهر على الاقل يامولاي . من يدري مـاذا يحدث من العجائب ؟ اذا اجلنا الزواج شهرا واحدا . تقربت فيـه الدوقة الى الشعب .

★ ★ ★

واقنعها الملك برأي سالي . ففاجأته مفاجأة سارة . قالت له :

ـــ لا يزال أمامي أربعة شهور على الوضع يامولاي . لهذا لم أبق فـي

الريف غير شهر واحد ثم أعود الى باريس • وسترى انني سأكسب شعب فرنسا بلا شك •

وقامت بجولة في الريف •

وظنت ان الشعب قد رضي عنها بالفتات التي كانت تلقي بها الى الناس في الشوارع والطرقات والحقول وهي تسير بينهم في ثيابها الانيقة الموشاة بالذهب والمحلاة نأنفس الجواهر • وجوهرة واحدة في صدرها تساوي ثمن ضيعة بأكملها •

وكانت واهمة في ظنها انها كسبت الشعب حين كتبت الى الملك تقول :

— يا حبيبي • الشعب كله في صفنا • سأعود الى باريس لنتم الزواج • لاشيء الان يقف عقبة في طريق سعادتنا •

وفي طريقها الى باريس • أحست بآلام الوضع •

فنزلت في دار لها في ناحية سانت كلو • وبلغت الانباء الى الملك • قالوا له تعاني آلاما مبرحة • فأجابهم الملك :

— يجب ان اسرع اليها يا سالي • الان ! • هيا معي أعدوا جوادي •• اعدوا جوادي ! •

★ ★ ★

لم يكن سالي يريد للملك ان يذهب الى حيث ترقد محضيته •

اتفق مع كبير الياوران على منعه من الذهاب • فقال له الياور :

— انك تعرف الملك يا كونت سالي • انه مشتعل العاطفة ويتخذ من القرارات الحاسمة في لحظات الانفعال ما يندم عليه اذا افاق • ماذا لو طلب ان يتزوجها قبل ان تضع جنينها ؟ • واجاب سالي :

ـــ أي جنون هذا ؟ • يتزوجها وهي على فراش الوضع ؟ •

ـــ ولم لا ياكونت ؟ • انني أحاول ان اخفي عنه الحقيقة •

ـــ فماذا لو عرفها هناك ؟ •

ـــ وأية حقيقة ياكونت ؟ •

ـــ انها قد تموت اثناء الوضع • هكذا قال الطبيب الذي هرع اليها في سانت كلو •

ـــ أخشى أن يضعنا الملك أمام الامر الواقع هناك •

ـــ فما العمل ؟ • كيف اذن تمنعه ؟ • قال سالي :

ـــ ياعزيزي الكونت • انك أبرعنا في صياغة الكلمات وفن الاقناع • وهذه فرصتك و •• فرصتنا أيضا •

★ ★ ★

وحين أعدوا للملك جواده ••

قال له صاحب فن الكلمات :

ـــ يامولاي • لن أخفي عنك الحقيقة وهي ان الدوقة داستري تحتضر ! • لقد أبلغونا ان آلام المخاض قد شوهت وجهها الجميل وان تقلصات الآلام المروعة ،جعلت من الوجه الجميل الذي أحببته•• شيئا بشعا لا تحتمل رؤيته • لا تعرض نفسك لهذه التجربة يامولاي ودع الصورة الجميلة للوجه الساحر في مخيلتك لاتشوبها شائبة •

واقتنع الملك •

وعاد الى غرفة مكتبه ينتظر الانباء الاخيرة • وفي العاشرة من صباح اليوم التالي •• جاءه أول نبأ خطير • قال الخبر :

ـــ لقد أصيبت الدوقة بالصم و •• العمى ! • وهي تمزق وجهها

بأظافرها من فرط الالم وعمق التقلصات • وسأل الملك :

ــ والجنين ؟ •• الجنين ؟ • فأجابوه :

ــ ولد ميتا يامولاي ! •



وبعد ساعة ••

قال الطبيب للملك :

ــ مولاي • انها اصيبت بالجنون المفاجيء ! • وصاح الملك :

ــ ارسلوا اليها طبيبي الخاص •• بسرعة ! •

وبعد ساعة أخرى • قال الطبيب :

ــ لا فائدة يا مولاي • انها تحتضر وقد تموت في أية لحظة •

وفي غرفة المسكينة ••

كان الموقف يائسا تماما • كانت التقلصات قد جعلت منها شيطانا هائجا شرسا رغم عماها وصممها • فقد جعلت تضرب بذراعيها في كل ما حولها دون وعي •

صارت امرأة شوهاء بشعة المنظر • وذهب الجمال الذي أفقد الملك وعيه • وهمست وصيفتها :

ــ تلك نقمة الرب على الخاطئة • وتساءلت : لماذا لم يأت أحد القساوسة لمعاونتها ؟• فقيل لها :

ــ ان قس الكنيسة المجاورة •• رفض أن يعاون الخاطئة في محنتها • وتساءلت الوصيفة مرة ثانية :

ــ يا الهي ! • كيف يتخلى قس كهذا عن واجبه ؟ • وجاءها الرد :

ــ ان القس لايساعد من اجمع الناس على لعنها •



و عاشت كابريلا داستري في ايامنا هده ••

لادرك أقل الاطباء خبرة ، انها اصيبت بما يسمى في علم امراض النساء •• الاكلوميسيا • اي زيادة المادة الزلالية في جسم الحامل في الشهور الاخيرة للحمل •

ولكنها عاشت في منتصف القرن السادس عشر والطب في مرحلة الطفولة •

لم يأت مساء السادس من يناير عام ١٥٦٠ ••

حتى كانت الخاطئة في رحمة مولاها • واختفى بموتها شبح الحرب الاهلية في •• فرنسا •



يواكيم مورا

الملك الذي ألقي في حضيرة للخنازير مقيد اليدين والرجلين ؟

مغامرة ، أشبه بمغامرات دون كيشوت !

شجاعة فائقة ، واستهانة هذائية بالمخاطر مصحوبة برعونة وطياشة وقلة تبصر في الامور . والا .. لما جمع في ساعة غباء نزق ٣٠٠ رجل من حانات السكارى في جزيرة كورسيكا و .. أوكار اللصوص وارصفة العاطلين في ميناء أجاكسيو ثم .. خرج بهم الى البحر ليسترد تاجا لم يكن يستحقه يوم وضعه على رأسه صهره بونابارت الكبير ... المارشال يواكيم مورا .. ملك نابولي .

★ ★ ★

ميناء أجاكسيو في جزيرة كورسيكا ليلة الثامن والعشرين من يوليو عام ١٨١٥ للميلاد . خمس سفن صغيرة تقف في خليج ميناء اجاكسيو تستعد للاقلاع . ونقترب من ربان اكبر تلك السفن . اسمه الكابتن باربارا .. مغامر ايطالي كان قرصانا في يوم من الايام . ونسأله عن وجهته فيجيب :

— الى نابولي ياعزيزي . أ .. لا أعني الميناء فقط ، بل مملكة نابولي كلها لنسترد لصاحب الجلالة الملك مورا تاجه . وسألناه :

ــ تستردون بـ ٣٠٠ أفاق على خمس سفن صغيرة أشبه بسفن النزهة عرشا تحميه القوى العظمى في اوروبا كلها ؟ • فأجاب :

ــ بل ودون مدافع ايضا ! • أ •• تكفينا البنادق والسيوف • قلنا :

ــ وتتوقع النجاح مع هذا يا كابتن باربارا ؟ • قال :

ــ لقد قبضت أجري وأنا رجل افي بما عاهدت عليه •

ــ و •• لو دفعت حياتك ثمنا لهذا العهد في معركـة خاسـرة وغيـر متكافئة ؟ •

ــ أوه ! • • لاتبالغ ياعزيزي •

ــ هل أنت مقتنع يا كابتن باربارا بأحقية صاحبك للتاج ؟ • قال :

ــ لكن واضحين من البداية • مورا ليس صاحبي • انه صاحب العمل لا اكثر ولا اقل • ثم •• ألم يكن ملكا على نابولي لسبع سـنوات؟ •

صحيح انه لم يكن لينال التاج لولا انه تزوج امبولين الخليعة الجميلة أخت بونابارت • ولكن • ليس هذا بدعا • فقـد وزع بونابارت ممالـك اوروبا على اخوته وازواج اخوته بل على اخوة عشيقاته أيضا •

ــ ولكن الرجل يا كابتن فعل بأهل مملكة نابولي الافاعيل حين كـان ملكا معينا عليهم • فقد بدل سياسة نابولي بسياسة صهره بونابارت • وجند شبان المملكة راغمين في جيش بونابارت • وحين تمردت بعض القرى على قوانين التجنيد والضرائب •• قمع التمـرد في عنـف وقسوة ونسي انه يعاقب شعبه وليس عدوا هزمه في معركة • فكيف تتوقع ان يفعلوا به اذا تجاسر ووضع قدميه على ارض المملكة مرة اخرى وقد طرده منها شر طردة بعد كارثة واترلو تماما كما حدث لكل أصهار الاسد الذي سجن في سانت هيلانه ؟ •

ــ يا سيدي • لقد تعاقدت مع جلالة الملك مورا على أن أحمله ورجاله

في هذه السفن الخمس الى أقرب ميناء من نابولي . قبضت الاجـــر وسوف أفي بما عاهدت .

ـــ هل نفهم من هذا يا كابتن باربارا ان التعاقد لايتضمن ان تحـــارب معه ؟ .

ـــ يتضمن ذلك بالطبع . لن تكون هناك حرب صدقني .. لن تكـــون هناك حرب أ .. حرب بالمعنى المعروف ياسيدي .

ـــ ماذا تعني بهذه الجمل الغامضة يا كابتن بربارا ؟ . وصاح الكابتـــن :

ـــ ياسيد ! .. ياسيد ! .. أنت تعطلني عن عملي . سوف نبحر بعـــد ساعة أرجوك .. ارجوك .

ـــ هل سيكون الملك مورا معك على هذه السفينة يا كابتن ؟ . قـــال الكابتن :

ـــ بالطبع . سيأتي مع قواده الثلاث . فرانشيكي وبولي وجاكاني بعد لحظات . والان من فضلك اتركني ايها السـيد بحق السـمـاء .. اتركني ! .

★ ★ ★

في الحادية عشرة مساء من نفس اليوم ..

أبحرت السفن الخمس الصغيرة من ميناء اجاكسيو . عبرت مضيق بونابارسيو بين كورسيكا وساردينيا ثم دخلت جنوبا على أمل الوصول الى مقاطعة كالبريا في الحذاء الايطالي . وهنا سأل الملك مورا الكابتن باربارا قائلا :

ـــ أعتقد يا كابتن اننا سنصل الى كالبريا بعد غد . لنتنزل الى الميـنـاء لنكون أقرب ما نستطيع الى جزيرة صقلية فقد نحتاج الـــى نجدة عاجلة منها . الاحتياط واجب هذا اذا حدث اي أشتباك . وهـــذا

مالا أتوقع ان يحدث • المملكة كلها ايها السادة في شوق عارم الي • وسترون ذلك بعيونكم • سوف ينضم شعب نابولي كله ورائي هاتفين بحياتي • وجنودي •• جنودي الذين ارغمهم فردناند الملك الجديد المغتصب على الانضمام الى جيشه • جنودي هؤلاء ، سيسارعون الى حملي على اكتافهم كما فعل رجال بونابارت الكبير بعد فراره من البا • هه ! • الى كالبريا اذن يا كابتن باربارا • ولكن باربارا رفض ذلك وقال :

— كلا ! • كلا ياصاحب الجلالة ففي كالبريا جيش كامل للملك فردناند • يحسن أن تنزل في ميناء بيتزو على بعد ٣٠٠ ميل من كالبريا وهذا اكثر أمنا •

ووافق الملك مورا على اقتراح الكابتن باربارا وقال له :

— لابأس ياكابتن الى بيتزو • لابأس اذن لابأس وان كنت قد قسوت في يوم من الايام على أهالي بيتزو في مسألة التجنيد • ولكنهم يحبونني أليس كذلك يا جنرال بولي ؟ • ورد الجنرال بولي بالايجاب وقال :

— تماما يا صاحب الجلالة •• تماما • ولكن هل تسمح لي ياصاحب الجلالة بأقتراح ؟ •

— اوه ! • بالطبع يا جنرال بولي •• تكلم ! • قال بولي :

— اننا •• اننا لا نعرف يامولاي على وجه التأكيد ماهو شعور أهالي بيتزو في هذه الايام ؟ • لهذا أقترح حين نصل قرب الميناء ان نرسل (سرا)رجلين في احد القوارب ليعرفا على وجه التحديد موقف ألاهالي هناك • قال الملك :

— اقتراح رائع يا جنرال • ثم •• يعودان بالاخبار قبل ان ننزل الى الشاطيء أليس كذلك ؟ •• رائع ! •• رائع ! ياجنرال •



ووصلوا الى قرب مكان من ميناء بيتزو ليلة الثاني من اغسطس عام ١١٨٥ انزلوا رجلين في احد القوارب لتقصي أحوال الاهالي علـــى أن يعودا ليلا كما ذهبا تحت ستار الظلام بعد يومين على اكثر تقدير •

ولكنهما لم يعودا حتى السادس من أغسطس • ورغم ذلك قـــال الملك لباربارا :

ـــ اتجه بالسفن الى بيتزو ياكابتن باربارا • ورد عليه الكابتن قائلا :

ـــ يا صاحب الجلالة • ان عدم عودة الرجلين لا تطمئن • وأجابـــه الملك بحدة :

ـــ لا أريد معارضة يا باربارا •• الى شاطىء بيتزو ! • قال الملك :

ـــ والان أيها الرجال •• حانت الساعة التي تمتحن فيهـــا النفوس الكبيرة •

★ ★ ★

الرجل ••

يكرر نفس كلمات بونابارت في معركة واكام • ولا ننسى انه كان مع بونابارت في تلك الموقعة •

لاتثريب عليه اذا قلد سيده هنا وهو أمن على السفن • المهـــم ان لا يفعل ذلك اذا جد الجد وواجه جنود الملك الحالي في معركة • قـــال لرجاله :

ـــ لن تكون هناك معركة • أنا واثق من هذا • فشعب مملكة نابولـــي الذي احبه ويحبني ••لن يرفع السلاح ابدا في وجهي • ولكن • لكننا أيها الشجعان سنقاتل اذا لزم الامر • سنقاتل بالشجاعة التي قاتلنـــا بها مع الامبراطور بونابارت • وسننتصر كما انتصـــرنا • هيا اخلعـــوا الان

الثياب المدنية واستبدلوها بالسترات العسكرية • انظروا ! • انظروا
من بين ضباب البحر التيراني ضبوتهـا الشهيرة تبـدى لعيوننـا
ظلال قلعة بيتزو الرائعة وقصرها الفاخر بقبابه وأبراجه • مدافـع
هذه الابراج ايها السادة ، لن تلبث ان تحيينا بطلقاتها كأنما تقول :
أهلا بصاحب الجلالة الملك مورا • ليحيا الملك مورا •• يحيا الملك
مورا ! •

★ ★ ★

ولم يردد الهتاف أحد من رجاله •

نظروا اليه ثم تبادلوا نظرات متسائلة كأنما ليقولوا : ستحصدنا مدافع
القلعة اذا كانت كلمات هذا الرجل المخبول الواقف الان غير صحيحة •

المصيبة ••

ان مورا كان يعتقد ان الاهالي سيستقبلونه بالاحضان رغم مافعل بهم
في أزمة قانون التجنيد • وانه واثق من نفسه اكثر من اللازم • انه لشجاع
لاريب في هذا • لا أحد ينكر شجاعة مورا والذي ينقصه هو الذكاء وليس
الشجاعة • الاستعدادات على السفن الخمس على قدم وساق •

البنادق والسيوف تنظف • والثياب المدنية تفسح المجال للسترات
العسكرية القديمة المهلهلة التي اشتراها مورا لرجاله من أسواق اجاكسيو
الرخيصة •

رجلان ينظران الى هذا كله وعلى وجه كل واحد منهمـا تعبير
مختلف • الكابتن باربارا وعلى وجهه ابتسامة غامضة ساخرة وشارلي الخادم
الخاص للملك مورا وعلى وجهه الاسى والحزن •• والخوف ايضا •
نراه يقترب من سيده الملك الواقف وحده في صدر السفينة متحفزا

للنزول الى الشاطيء • توسل الى الملك وقال :

— يا صاحب الجلالة ، أتوسل اليك •• لا تنزل ! • ورد عليه الملك في غضب :

— ماذا تقول يا شارل ؟ • لا أنزل ؟ • الان وبعد ان صرنا قاب قوسين من تحقيق الامل المنشود ؟ • فأجابه شارل :

— ياصاحب الجلالة • اذا نزلت الى شاطيء بيتزو فستموت تماما ! •

— اوه يا شارل ! • انك جننت دون ريب • أتقول هذا لمورا الذي خاض ستا وثلاثين معركة ؟ • كفى ! •• كفى ! • لا تتكلم فلن استمع اليك • قال شارل :

— يامولاي • انك أبدا لم تستمع الى المخلصين • استمع الى واحد منهم هذه المرة • انك اشجع الشجعان يا مولاي • لا أحد ينكر ذلك • ولكن • هل ستحارب وحدك ؟ • هؤلاء الذين معك لن يحاربوا • سيخذلونك يا صاحب الجلالة • هذا اذا قبلوا النزول الى الشاطيء واغلب الظن انهم سيفرون اذا نزلوا وسينضمون الى أعدائك •

وتساءل الملك :

— أعدائي يا شارل ؟ • لا أعداء لي في مملكة نابولي كلها • كلهم أحبائي ، اخوتي ، أبنائي ، شعبى ! • وتوسل اليه شارل قائلا :

— ياصاحب الجلالة • أرجوك • استمع الي ولو ••• لكن الملك قاطعه وصاح في وجهه :

— لا ! • لا ياشارل • لن استمع الى هذا الهراء •• لن أستمع ! •

وسكت الخادم الامين •

عند الظهر ، يوم السابع من اغسطس • وصلت السفن الى الشاطيء وهم قواد مورا الثلاثة بالنزول • لكن مورا سبقهم في هذا وقال :

— لا ! • سأكون أنا أول من يطأ رمل الشاطيء • الملك أولا ايها

السادة .. الملك أولا . لاتنسوا التقاليد العظيمة التي أرسيت قواعدها حين كنت على عرش مملكة نابولي .. الملك اولا ! .

★ ● ★

وهتف رجلان او ثلاثة .. يحيا الملك مورا .

ولم يجارهم أحد في الهتاف . ولكنهم على أي حال ، نزلوا جميعا الى الشاطيء . ساروا جماعات دون نظام كأنهم فوج سياحي . اتخذوا الطريق الرئيسي الوحيد المؤدي الى السوق الكبير وأمامهم مورا يحثهم على التقدم بأشارة من يده بين الحين والحين ! وكان اليوم يوم أحد .

اكثر أهل المدينة ان لم يكن كلهم في السوق كالعادة يوم الاحد . ودخل مورا ورجاله السوق . وهتف أحد رجاله : يحيا الملك مورا ! .

وتوقف الناس عن البيع والشراء . والتفتوا الى الرجال الـ ٣٠٠ الذين دخلوا السوق . نظروا اليهم طويلا ثم عادوا الى بيعهم وشرائهم وكأن شيئا لم يحدث . وتقدم مورا الى أحد الواقفين وسأله :

— أنت أيها الرجل الطيب ، ألا تعرفني ؟ . واجابه الرجل في تعجب :

— أعرفك ؟ ! . لا اظن أيها السيد . فقال له مورا :

— حسنا . ها انذا . انظر الى مليكك .. الملك مورا .

لكن سيدة كانت واقفة بالقرب من الرجل تقدمت اليه وقالت له :

— عجبا يا رجل ! . ألا تعرف مورا ؟ . انه الذي تزوج انبولين بونابارت فجعله صهره ملكا علينا .. الملك الذي طردناه . اتذكر ؟ . ورد عليها الرجل وقال لمورا :

— أوه ! . طبعا .. طبعا . انت اذن مورا ؟ . واجابه مورا :

— أجل يا صديقي أنا مورا .. الملك . هيا اتبعوا مليككم أيها الرجال

الطيبون • ولكن أحدا لم يتبعه ! •

بل لم يهتم أحد بما يجري • فالبيع والشراء أهم من مورا ورجاله • حتى رجال الشرطة ترامقوا في عجب ثم عادوا الى تجولهم في السوق •

صاح مورا بمن كانوا في السوق قائلا :

— ياشعب بيتزو العظيم • اتبعوني أخلصكم من ظلم وعبث الطاغية فردناند ! • وجاءه رجل دين وتقدم اليه فسأله مورا :

— كيف عرفتني ايها الاب المحترم وأنا لم أنزل قريتكم العظيمة هذه من قبل ؟ • انك رجل الدين المخلص • فرجال الدين كانوا دائما في صفي •

ورد عليه الرجل وقال :

— كيف لا أعرفك ياصاحب الجلالة وقد وهبت كنيستي في يوم من الايام أربعة آلاف دوكات ؟ • ولكن ارجوك •• أرجوك غادر بيتزو في الحال • أجل في الحال ياصاحب الجلالة قبل فوات الاوان • أ •• لا تضيع دقيقة واحدة والا فهو الموت ! • انظر ناحية التل ايها الملك •• انظر ! • ورد عليه مورا وسأله :

— ولماذا ايها القس الطيب ؟ • انني وسط شعبي • فلماذا تطلب مني ان أغادر بيتزو ؟ • فقال له رجل الدين :

— انظر ناحية التل يا صاحب الجلالة • والتفت الملك ناحية التل وقال :

— أرى مجموعة من الاهالي الطيبين قادمين لتحيتي • سأقودهم أيها القس الطيب لاخلص الشعب من عبث الملك فردناند •

فقال له القس :

— يا صاحب الجلالة • على رأس القادمين الفلاح كابيللي ! • لا أحد

يكرهك مثلما يكرهك كابيللي • لقد شنقت له شقيقين ! • فأجابه الملك مورا :

— كان ذلك لصالح الدولة يا عزيزي القس •• لصالح الدولة ورد عليه القس :

— لقد نصحتك أيها الملك وانت وما تريد • ولكني لا أحب أن يسفك دمك •

— ماذا ؟ • ورد عليه القس قائلا :

— انها فرصة كابيللي يا صاحب الجلالة ليأخذ بثأره • عد بحق السماء ! •

وصاح مورا :

— ياالهي ! • الى أين أذهب ؟ •• الى أين ؟ • فقال له القس :

— الى القرية المجاورة • أهلها أقل عداء من اهالي بيتزو • وبحق السماء يا سيدي • لا تقل انك جئت لتسترد العرش • قل انك جئت لتلحق باسرتك في تريستا •

— ليكن ذلك أيها القس الطيب •• ليكن • ولكننا نريد جيادا • كيف نسبق القادمين دون جياد ؟ • أريد جيادا أيها الاحباء • مئة جواد لقاء ٦٠٠ دوكات ذهبا •• مئة جواد ! • وضحك منه كل من في السوق ساخرين :

— ايها الملك ! الان ! • والا فلن تفلح في الفرار ابدا ! •

★ ● ★

أحس الملك بالخطر • فأطلق ساقيه للريح وخلفه رجاله في اتجاه الطريق المؤدي الى قرية مونتليون المجاورة •

وصل الى مشارف بساتين الزيتون فوقف يلتقط أنفاسه • ولكن

المطالبين ، كانوا يقتربون منه ومن رجاله مع كل لحظة . قال لهم الملك :

— ادخلوا بساتين الزيتون . لاتطلقوا النار . سأخاطب هؤلاء الرجـال . انهم شعبي وسيستمعون الي . وجاءه الجنرال كالفاري وقال له :

— بحق السماء أيها الرجل ، لا تتكلم عن التاج والعرش السليب . اذكر نصيحة القس .

فرد عليه الملك قائلا :

— صدقت ياجنرال كالفاري . صدقت . ولكن .. ولكن لا تدع الظروف السيئة والشدائد تنسيك التقاليد . لا توجه الي الحديث بعـد الان الا بلقبي ... صاحب الجلالة الملك ! .

★ ● ★

ودخلوا بساتين الزيتون .

كثيرون من رجاله انتهزوا الفرصة السانحة وتسربوا بعيدا عـــن الخطر . واحاط الاهالي الغاضبون وعلى رأسهم الفلاح كابيللي .. أحاطوا بالبساتين . تقدم اليهم الملك وقال :

— أيها الاحباء .. أيها الاحباء . يا اخوتي .. يا أبنائي . لا تعاملـــوا مليككم السابق بمثل هذه المعاملة . انني لم آت بلادكم لامسكم بأي شر . ماجئت الا لالحق بأسرتي في تريستا . دعوني أتمم رحلتي الى تريستا . انكم لم تتركوا لي الفرصة في السوق كي اوضح لكم هذا . دعوا مليككم السابق يمر الى الطريق المؤدي الى تريستا .

تداول الرجال طويلا .

وصدقه بعضهم وقرروا في النهاية ان يدعوه يذهب في سلام . لولا ان امرأة صاحت فجأة :

ـــ اقتلوا المجرم ! • اقتلوه ! •• اقتلوا المجرم ! •• أقتلوه ! •
وتقدم اليها مورا وسألها :
ـــ أنا مجرم أيتها السيدة الطيبة ؟ • لقد وهبتكم الحرية في يوم ما •
وصاحت به المرأة :
ـــ دع غيرك أيها المجرم يتكلم عن الحرية • لقد أعدمت لي ثلاثة من الابناء لانهم رفضوا أن يحاربوا في صفوف جيش سيدك بونابارت • اللعنة عليكم أيها المستعمرون الفرنسيون سلالة الوحوش والقتلة •• وحوش ! •• أقتلوهم جميعا •• أقتلوه ! •

★ ● ★

انقلب الميزان فجأة ضد مورا المسكين ! •

أحاطوا به من كل جانب • بصقوا في وجهه • وخلعت المرأة حذاءها الملوث بالقذر وضربته به على رأسه ! •

ونزع الاخرون نياشينه • وضاع في الهرج وسامه التاريخي الذي وضعه على صدره ذات يوم صهره بونابارت •• الوسام المرصع بتسع ماسات نادرة • وعادت المرأة الموتورة تطالب بدمه •

توسل مورا بالحشد الذي أحاط به وقال :

ـــ لالا ! • بحق السماء لا تقتلوني • انني أستسلم • انا أستسلم •
خذوني الى صاحب الجلالة فردناند •• أسلموني لجلالته •
ولكنهم عادوا يصفعونه ويركلونه •

مزقوا ثيابه العسكرية وأستولوا على مافي جيوبه من أوراق وعلى مافي الحقيبة الجلدية المعلقة في حزامه من ذهب • وتخلى عنه كل رجاله • لم يبق في البستان منهم غير اثنين • الجرال گلفاني والجنرال يولي •

وهم بعض الاهالي باطلاق الرصاص على الفارين • وصاح الفلاح كابيللي عدو الملك اللدود :

— لاتقتلوا مورا المجرم ! • لن نقتله دون محاكمة • لو قتلنـــاه الان لارحناه من ذل المحاكمة العلنية • دعونا نثبت للعالم كله اننا اعرق حضارة من الفرنسيين المتوحشين •

★ ★ ★

القوا به في حضيرة خنازير لاحد الفلاحين مقيد القدمين واليدين !• واحاط بالحضيرة الشبان المسلحون وكلهم على استعداد لقتله في الحال اذا حاول الفرار • وذهب الباقون للاجتماع بعمدة القرية •

فحصوا الاوراق التي كانت مع مورا • وجدوا بينها مسودة بخطـــه للمنشور الذي كان ينوي طبعه وتوزيعه • جاء في المنشور :

— ياشعب نابولي العظيم •

ها أنذا يواكيم مورا مليككم قد عدت اليكم • ها أنذا أصلكم محاطـــا بعواطفكم النبيلة واخلاصكم الفياض • لقد عدت لاخلصكم مـــن الطغاة ! • الى السلاح أيها الابطال •• الى السلاح وثوروا علـــى الطغاة • سيروا خلفي وتحت رايتي حتى نطرد المغتصب فردناند ! • في الصباح ••

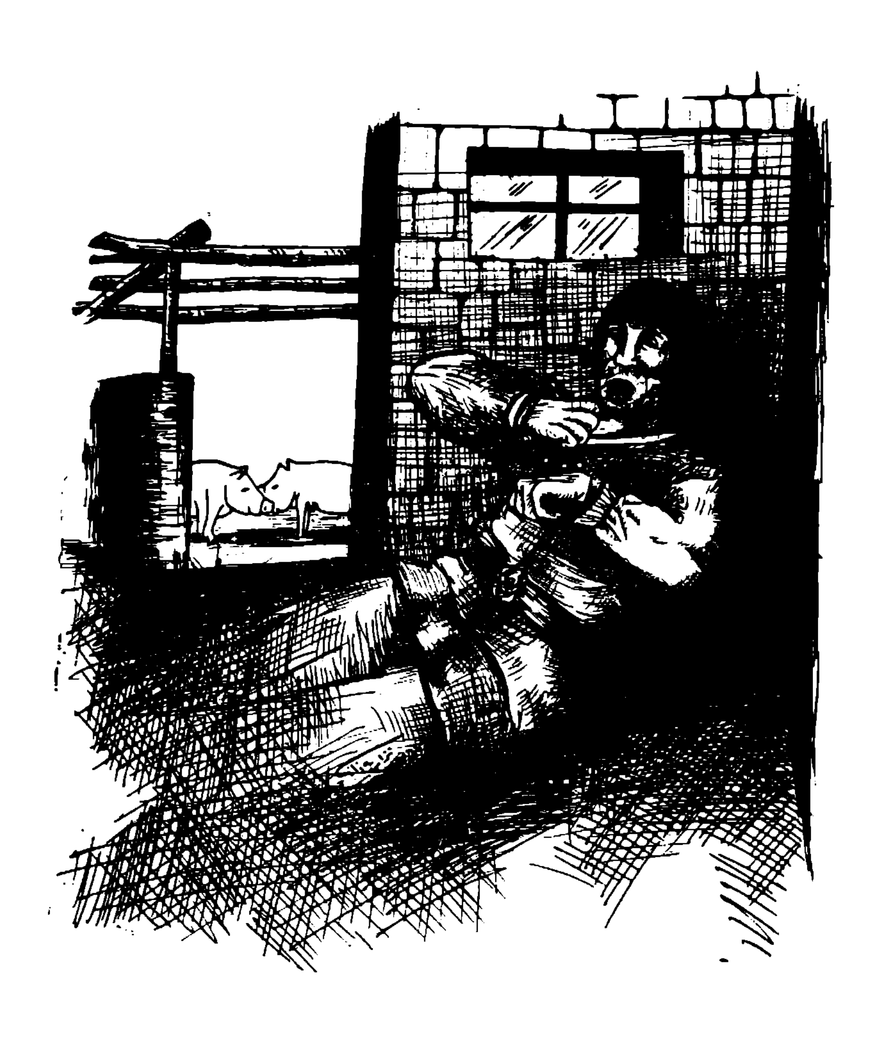
نقلوه ومعه الجنرال بولي الى مدينة كوسينجا حيث اعتقل في ثكنات الجيش • وتكفل الجنرال فانزانتي باستجوابه في رفق وأناة • لكن مورا قال له :

— لولا انك كنت من رجالي في يوم من الايام ياجنرال فانزانتي ، لما أجبت على سؤال واحد من أسئلتك • انني لم آت محاربا انما جئت

كما اكدت للجميع كي أصل الى أسرتي في تريستا •
ورد عليه الجنرال فانزانتي :
— يا مارشال مورا • ان الاوراق التي ضبطت معك تقول غير هذا •
لكن مورا انكر ذلك وقال :
— لا صلة لي بهذه الأوراق •
ولما قال له الجنرال فانزانتي انها بخطك ياسيدي وأنا أعرفه جيدا •
وانك تدعو علنا الى الثورة • أجاب مورا :
— وانا انكر تماما انني كتبت شيئا كهذا • هل أطلب منك معروفا بحق
الايام القديمة ياجنرال فانزانتي ؟ • فرد عليه فانزانتي :
— كل شيء ، ألا أن أقوم بتهريبك • قال مورا :
— لا ياجنرال • لا أطلب هذا •• لا أطلب هذا أبدا • ولكني ، أطلب
ان تتصل بالقائد العام للاسطول البريطاني في ميناء نابولي وتخبره
برغبتي في الاستسلام له قال له الجنرال :
— لا استطيع ذلك ياسيدي بعد ان أخطرت صاحب الجلالة الملك فردناند
بكل ما حدث تلغرافيا •
— يا الهي ! • في أي شيء أطمح بعد ذلك ؟ • سيأمر الرجل بأعدامي
يا جنرال ! •
— لا أظن ياسيدي • فقال مورا :
— هل جاءتك اوامر او تعليمات بشأني ياجنرال فانزانتي ؟ • قال
الجنرال :
— كلا • ولكني في انتظار تلك الاوامر •

★ ★ ★

كان الملك فردناند الرابع ••
في حفل ساهر في نابولي حين جاءته برقية الجنرال فانزانتي بتفاصيل



والقي الملك في حضيرة للخنازير مقيد اليدين والرجلين !

لم ينس فردناند ان مورا وبأمر من بونابارت ، جرده ذات يوم في معركة فالين من سيفه ونياشينه العسكرية .

وبخط يده . كتب برقية الى الجنرال فانزانتي قال فيها :

ــ يحال الجنرال مورا الى لجنة عسكرية . لايسمح للمحكوم عليه بأكثر من نصف ساعة لتلقي المعونة الدينية .

حاول فانزانتي اخفاء مضمون البرقية الرهيب عن مورا المسكين . وكأنما أحس الرجل بما ينتظره . فقد فاجأ فانزانتي حين زاره في المعتقل ، بالسؤال الذي يؤرقه :

ــ جنرال فانزانتي ! . ماذا لو أمرك الملك بأن تحيلني الى لجنة عسكرية ؟ .

وأجابه فانزانتي قائلا :

ــ انت تعرف يا جنرال مورا أنني لا أستطيع الا ان انفذ الاوامر في هذه الحالة . أ .. ذلك واجبي ياسيدي . قال مورا :

ــ أجل . أجل يا جنرال . انك لم تخالف لي امرا حين كنت على العرش . هل جاءك أمر كهذا ياجنرال ؟ . قال الجنرال :

ــ لالا . لالا ! . لم يأتني أمر كهذا . ولكن . علمت من قسم البرقيات ان برقية وصلتهم منذ قليل . ولكنني لا أعرف محتوياتها على وجه التحديد . كل ما أعرف انها بدأت بهذه الجملة : سلم الجنرال مورا الى ...

وسأله مورا في اضطراب :

ــ الى من ؟ . الى ماذا ؟ . واجابه فانزانتي :

ــ لا ادري . لم أعرف بعد البقية . وصاح مورا :

— يا الهي ! • هذا مهم جدا • اذا كانت الجملة (سلم الجنرال الى القائد العام للاسطول البريطاني •• فقد نجوت) • اما اذا كانت (سلم الجنرال مورا الى لجنة عسكرية) فقد مت تماما • والتفت الى الجنرال فانزانتي وسأله :

— أيهما يا جنرال ؟ • أيهما أرجوك ؟ •

فقال له فانزانتي :

— اسمح لي ياسيدي أن أذهب لاعرف بقية الجملة •

★ ● ★

ترك فانزانتي عبء أخبار مورا بحقيقة البرقية الى مساعده • ما ان علم مورا بالحقيقة حتى صرخ :

— لجنة عسكرية ؟ • ان هذا معناه الموت • كأني لا أعرف اللجان العسكرية • لا ! ليس هذا من حق الملك فردناند • هذه اللجنة ستكون دون شك من الضباط واعلاهم رتبة حسب القانون • وقد كانوا جميعا من رعاياي • هذا مخالف لكل القوانين •

نسي أنه هو الذي وضع تلك القوانين حين كان ملكا على البلاد •• نسي أنه قدم الى اللجان العسكرية عددا كبيرا من قادة الجيش ليعدموا قانونا ! •

وحين رأى القس يدخل الزنزانة • عرف انهم فرغوا من أمره ولم يبق الا رصاصات فرقة الاعدام • فجلس يكتب وصيته :

— الى زوجتي العزيزة •

بعد لحظات • لن اكون ولن يكون لك زوج • لاتنسيني ابدا فأنا لم انساك لحظة واحدة من حياتي • قولي لاولادي انني اتوقع ان يكونوا على ما كنت عليه من ترفع وأباء وشرف • انني أدعهم دون مملكة

ودون مال وسط بحر من الاحداث فليذكروا ان في سانت هيلانـه من يستطيع ان يغير هذاكله في صالحهم ويعيد اليهم المملكة والمـال ويخزي أعداءهم • فليكن فكركم جميعا مع الامبراطور بونابارت ثم معي • لايحزنني شيء قدر مايحزنني انكم لستم معـى في لحظاتـي الاخيرة •

وهم مورا واقفا ثم نادى على القس :

— هيا ياسيدي القس • دعنا لا نتأخر عن جنود فرقة الاعدام • انـي احب المحافظة على المواعيد •

★ ● ★

لا أحد ينكر شجاعة مورا وان انكر الجميع ذكاءه •

وقف دون خوف أمام فرقة الاعدام في غرفة ضيقة حتى كادت فوهات البنادق ان تمس صدره • ثم قال لهم :

— صوبوا في القلب أيها الرجال وأرجو أن لا تصيبوا وجهي •

وانطلقت الرصاصات •• طاق طاق •• طاق •



بعد أيام ••

ذهب الجنرال فانزانتي الى نابولي ليسلم وصية مورا الـى زوجتـه امبولين بونابارت • فوجدها ولكن أين ؟ ••

وجدها في •• مخدع الملك فردناند الرابع ! •

أدوارد الثامن

الملك الذي تخلى عن العرش من أجل أمرأة مطلقة !

في ديسمبر (كانون الاول) عام ١٩٤٦ للميلاد • ومن أجل الحب •• تنازل الملك ادوارد الثامن عن عرش بريطانيا •

من اجل الحب • غادر بلاده ومعه المرأة التي اختارها قلبه • لم يعد صاحب الجلالة الامبراطورية •• ولكن • مجرد دوق وندسور •

ولم تعد هي تفكر في التاج العظيم الذي ما اقترب من رأسها وأوشك ان يعلو •• حتى طار وتركها هي •• مجرد دوقة وندسور •

ولكن • اذا كان التاج قد طار • فهل طارت من رأسها يا ترى أحلام التاج ؟ • أما هي فقالت :

— لاشيء يساوي ساعة حب مع أدوارد •



الزمان : مطلع الستينات •

المكـان : باريس الداخلة عصر النور •

المناسبة : وليمة كبيرة تحضرها أسرة (وندسور) الملكية • مواضيع الحديث تتراوح بين الصحة والثروة •• كلام المجتمعات المخملية • هل هما مفتاح السعادة وأيهما يأتي في المرتبة الاولى ؟ • وأي دور يلعب في (تجميـل

وجه الحياة) ؟ •

الحاضرون لاحظوا ان دوق وندسور يلازم الصمت وسط عدوى البهجة الجماعية • انه صمت مثقل بالالغاز • الدوقة وندسور تلتفت الى زوجها الدوق وتهمس في اذنه :

— ماذا تريد ؟ •

الدوق يرمقها بنظرة حنونة ويتنهد قائلا :

— وأنت ، ماذا تريدين ؟ •

★ ● ★

لم يكن أحد من مدعوي (المأدبة العامرة) ••

ليشك صدق جواب الدوق • ان زوجته المتلألئة بجمال ساحر • والعارية الكتفين هي كل شيء بالنسبة اليه • كما ان بريق بسمتها الاولى تشبه (بسمة الموناليزا) ! • قلب معادلات حياته • وخلق ظروفا مأسوية واكبت زواجه الاول منها • هذا الزواج اكتسب طابع (الحديث التاريخي)• لكنه أصبح اليوم ملك الماضي الذي طويت صفحاته بانتهاء الحرب •

لقد تسلم العرش شقيقه (الدوق الاكبر) وحظي برضى الشعب البريطاني • وعندما خلفته ابنة شقيقته الملكة اليزابيث الثانية • حصدت شعبية اكبر منه • لكن • لماذا هذا (الصمت الثقيل) الذي كان دوق وندسور يغوص فيه حتى في اثناء المآدب والدعوات الرسمية ؟ • وهل كان يعترف في قرارة نفسه بانه ضحى بالعرش البريطاني من اجل قلب المرأة التي تتكيء على ذراعه في وليمة باريس الفاخرة ؟ • وهل بوسعه الاعتراف بالخطأ (التاريخي) الذي ارتكبه ؟ •

كتاب (دوقة وندسور) الذي صدر مؤخرا في باريس ل (ليدي

موزلي) صديقة الدوقة الحميمة • ينطلق من هذه الاسئلة وسواها ، ليتطرق الى السيرة الذاتية لاشهر عاشقين في التاريخ البريطاني الحديث • اذ لم يقف العرش ومجد السلطة حائلا دون التحام قلبيهما • لكن ، من هي هذه المرأة التي الهمت حبا خالدا ؟ • ومن هو الرجل الذي صنع من حبه معجزة تتحدى اغراء العرش ؟ •

الستار ••

يكشفه كتاب الليدي موزلي عن طفولة الدوقة في الربوع الاميركية •

اسمها قبل الزواج •• بيسي فاليس فارفيلد • وهي فتحت عينيها للمرة الاولى في ١٩ حزيران (يوليو) عام ١٨٩٦ في منزل عائلتها الصيفي في ولاية بنسلفانيا • ومن المعروف ان اسرة فارفيلد ، عريقة الوجود في الولايات المتحدة الاميركية • ويعود تاريخها الى العام ١٦٦٢ • وقد اعطت رجالا شغلوا مناصب مهمة في السياسة والاقتصاد • وتألقوا خصوصا في فترات الانشقاق بين الشمال والجنوب •

الصغيرة (بيسي) فقدت والدها باكرا • كانت في الاشهر الاولى من حياتها عندما توفي في ذروة شبابه • الامر الذي دفع والدتها الى ارتداء الملابس السوداء وهي في منتهى الفتوة والجمال • فضلا عن لحظات اليأس الوجودي والعوز المادي • لكن اسرة (فارفيلد) تدخلت لاصلاح ما افسده الدهر • فتعهدت الصغيرة (بيسي) بالرعاية وأرسلتها الى ابرز مدارس بلتيمور • وكان عمها (سلمون) ينفق عليها مالا سخيا خصوصا بعد نجاحه في المؤسسات المصرفية التي زرعها في بنسلفانيا الى ان تزوجت والدة (بيسي) من ثري امريكي يدعى روزان • فالتحقت عندئذ بمعهد (أولفيلدس) للفتيات • وهو معهد معروف بتربيته الصارمة • وقد رفع

شعارا تربويا مفاده ان « اللطف والمجاملة ، هما ميزتان خالدتان يجب ان تتحلى بهما فتيات المجتمع الامريكي » •

التلميذة (فاليس) وقد ارادت ان تتخلى عن اسمها الاول (بيسي)•

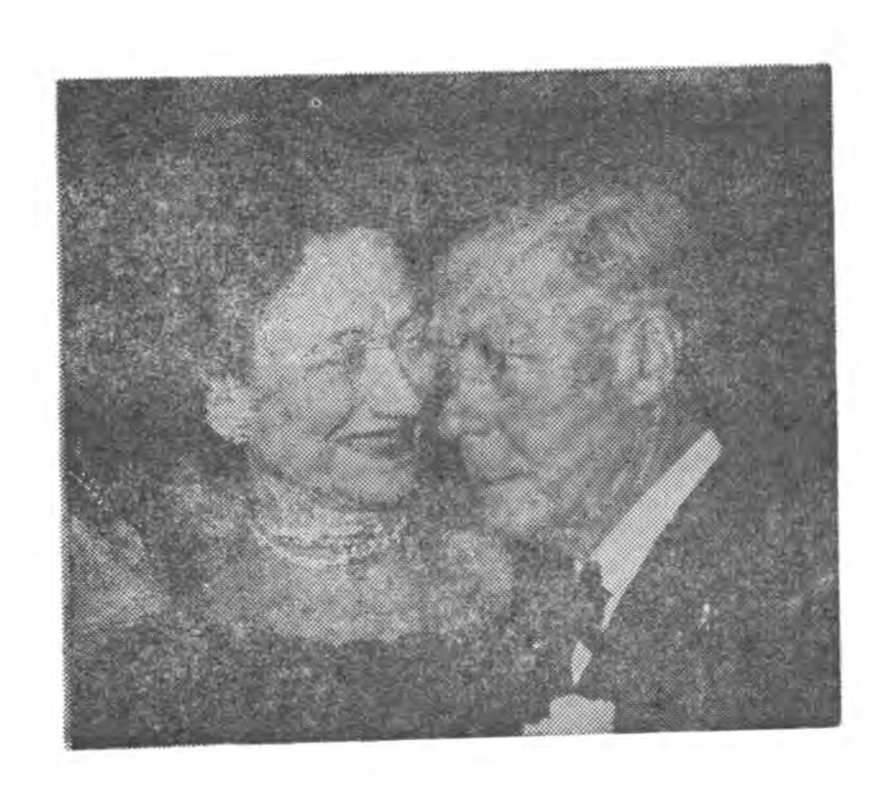
كانت قدوة لرفيقاتها في العمل والتهذيب • الامر الذي دفع برفيقاتها الى اطلاق لقب (الاميرة الصغيرة) عليها • وفي مناخ من الصمت والمثابرة • خرجت فاليس من المراهقة (١٩١٤) وقبل ان تغادر مدرسة (اولدفيلدس)• تركت توقيعها على كتاب المدرسة الذهبي وكلمة تعبر عن شخصيتها في طور التكامل « كل شيء هو حب وطفولة دائمة » •

هذه العبارة تتناقض مع كتابات رفيقاتها اللواتي نزعن الى اللمحة السياسية ولفتن الانتباه الى المأزق الامريكي البريطاني « ليعش التاريخ البريطاني » و « اميريكا في مدار العرش الانكليزي » •

مليحة التلميذات (فاليس) دخلت الى عالم الكبار وسط المظاهر الاحتفالية • ثمة حفلة راقصة نظمت بأسم (العازبات) • فاليس ارتدت فستانا من الحرير الابيض وطوقت عنقها بعقد من اللؤلؤ • وكانت المناسبة الاولى لكي تبلور ذوقها للاناقة • وحسها الفطري للازياء الطريفة •

في غضون ذلك ••

كانت الحرب مشتعلة في اوروبا • لكن (بلتيمور) الامريكية كانت في منأى عن الدوامة الاوربية • مما حدا بفاليس الى احياء مناسبات سعيدة مع شلة اصدقائها • وغالبا ما كان الفجر يدهمهم • وحلقات الرقص مستمرة حتى الاعياء الشديد • لكن القدر كان بالمرصاد للجميلة فاليس • اذ توفيت جدتها واضطرت الى مغادرة بلتيمور والذهاب الى فلوريدا بعيدا عن اجواء الحزن • وهنا أقامت عند ابنة عمها كورين التي كانت متزوجة من الكابتن



الاثنان معا • اغرب قصة حب في التاريخ الحديث

موستن قائد القاعدة الجوية في بنسكولا •

فاليس • تمتعت بالاقامة قرب القاعدة • لقد غدت مخيلتها صور الطيارين الفارعي القامة وأصحاب الملامح الوسيمة • ومن المعروف ان الطيران كان يخطو خطواته الاولى في هذه الفترة • وبدأ الطيارون الجدد وكأنهم أبطال العصر الحديث •• خصوصا ان الامريكيين تحمسوا كثيرا لفكرة المجيء الى فرنسا ومجابهة الطيارين الالمان في سماء القارة العجوز •

منذ اليوم الاول لوصولها الى بنسكولا • تعرفت فاليس الى احد الطيارين الفارعي القامة وكتبت الى والدتها تعلمها بالحدث وقد تذرعت بمختلف الذرائع لكي تؤجل عودتها الى بلتيمور •

وعلى الرغم من اخطار مهنة الطيران • قررت فاليس عقد خطبتها على الطيار ايرل فنفيلد سبنسر • « هذا القرار يسمح لها بالخروج من دائرة التبعية لاهلها » • ويجعلها مستقلة في ترتيب شؤونها الخاصة • وفي شهر تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩١٦ قالت فاليس صاحبة العشرين ربيعا (نعم) أمام الكاهن الاميركي ردا على سؤال : هل تريدين ايرل زوجا لك ؟ •

في خلال شهر العسل القصير الذي امضته في فرجينيا الشرقية • اكتشفت العروس الجديدة ان زوجها الطيار مدمن على الكحول • الامر الذي يجعله فظ الاخلاق وشرس المعاملة • ولان الميزانية محدودة • عاد الزوجان الى بنسكولا ليبدأ حياة الرتابة والضجر • لكن ايقاع الحرب المتصاعد في اوروبا • اضطر ايرل الى ملازمة القاعدة الجوية طوال ايام الاسبوع والانقطاع بالتالي عن رؤية زوجته • وفي نيسان (ابريل) عام ١٩١٧ عين قائدا لقاعدة (سكوانتم) بالقرب من بوسطن • هذا المنصب يفترض حضورا مستمرا لتدبير أمور الطيارين اللوجستية والتقنية •

ويجمع قادة القطاعات في بوسطن • ان ايرل سبنسر اسهم في تطوير تقنيات (الغارات) الجوية مما جعل رؤساءه يغدقون عليه الاوسمة والمناصب• لكن • عند هدنة ١٩١٨ ومع تبدل قادة الجيش الامريكي • دارت العجلة العسكرية من دون ان يلحق بها ايرل سبنسر • فالزمن الجديد يفترض وجوها جديدة •

هذا الاحباط • دفع بالطيار الوسيم الى التفريج عن همومه بالخمر ، وقد انعكس التردي على فاليس الطرية العود • وترجم ذلك في الحياة اليومية صراخا ومشاهد عنف وحقدا متبادلا • فهل تفكر بالطلاق ؟ • وماذا تصنع بعادات العائلة المتزمتة التي ترفض ذلك ؟ • لكن الالم لايرحم وفاليس التي حلمت بان رحلة الزواج هي سفر دائم في مناخ السعادة • استيقظت على واقع مأسوي وصممت على الخروج منه على الرغم من أصوات الاعتراض التي لا ترحم •



في مثل هذه اللحظات ••

ثمة يد واحدة تبلسم الجراح • لانها يد تفهم جروح القلب النازف •• أنها الام •

حزمت فاليس حقيبتها وأشياءها الخاصة وطارت نحو أمها • وفي واشنطن بدأت تعيش لحظات الحياة اللا مبالية • وعند منعطف احدى المناسبات • تعرفت الى الامين الاول في السفارة الارجنتينية في واشنطن • وارتبطت معه بصداقة حميمة • وعلى هامش هذه المغامرة • اكتشفت صديقات فرنسيات • ومعهن تذوقت أطباق الالزاس والبايون • ثم •• قررت زيارة باريس مع ابنة عمها (كورين) • فأجتازتا المحيط الاطلسي فوق

باخرة قديمة • لكن اغراء العاصمة الفرنسية أنسى المغامرتين أهوال العبور •

في هذه الفترة • كانت باريس تعيش سنوات الجنون مما جعل المعجبين يحتشدون حول القادمتين من العالم الجديد • لكن فاليس شعرت بالحنين الى زوجها الاول • ومن باريس طارت الى الفلبين لرؤيته • هنا ايضا • لاحظت ان الطيار فارس احلامها الاول مازال مدمنا على الشرب • وان ليس ثمة أمل لرأب الصدع بينهما • وبعد ثمانية اعوام من العواصف الزوجية • طلبت الطلاق من المدعي الامريكي في شنغهاي وأثر ابراز القرائن والاوراق الثبوتية •• شعرت بأنها مستقلة وسيدة مصيرها • فهي في الثامنة والعشرين من عمرها • وتتحفز لمستقبل أفضل من الماضي (هذا مايحدث دائما) • قالت في قرارة نفسها • وابتسمت للحياة و •• المجهول •



الوجه الاول الذي خرج من المجهول ودخل قلب فاليس ••

هو المواطن الامريكي وصديق العائلة ارنست سمبسون • وفي غضون ذلك تزوجت والدتها مرة جديدة من الثري غوردون ألن • ومعا بدأتا موسما عاطفيا صاخبا • لكن فاليس وبعد الاكثار من الصخب الامريكي• قررت زيارة فرنسا والسياحة في ريفها الاثري • وفي مطلع عام ١٩٢٧ وافاها صديقها سمبسون في باريس وطلب منها الزواج • فترددت فاليس في الاجابة بسرعة وطلبت وقتا للتفكير • ومن عزلة مدينة (كان) المتوسطية في فرنسا • كتبت رسالة طويلة الى ارنست سمبسون معلنة عن القبول بالزواج منه •

السجن الثاني بدأ لفاليس أقل قساوة من السجن الذهبي الاول مع

الطيار المدمن على الكحول • وقد كتبت في مفكرتها الخاصة عـــن أسباب قبولها اورضوخها لهاجس الزواج :

— انني اتزوج من جديد في غياب البدائل الاخرى • اشعر في قرارة نفسي بحاجة كبيرة الى الرجل • المرأة الجميلة خردة معروضة للبيع اذا لم يكن بجانبها رجل • لكن المأزق هو ان العلاقة بين المرأة والرجل هي علاقة قوة •• علاقة تجاذب مستمر • المهم ان لا تنقطع الشعرة الواهية بينهما •

ارنست سمبسون لميكن رجلا غير اعتيادي بالنسبة الى فاليس• ولم يكن بالتالي (ابولون) جديدا او (سوبرمان) على طريقـــة الرجال المميزين الذين حفلت بهم الثلاثينات من هذا القرن •

كان مرح الطباع ، شعبيا وكثير الاعجاب بفاليس • وعندمـا كانت ذراعاهما تتشابكان في العاصمة الفرنسية بالقرب مـن ساحـة « الكونكورد » او « فوبور سانتهونوريه » • كانت عيـون المعجبين تسمر عليهما • فهي كانت ترتدي قفطانا طويـلا علـــى الطـراز المغربي • وهو كان يدلف الى جانبها بنطلون قصـــير ونظـارات سوداء • وغالبا ماكان يدعوها الى افخر مطاعم العاصمة الفرنسيـة ثم يتأبط ذراعها باتجاه مرابع (الليل الابيض) حتى أولى خيـوط الفجر •



على هذا الايقاع ••

مرت الايام الباريسية للعاشقين القادمين مـن وراء المحيط • وذات ليلة قررا زيارة لندن • فعاصمة الضباب لا تقل عن مدينة النور رونقـــا

وجاذبية • وفي لندن استأجرا شقة مفروشة وحصلا على سائق وطاه ومدير تشريفات لبرمجة اقامتهما • كان المنعطف اللندني حاسما في حياة فاليس • ولم تكن تعرف ان القدر الملكي سوف يقرع باب مستقبلها بهذا العنف وهذا الاصرار • وبسرعة •• تعرفت على اوساط المجتمع المخملي الانكليـزي بواسطة قريبتها المدعوة (كيرسيملي) • وبرزت من دون جهد كبير عندما اخذت تستعمل حسها السحري في مقارنة التقاليد الاميركية والبريطانية • وتنتهي الى ملاحظات ذكية ولبقة بخصوص السنوبية اللندية لكن السعادة في أفق فاليس لم تكن من دون شوائب • لقد علمت بنبأ احتضار والدتها في ذروة (الوهج الانكليزي) • الامر الذي اضطرها الى مغادرة لندن بأقصى سرعة والتوجه الى نيويورك أملا بالقاء نظرة أخيرة على والدتها المودعة • وبعد دفن اخر (حصن حنان) لها • عادت الى لندن لتجتمـع بزوجهـا سمبسون وتروح عن نفسها في اجواء بريطانيا اللا مبالية •

في لندن •• ا

تصرفت فاليس وكأنها سوف تعيش دائما في الربوع البريطانية • لقد وسعت دائرة معارفها وتعرفت الى الاوساط السياسية والدبلوماسية • وأبرز هذه المعارف من دون شك الدبلوماسي الامريكي في لندن بنجامين ثـوي • المتزوج من المرأة الواسعة الثراء كونسيلو مورغان • وعائلة ثوي عرفت فاليس سمبسون الى أمير الغال وقد ملأت انجازاته اذنيها •

الانطباع الاول من رؤية فاليس للامير هو الدهشة لقد تعجبت من القامة القصيرة لهذا المسؤول الغالي (نسبة الى بلاد الغال) • ويبدو انـه ورث ذلك من والدته الملكة فكتوريا • وما جذبها أيضا هو مسحة السويداء على وجه الامير ونظراته الزرقاء الذابلة • ثم سحرت بعفويته ودماثـة اخلاقه • وفي قرارة نفسها تأكدت من انها أمام اكثر الرجال جاذبية فـي حياتها •

الدبلوماسي ثوي خوفها عندما قال لها : الامير عازب أبدي ! • ولم تطل مغامراته مع النساء اكثر من موسم صيف • وهو الى ذلك بارع في الشؤون السياسية • وتأخذ القضايا العامة كل وقته •

في العام ١٩٣٠ سافر الامير الى اميريكا الجنوبية بعدما تعلم اللغة الاسبانية • واثر عودته اتصل بفاليس • لكنه رفض تناول الكوكتيل عندها • متذرعا بنشاط سياسي في منطقة بلفدير • لكن في قرارة نفسه كان يناور ويستهدف القاء شبكته والحصول على صيد وفير • وبخط مواز لهذه الرغبة • كانت مشادات عنيفة تعصف في كواليس الاسرة الانكليزية الحاكمة بشأن صلاحيات الدستور • وكان أمير الغال ميالا الى خلخلته وأحداث تغييرات جذرية عليه خصوصا بالنسبة الى تقاليد الزواج وضرورة اختيار النساء من خارج اطار الاسرة الملكية •



الحب والسياسة ••

يسيران جنبا الى جنب في قلب امير الغال ابتداء من العام ١٩٣١ • وصاحبة هذا الانقلاب لم تكن سوى فاليس سمبسون زوجة الثري سمبسون الذي لم يكن ابتداء من هذه الساعة الفاصلة ، سوى ذرة غبار في قلب وفكر زوجته • لكن الحب ، وحده يبقى عاجزا عن قلب معادلات الاستقراطية الانكليزية • مؤلفة الكتاب ليدي موزلي تقول ان الحرب خلخلت أسس هذا التقليد المتزمت •

وعندما بدأ أبناء الاسرة الملكية يختلطون بطبقات الشعب بفعل الظروف التاريخية والمستجدات السياسية على المسرح الاوروبي •• انهارت العمارة الاصولية من تلقاء ذاتها • وما زال في دوي هذا الانهيار مزاج أمير الغال الذي رأى في هذا التقليد ضربا من « الهرطقة خارج

التاريخ » • لذلك ، ارتبط بعلاقات متينة مع الامريكيين الذين كان البريطانيون الاصوليون يكنون لهم العداء والبغضاء •

فاليس • كانت الصاعق الذي فجر تراكمات الخصومة داخل العائلة الملكية خصوصا عندما تلقت دعوة لزيارة الامير برفقة زوجها ارنست سمبسون الى قصر وندسور •

اللقاء الاول • شهد وصلة راقصة بين الامير والفاتنة فاليس • ومحادثات ابتدأت بالتعليق على السياسة وانتهت بالكلام على شؤون وشجون الحاضر والماضي • وبدورها دعت فاليس الامير الى منزلها رغبة منها في مد اسلاك الحب بين قلبيهما • والزيارة الاولى مقدمة لزيارات لاحقة • وفجأة يعتاد الامير على منزل فاليس في بريناستون • يقصده بين رحلتين او اجتماعين سياسيين • يستريح ويفتح قلبه للامريكية التي بدأت تحبه • ومع الوقت • أخذ يشعر ان ثمة ضرورة ما لرؤية فاليس • فهي جزء لايتجزأ من حياته وشعوره وآماله • ولم يخف هذا الشغف بها • واعترف لاحد أصدقائه قائلا :

— غريبة فاليس • انها تستقطب مشاعري كلها وتفهمني بعمق • انها تملك وتجسد اجمل شيء أحبه في الدنيا •• العفوية الصادقة والشفافية ذات الشجون والسويداء •

الامير • كان فارس النساء • وخبر طباع العديد منهن اللواتي تصنعن بهدف الحصول على اعجابه • لكن فاليس كانت استثناء • لقد احتفظت ببساطة ملائكية على الرغم من مقاربتها أمير العرش البريطاني • وحدسها اليقيني كان ذا فعالية مغناطيسية عليه • وهذا لم يمنع انها احتفظت بقدر كبير من التهذيب ازاءه •

هذه المواصفات لم تكن كل شيء في تصرف فاليس • ذلك انها

حافظت على حسها الانيق • واكثرت من ارتداء الازياء الجميلـة بساطة المتناغمة بخفر • الامر الذي جعل قلب الامير يخفق لها ولها وحدها بشدة •

في هذه الاثناء ••

كانت الضجة تكبر في أوساط العائلة الملكية • وحب فاليس لامير الغال تحول بسرعة الى قضية عامة اطلق عليها اسم (قضية مدام سمبسون)• مما ازعج فاليس التي توجست شرا من ردود الفعل المجد على مغامرتهـا العاطفية •

اما الامير • فقد كان يشجعها ويردد أمامها ان حبه لها يفوق بريـق الشهرة ويتجاوز صرامة التقاليد الارستقراطية •



في صيف عام ١٩٣٤

استأجر الامير منزلا في المدينة الفرنسية الاطلسية بيارتيز رغبة منه فـي الهروب من الهمس البريطاني المزعج ولقضاء موسم عاطفي رائـع مـع فاليس • هنا • تأكدت شراكة القلبين بين فاليس والامير • وتحت الشمس اللافحة وعلى متن القوارب الشراعية التي كانت تطل بهما علـى زرقـة المتوسط • عبر جبل طارق •• يعترف الامير فيقول :

— كلما كنت اتساءل عن أسباب ومرامي حبي لفاليس • كانت رؤيتـي تتوضح • لا تهمني الذرائع السياسية • أنا ورقة ضعيفة في مهـب العاصفة التي تدعى فاليس •

أما فاليس • فكانت تتساءل :

— لماذا يحبني هذا الرجل الجذاب ؟ • لقد عرف نساء اكثر جاذبية وشبابا مني في الولايات المتحدة • يقال انني اجتزت مرحلة الحب • خصوصا انني على تخوم الاربعينات • وبقدر ما يسعدني هذا الحب •• بقدر ما يحتفظ بكثافة من الاسئلة الغامضة والاجوبة المعلقة • وتتابع :

— في خلال لقائنا الاول شعرت انه وحيد في منفاه الداخلي • وربما شعر انني المرأة التي تقبل بمشاركته هذه العزلة •



عند عودة الامير من لندن ••

ألف مقطوعة موسيقية أهداها الى فاليس • وغالبا ما في حدائق بالمورال وعزفها على انفراد مثيرا شجون أهل بيته • ومن جديد • يدعو فاليس الى مدينة (كان) لوضع اللمسات على (خطة مستقبلية) تتعلق بهما • وقد وعد فاليس بالتغلب على كل الصعوبات التي سوف تعترض تنفيذ الخطة • أما هي فلم تتأكد من مضمون الدعوة التي حملت طابع العجلة •

في العام ١٩٣٦ ، توفي الملك البريطاني والد (امير الغال) تاركا وصية مفادها انه يأمل بعدم خلق مشكلات تنال من حصانة العرش او تعكر مسار التقاليد الملكية • وقد خلفه نجله الاكبر الامير ادوارد الملقب بـ (أمير الغال) •

فاليس حضرت حفلة التنصيب • فحبيبها يسمى من الان وصاعدا أدوارد الثامن • وفي ذروة المراسم ، استدعاها الى جانبه وقال لها :

— لقد تغير كل شيء بالنسبة الي سوى العواطف التي أكنها لك •





دوق ودوقــة وندسور

حكاية قد لا تجدد

المهمات الملكية ..

استنفدت وقت ادوارد الثامن من الصباح الى المساء . لكن والدته اخذت تلح عليه بالزواج تأمينا لاستمرارية العرش . وذات يوم . همس اليها ان زوجته لن تكون سوى فاليس ! . وذلك على الرغم من المعوقات التقليدية التي تحول دون ذلك . واكد لها ان قراره ليس جديدا وهو يرقى الى العام ١٩٣٤ . أجابت والدته وكأنها اصيبت بعارض جنون :

— انك تطعن الحرمة الملكية . والمرأة التي تتكلم عنها تبقى فرنسية حتى رؤوس أصابعها . والطعنة لذلك مزدوجة .

فاليس . امتلكت مشاعر الملك كلها .. انها قدره . فضلا عن ذلك ثمة فلسفة خاصة به دفعته مرارا الى التساؤل عن الاسباب التي تقيد الملك في حركاته ونشاطاته ورغبات قلبه . وعلى الرغم من انه شدد على وحدة العرش البريطاني . فقد طالب باطلاق يد الامراء في امورهم الخاصة . ويبدو انه صمم على اختراق الجدار الملكي . وعند الزيارة الملكية الاولى التي قام بها الى اليونان .. اصطحب معه فاليس في الموكب الرسمي . بعد فترة ..

وثمة محطات متميزة في العلاقة الخاصة بين فاليس والملك . منها خطاب التنصيب . فصحيفة (التايمز) استقبلت الحدث بالتشديد على « الصفحة التي تطوى في تاريخ بريطانيا بتسلم ملك شاب مقدرات الدولة » . انه تجسيد للعرش ورمز اساسي للكيان المادي لبريطانيا .
الملك ، قرأ التعليق .

لكنه سخر من مضمونه في قرارة نفسه . وصمم على اداء الدور الذي لعبه ابوه وأجداده وبعد المراسم الاحتفالية . وضع الملك تمشيا مع

التقاليد .. اكليلا من شقائق النعمان الحمراء على ضريح الجندي المجهول ، وانتقل في الليل الى بورتلاند ليحيي قادة القطاعات البحرية البريطانية .

في الاسبوع الاول من ممارسته صلاحياته الرسمية ..

تسلم رسالة من سكرتيره الخاص الكسي هاردينغ يدعوه فيها الى التنحي عن العرش اذا اصر على زواجه من فاليس طالبا اليه ابعادها عن بريطانيا لوضع حد لاستفزازات الصحافة التي اخذت توجه سهامها الى أقدس المناصب الهرمية البريطانية .

في هذه الاثناء ..

شعر أدوارد الثامن بضرورة الاصغاء الى نصائح احد رجال القانون ليساعده على اتخاذ قرار نهائي . لقد شعر بالضعف وحده في مهب العاصفة . في هذا الاطار استدعى والتر مونكتون أحد رجال القانون البريطانيين المشهود لهم بدقة المعرفة والاخلاص فاطلعه على الرسالة التي تلقاها من سكرتيره الخاص وقال له :

— اذا اعترضت الحكومة على زواجي من فاليس . فأنا مستعد لحزم حقائبي والتوجه الى جهة ما . متخليا عن العرش ! .

فاليس . رفضت ان يكون الزواج ثمنا للعرش . الامر الذي دفع الملك الى القول :

— انني أوجه انذارا اخيرا للاذعان الى ارادتي .

في هذه الاثناء ..

رفضت والدته التهديد . وانضم اليها الوزراء الاخرون . مما حدا بأدوارد الثامن الى اعلان تنحيته عن العرش وسط أجواء تشاؤمية خيمت على

بريطانيا • وقد تدخل أسقف برادفورد ليعلن في صلاة جماعية ان « اللـه وحده قادر على رد الملك عن غيه » •



بريطانيا ••

انقسمت الى معسكرين • فريق يساند الملك ويؤيد زواجه مـــن فاليس • وفريق اخر يرى في هذه الخطوة طعنة للتقليد الملكي البريطاني • واجراء يؤدي الى المجهول • واصبحت الحياة لا تطاق بالنسبة الى فاليس في لندن تحت وطأة التهديدات التي تلقتها •

فحزمت حقائبها وقالت للملك بأنها عائدة الـــى مدينـــة بلتيمـــور الامريكية • لكن ادوارد الثامن • اوعز الى رجاله بتأمين ســـفرها الـــى فرنسا • وفي الطريق الى نيوهافن • اعلنت انها تطلب من الملك التخلي عن فكرة الزواج منها لتنفيس الازمة المحتدمة في لندن • وعند وصولها الـــى فرنسا •• رأت ان جيشا من الصحفيين من مختلف أنحاء العالم توافـدوا لتغطية هروبها من السجن الذهبي البريطاني •

في لندن ••

كانت وتيرة الاحداث تتسارع بشكل جنوني • اذ اعلن الملك ادوارد الثامن في خطاب اذاعي انه مصر على الزواج من مدام سمبسون • وانـه ليس من الضروري اطلاق لقب الاميرة عليها •

الرد أتى اليها من مجلس العموم • وكان واضحا : اننا لانسمح بهذا الاختراق للعرش البريطاني •

وفي الثامن من كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٩٣٦ • جمع الملـك اخوته في قصر بلفدير واعلن لهم عن ارادته بالتخلي عن العرش والالتحاق

بفاليس في مدينة (كان) الفرنسية .

الملك ادوارد الثامن ، نفذ الوعد الذي قطعه على نفسه .

وفي خطاب الى الامة .. أعلن عن تخليه عن العرش لصالح أخيه دوق يورك وقال :

— تعرفون جيدا لماذا أقدم على هذه الخطوة ؟ . ويجب ان تتأكدا من ان ابتعادي عن بريطانيا ، لايعني تنكري لكم . لقد خدمت هذه الامبراطورية منذ ٢٥ عاما كدوق لبلاد الغال . ثم .. كملك على العرش البريطاني . ويجب ان تتأكدوا ايضا من انني عاجز عن الاستمرار في تحمل مهماتي الصعبة من دون المرأة التي أحبها . لم يمل احد قراره علي . لكن من الضروري ايضاح حقيقة أساسية وهي ان المرأة التي اتخلى اليوم عن العرش من أجلها .. حاولت مرارا اقناعي بالعدول عن ذلك . لقد اتخذت قرارا نهائيا . وآمل ان يضطلع أخي بالمهمات التي أسندها اليه اليوم .

★ ★ ★

ملايين المستمعين في العالم ..

اصغوا الى هذا الخطاب . وجميعهم تعجبوا من الصراحة المشوبة بعلامات التصميم الحازم .

وعندما نزل الملك عن منصة مجلس العموم . أطلق عليه مباشرة لقب دوق وندسور . وتوجه الى القصر ليستأذن عائلته بالرحيل ليلتحق بقدره الجديد .

دوق وندسور ..

وصل الى النمسا . واستدعى فاليس من مدينة (كان) . وفي ١٢ أيار

(مايو) سنة ١٩٣٦ تزوجا في فينا • وبارك الصلاة قسيس بريطاني حضر خصيصا الى العاصمة النمسوية • وقد اقتصرت المراسم على بعض المدعوين• ولم يسمح بدخول رجال الصحافة • حصل استثناء واحد فقط شمل موريس شومان الصحفي الفرنسي وعضو الاكاديميـة الفرنسيـة او (برلمـان الخالدين) • هكذا ارادت فاليس بعد (الهزة) البريطانيـة والمغامـرات الامريكية والنمساوية •

السنة الاولى من المنفى • كانت غنية بورود الحب واشواك الابتعاد عن الاضواء التي تعود عليها الدوق طوال الفترة السابقة من حياته • وتسلل الزوجان الى بريطانيا حيث استأجرا منزلا بالقرب من قصر بلفير الملكي • هنا • تردد عليهما وزراء ومدراء ومسؤولون سياسيون • لكن فاليس تضايقت من هذا الفالس المزعج وقررت الابتعاد عن أجواء بريطانيا والسفر الى المانيا • ومعا اجتازا ظروف الحرب العالمية الثانية متنقلين بين فرنسـا وبريطانيا • وقد توجب على دوق وندسور ان ينضم الى هيئـة اركـان الجيش البريطاني امام تفاقم الغارات النازية على لندن • الامر الذي دفـع بفاليس الدوقة الجديدة الى السكن في باريس (بولفار سوشيه) •

وعندما كانت باريس على وشك السقوط عسكريا امام الزحـف الهتلري •• التجأ الدوق والدوقة الى مدريد ومنها باتجاه لشبونة • وهنا علما ان ونستون تشرشل ارسل باخرة حربية لنقلهما الى لندن • لكـن الدوق رفض العودة الى العاصمة البريطانية وفضلا الذهـاب الـى جـزر البهاما لكن • بعد حادثة بيرل هاربر • كانت الحرب تقترب من الجـزر الاميركية الهادئة • وأمام هذا الهاجس • انتقل الوندسور الى واشنطن • وهنا اخذت الدوقة تهتم برعاية ايتام الحرب وايواء المعوزين والمشرديـن الذين قضت الازمة الدولية على موارد عيشهم او اصابتهم في اسرهم • ومن

المعروف ان فاليس اسست اول مستشفى لرعاية الامومـــة الســـوداء في اميريكا • وكان هذا العمل نواة لمشاريع خيرية متعددة •



في العام ١٩٦٤ •

تعرض الدوق الى اول مرض عضال توجب على اثره استئصال تدرن من قلبه • ثم •• خضع لعملية في عينه اليسرى قبل ان يفقد البصر كليا •

وينتقل مع زوجته فاليس الى منطقة (غابة بولونيـا) في ضواحـي باريس ليعيش بقية عمره • وهنا • توفي في ٢٨ أيار (مايو) عام ١٩٧٢ عن عمر ٧٨ سنة • وقد نعته وسائل الاعلام البريطانية من دون ان تنعتـه بصفات (الابن العاق) التي اسبغتها عليه في الماضي بعض الصحف اليومية• ودفن الى جانب والدته الملكة فيكتوريا •

وفي ١٣ تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٧٥ ، تبعته الدوقة الـــى العالم الاخر بعد حب عاصف كان ثمنه العرش وهزة عميقة في •• البنيـة الملكية البريطانية •

ادوارد الثالث

الملك الذي أخذ بشهادة كلب في قضية قتل !

حين أخذ ادوارد الثالث ملك انكلترا عام ١٣٧١ للميلاد • بشهادة الكلب في قضية قتل ! •

★ ★ ★

لنحاول ان استطعنا ان نتتبع خطى هذا الكلب الرشيق البالغ الجمال وما نحسب أننا بالغين من ذلك شيئا •

فالحيوان الجميل يعدو بخطوات واسعة وقفزات سريعة لا تقف امامه الشجيرات الكثيفة في ريف انكلترا ، ولا غدرانها الكثيرة التي تعترض طريقه •

انه يعدو منذ ساعة في أحراش مقاطعة سافوي في شرق انكلترا منذ غادر قرية سبيري وهو يعدو و •• الى اين ياترى ؟ •

ويصل الى قرية سافوي •

بأظافره وبقدميه الاماميتين الطويلتين ، يدفع باب المطبخ الكبير في دار أحد اثرياء المنطقة •• دار السيد أرنولد دوغلاس •

ويراه احد الخدم فيتقدم نحوه ويقول :

— ياله من كلب جميل حقا ! •

ويسأله الطباخ :

— ألم تره الا اليوم ؟ . وهل يعقل هذا ؟ . منذ ثلاثة اسابيع وهو يطرق بابنا كما فعل اليوم . نفتح له فيقبع امامي حتى اضع له بعض اللحم والماء فيأكل ويرتوي .

ويسأله الخادم :

— وماذا بعدها ؟ . هل ينام ؟ . فيجيبه الطباخ :

— ليس قبل ان يدور أمامنا دورات لا أفهم لها معنى ويحاول دون شراسة ان يعبر الممر المؤدي من المطبخ الى غرف الدار . نمنعه بالطبع فيعوي في حزن . ثم .. ينطلق عدوا الى الاحراش مرة أخرى . لاندري من اين يأتي والى اين يذهب ؟ . بل لاندري لماذا لايختار الا بيتنا هذا ؟ .

— لعله مجرد كلب ضال ؟ . قال الطباخ :

— لا ياعزيزي . الكلب الضال يتشمم كل بوصة من الارض بحثا عن ذكريات أصحابه القدامى من رائحتهم . لالا . ليس هذا بالكلب الضال . ثم يلتفت الطباخ الى الكلب ويناديه بأسمه ويقول :

— بيرسي ! . أ .. هل أنت ضال حقا ؟ . أما أجمل كلاب الارض كلها ! . بيرسي ! .. في عينيك نظرة عجيبة . استجداء ؟ . لا ادري. ويتقدم الطباخ الى زملائه ويقول لهم : هيا .. هيا . هيا الى العمل فقد آن اوان تقديم الافطار الى السيد دوغلاس وأسرته . هه ! . نحن طهاة ولسنا هواة كلاب جميلة او غير جميلة . ولكن ليس قبل ان اقدم الى هذا الكلب الصديق الوجبة التي اعتادها مني . تعال ايها الصديق .. تعال يا بيرسي .



ويعوي الكلب عواء يسمعه السيد دوغلاس في غرفته •

يخرج ويسأل الطباخ عن مصدر هذا العواء فيجيبه الطباخ قائلا :

ـــ أ •• معذرة ياسيدي فأنه هذا الكلب الذي •• ويقاطعه السيد دوغلاس :

ـــ ومن اين جاء هذا الكلب ؟ • اية حماقة هذه التي تدخلون الكلاب الى مطبخي ؟ • والتفت دوغلاس ليرى الكلب بيرسي • صاح :

ـــ عجبا ! • انه بيرسي • اوه ! •• بيرسي •• كفى كفى لحسا يا صديقي •

استغرب الطباخ من معرفة سيده لاسم الكلب • فسأله :

ـــ بيرسي ؟ • هل تعرف هذا الكلب ياسيدي ؟ • اجاب دوغلاس :

ـــ الا تراه يعرفني ويتوثب حولي ويلحس كل جزء في وجهي ؟ • طبعا أعرفه ويعرفني • انه بيرسي كلب صديقي العزيز جورج اويري فارس قرية سلبيري •

ـــ آه ! • هذا صديقكم الثري الذي أبلى بلاء حسنا في موقعة سالنج ضد الفرنسيين ؟ •

ـــ اجل •• جورج اويري ليس ثريا فحسب بل هو من أقرب المقربين الى سمو الامير ولي عهد مليكنا المحبوب ادوارد الثالث • قال الطباخ :

ـــ لاغرو ان يملك ياسيدي حيوانا رائعا كهذا •

ويتقدم دوكلاس الى الكلب بيرسي ويسأله ضاحكا :

ـــ كيف حال سيدك اويري يابيرسي ؟ • لماذا لم يحضر منذ اسابيع جلساتنا مع سمو الامير ؟ • ماذا تعني بهذا اللف والدوران حولي يابيرسي ؟ •

وسأل دوغلاس طباخه وليم :

— أهو جائع يا وليم ؟ • قال وليم :

— سأقدم له الوجبة المعتادة ياسيدي في الحال • سـألـه دوغلاس في استغراب :

— المعتادة يا وليم ؟• اتعني انه ترك دار سيده وأقام هنا ؟ • قال وليم :

— كلا ياسيدي • ولكنه يأتي هكذا كل صباح يعدو ويلهث • أقدم له الطعام والشراب فيعوي بما لا أفهمه • ويظل يدور حولي كما يفعل الان معك • ثم ما ان يطعم ويرتوي حتى يخرج منطلقا الى الاحراش •

— الى اين يا وليم ؟ •

— لا ادري ياسيدي • ربما الى قرية سيده •

— بالضبط يا وليم • الى قرية ساليري حيث يعيش سيده جورج اوبري بلا زوج أو ولد • ليس عنده الا خادم واحد • لست أفهم • انها مسافة طويلة لماذا يقطعها الى هنا كل يوم ؟ •

— أ •• سيدي • أ •• لكأن هذا الكلب يدعونا الى ان نتبعه الى قرية ساليري •

ربما « من يدري ؟» • ومع ذلك •• لنجهز • قدم له الطعام والشراب حتى استعد للسير خلفه بجوادي يا وليم •

★ ● ★

وانطلق الكلب يعدو والفارس ارنولد دوغلاس خلفه على الجواد •

وقاده بيرسي الى منطقة في الاحراش بعيدة عن قرية ساليري بحوالي عشرة أميال •

عند بقعة كان من الواضح أنها ردمت حديثا •• توقف الكلب وأخذ يدور حولها وينبح وعيناه على صديق سيده • صاح به دوغلاس :

— بيرسي ! • ماذا تعني بهذا الدوران ؟ • هاه ؟ • لماذا تنبش التربة ؟• عجبا كأنما ردمت هذه البقعة حديثا فلا تنمو فوقها الحشائش كما تنمو قربها ؟• بيرسي ! • هل تعني •• انه حدث لسيدك اويري مكروه ؟• أتريد مني ان أحفر هنا ؟ • حسنا • لنفعل ماتريد •

وحفر الفارس دوغلاس في البقعة التي كان الكلب يدور ويلف حولها • صاح دوغلاس :

— اوه يا الهي ! • جثتان ؟ ! • هذه دون شك جثة صديقي الفارس اويري • اني أعرفه من ثيابه • ولمن الجثة الثانية ياترى ؟ • لعلها لخادمه ؟ • لكن •• من قتلهما ؟ • من دفنهما هنا ؟ ! •

★ ★ ★

وبلغ الامر أسماع ولي عهد انكلترا الامير الاسود كما يلقبونه بلون درعه •

لم يتوان الامير الاسود عن تكليف عمدة المنطقة بالتحقيق في مقتل الفارس اويري وخادمه • وقال العمدة بعد ان قام بالتحقيق :

— ان طريق التحقيق مسدود تماما • كل الذي نعرفه الان هو ان الفارس اويري كان في طريقه الى لندن لحضور اجتماع ولي العهد بفرسان المملكة وكان معه خادمه • عند منطقة لاجن فاجأه من طعنه من الخلف طعنة نافذة ثم أجهز على خادمه ودفنهما في تلك البقعة •

— يقال ياسيدي العمدة انكم وجدتم سيفا ثانيا فوق جثة الفارس اويري ؟ • اجاب العمدة :

— اجل ياسيدي • وهذا يدل على ان القاتل احد فرسان المملكة ، فوضع سيف القاتل على الجثة وهذا تقليد مؤسف معروف في بلادنا •

— من الممكن اذن معرفة القاتل من هذا السيف ياسيدي العمدة ؟ •

ـــ كلا ياسيدي • فلا شيء يميز ذلك السيف عن الاف السيوف مـــن أمثاله •

ـــ ولكنكم عرفتم على اي حال ان القاتل فارس من فرسان الملك • لم يبق الا ان تعرفوا من ذلك الذي يكن للقتيل عداوة مريرة تدفعه الى اغتياله ودفنه مع خادمه ؟ • قال العمدة :

ـــ ليس هذا بالامر الهين • على اية حال لقد انجز التحقيق تقريبـا بعد أن رفعته الى صاحب السمو ولي العهد • امامنا الان ماهو اهـم من التحقيق في مقتل فارس من فرسان المملكة •• امامنـــا الحـرب الوشيكة بين انكلترا وفرنسا •

★ ★ ★

واحتفظ الفارس ارنولد دوغلاس بالكلب بيرسي وأحبه حبا جمـا لفرط وفائه لسيده القديم وكماله ايضا وندرة فصيلته •

فكان يصطحبه في كل رحلة يقوم بها • ويبدو الكلب الجميل خلف جواد سيده انيقا مطهما يثير الاعجاب •

أصطحبه ذات يوم الى لندن لحضور اجتماع من اجتماعات الاميـر الاسود • في فناء القصر • انطلق الكلب فجأة يحاول الانقضاض على احد فرسان المملكة •• يحاول الانقضاض على الفارس هنري ماكير ! • ما ان رآه الفارس حتى صاح به :

ـــ أبتعد ايها الحيوان المفترس ! • أبتعد والا قتلتك •

ثم نادى الفارس ارنولد دوغلاس كلبه وصاح به :

ـــ تعال يابيرسي ماذا دهاك ؟ • ثم التفت الى صديقه هنري وقال له :

ـــ معذرة يا صديقي هنري • هذه اول مرة يهاجم بيرسي أحدا • قـال هنري :

ـــ عجبا يا دوغلاس ! • لماذا اختارني انا على وجه التحديد ؟ • ها قد عاد الى مهاجمتي • خذ كلبك بعيدا يا دوغلاس والا قتلته ! •

★ ★ ★

لولا ان كبح ارنولد دوغلاس جماح الكلب بيرسي •• لافترس زميله في السلاح الفارس هنري ماكير •

في اثناء أجتماع الفرسان مع ولي العهد •• وفكرة واحدة لاتفارق ذهن دوغلاس وتساءل :

ـــ لماذا يهاجم بيرسي زميله هنري ماكير على وجه التحديد ؟ • ايمكن ان يكون هو الذي قتل صديقنا اوبري ؟ • ولم لا ؟ • لقد كانا دائما على تنافس • وحين فاضل الملك ادوارد بينهما في العام الماضي ليمنح احدهما ربطة الساق برهان الشجاعة والولاء للتاج •• فاز به اوبري • الغيرة والحسد والتنافس المرير اذن وراء هذه الجريمة • ولكن • كيف نثبت ذلك ؟ •
وبعد ان انفض الاجتماع ••

تكرر مشهد هجوم الكلب بيرسي على الفارس ماكير • ورأى الملك ادوارد الثالث بعينيه من شرفة القصر •• رأى محاولات الكلب الشرسة للوثوب الى عنق ماكير والنظرة الخائفة المرعوبة في عيني الفارس الذي هدد بقتل الكلب بالسيف قائلا :

ـــ اذا لم تبعد كلبك عني يادوغلاس •• فسأقتله في الحال ! • ورد عليه دوغلاس ساخرا :

ـــ كما قتلت صاحبه ؟ • وتساءل هنري :

ـــ صاحبه يا دوغلاس ؟ • فأجاب دوغلاس :

— اجل صاحبه اوبري ! •
وصاح هنري :
— ماهذا الهراء يا دوغلاس ؟ • هل جننت حتى توجه الي اتهاما كهذا ؟•
قال دوغلاس :
— يا ماكير ! • اجل •• اني اتهمك بأنك قاتل الفارس جورج اوبري وخادمه • لقد رأى هذا الكلب كل شيء ولهذا يهاجمك في شراسة انتقاما لسيده ! ورد عليه ماكير :
— لم يبق يا دوغلاس الا ان يتهم فارس من فرسان صاحب الجلالة الملك بجريمة قتل ! •

★ ★ ★

وهنا دخل الملك القاعة • جلس وقال مخاطبا النواب :
— انتظروا ايها السادة • لقد رأيت كل شيء من مكاني • لقد آن للعدالة ان تأخذ اليوم مجراها •
فتقدم اليه الفارس ماكير وقال :
— يا صاحب الجلالة • اني الجأ الى عدالة جلالتكم تحميني من هـــذا الاتهام الظالم •
فرد عليه دوغلاس وقال :
— وأنا يا صاحب الجلالة •• الجأ الى جلالتكم للانتقام من قاتل فارس من اكبر فرسان المملكة ولاء لكم • أطلب محاكمة هنري ماكير بتهمـة قتل زميله الفارس جورج اوبري •

ونزل ادوارد الثالث الى ساحة القصر ليسمع حجج الطرفين في الوقت الذي لن يكف الكلب بيرسي عن محاولة الوثوب الى عنق ماكير ! •
واخيرا •• تكلم الملك الذي اشتهر بالحكمة والعدالة فقال :

— ايها السادة :

لقد ارتكبت في مملكتي جريمة بشعة قتل فيها احد فرساني المعروفين بالولاء والشجاعة هو الفارس اوبري • قتل غيلة وغدرا ودفـن فـي الغابة كما يدفن الحيوان النافق • وامامي الان مدعي ومدعى عليه • اما المدعي فهو الكلب الذي كان يملكه القتيل • أما المدعى عليـه ، فهو الفارس هنري ماكير • وما عرض علينا الان من القرائن لاترقى الى مستوى الادلة الحاسمة مما تعجز امامه عدالة الانسان عـن أن نصدر حكما لايشوبه الخطأ • لهذا • فلا اجد امامي الا الالتجاء الى عدالة السماء •





وامر الملك بان تقام مبارزة بين القاتل والكلب امام اعضاء مجلسي النواب والاعيان • وبدأ الكلب اولا بالهجوم على القاتل



بدأ (بيرسي) الهجوم على القاتل

كان يريد ان يصل بأنيابه الى عنق غريمه • ولم يتركه بيرسي حتى اعترف القاتل بجريمته امام الملك !

وساد الصمت ساحة القصر كلها .

حتى الكلب بيرسي كف عن النباح وقبع كأنما ينتظر قرار الملك الذي قال :

— آمر بان تجرى مبارزة علنية في ساحة هذا القصر بين المدعي والمدعى عليه . وليشهد تلك المبارزة كل فرساننا وأعيان المملكة ! . وفي ساحة القصر ..

خططت دائرة هي ميدان القتال المتوقع . ثم احيطت بسور عال حتى لايكون للمنهزم وسيلة للفرار .

وأقيمت المقاصير لافراد الاسرة المالكة وأعيان البلاد لمشاهدة تلك المبارزة التي ليس لها مثيل .

مبارزة حتى الموت بين الكلب بيرسي وبين الفارس هنري ماكير ! . اما السلاح الذي سمح به الملك للمبارزين فلم يكن غير هراوة لماكير . اما الكلب بيرسي . فقد قنع بأسلحته التي زوده بها خالقه .. المخالب والانياب .

وفي الثلاثين من شهر اب عام ١٣٧١ بدأ القتال المثير .

بدأ بيرسي الهجوم . كان يريد ان يصل بأنيابه الى عنق غريمه متقيا في نفس الوقت في رشاقة ولباقة حركية بالغة الجمال .. متقيا هراوة ماكير التي اخذ يديرها في الهواء في عنف على امل ان تصيب الكلب بضربة قاضية .

وطال الصراع .

اصيب بيرسي بضربة اوشكت ان تنهي المبارزة ولكنه تحملها في

شجاعة معجبة ودار حول الساحة مبتعدا عن خصمه حتى يسترد أنفاسه وقوته الذاهبة من عنف الضربة القراوة •

وفجأة • تحفز لينقض على رقبة ماكير بأنيابه التي تشبه الخناجر المسمومة • واستعد له ماكير بهراوته • فأذا بالحيوان الماكر يغير اتجاهه وهو في ا لهواء فجأة ويقبض بأنيابه على يد غريمه ويرغمه على القاء الهراوة • وفي قفزة سريعة اخرى تكون أنيابه في عنق هنري ماكير الذي صاح :

— بحق السماء انقذوني ! •• اني اعترف ! •• اعترف بقتل جورج اوبري •• انقذوني بحق السماء ! •



في عام ١٨١٤

زار الشاعر الالماني المعروف (غوتيه) •• زار مسرح كوفن كاردن في لندن • فطلب اليه مدير المسرح ان يكتب مسرحية موضوعها (وفاء الكلب بيرسي لسيده اوبري) • فقال له غوتيه في كبرياء :

— اذا صارت الكلاب عندكم ابطالا تكتب عنها المسرحيات •• فلا يجد غوتيه غير الصمت ! •

قصة غرام مشبوك مع ..

الملكة ماري انطوانيت

اكثر الحديث عن أسباب الثورة الفرنسية الكبرى هي :

١ ـ الضرائب الباهضة التي فرضها الملك على الشعب •

٢ ـ الاسراف الملكي والجرأة على المال العام •

٣ ـ الفساد الخلقي الذي ساد البلاط •

٤ ـ سيطرة الملكة ماري انطوانيت على زوجها الملك وتحديها للمجلس النيابي •

وكلها يا أخي القارىء •• أسباب صحيحة •



ولكن جميع هؤلاء المؤرخين ••

أضافوا الى تلك الاسباب ، قصة غرام مشبوك بين الملكة ماري انطوانيت وبين الفتى الجميل الرومانسي النزعة •• اكسل فيرسن •

لم يكن اكسل فيرسن فرنسيا • كان من أشراف عائلات السويد • وكان جميلا كأجمل مايكون الفتيان في سنه •• سن الثامنة عشرة •

قال له أبوه الكونت فيرسن قبل ان يرسله الى فرنسا ليتلقى الاصول في معية لويس :

— انت يا ولدي ، شديد الوسامة ، حلو التقاطيع • ورثت اجمل صفات أسرة فيرسن • ورثت الجمال من أمك ورشاقة العود مني والشجاعة من جميع افراد الاسرة • فلاتدع فتيات البلاط الملكي والسيدات تسربلك بعلاقات عاطفية غير مجدية قد تمس شرفك وتشين تاريخ اسرتك • حذارى من نساء البلاط الفرنسي يافيرسن •

وذهب الفتى السويدي الى فرنسا مزودا بهذه النصيحة •

ولم يكن من المنطقي ان يلتحف بها في كل الظروف • فقد كان في الثامنة عشرة أي في سن تحدي الحدود والقيود •

سمع بالشابة الصغيرة الاميرة ماري انطوانيت التي جاءت من النمسا الى فرنسا لتتزوج ولي العهد • سمع بها من احدى فتيات البلاط التي قالت له :

— يقال • انها ستذهب الى ايطاليا فور وصولها الى النمسا وانها ستصل باريس غدا •

وسألها فيرسن :

— ولماذا ذهبت الى ايطاليا ؟ • لماذا لم تأت من النمسا الى فرنسا رأسا •

أجابته الفتاة :

— على هذا كان الاتفاق مع مجلس الوصاية على ولي العهد • ان تذهب الى ايطاليا لتقابل البابا وتحصل على موافقته على الزواج باعتباره رأس الكنيسة الكاثوليكية •

ويرد فيرسن قائلا :

— لا أحسب البابا سيعترض على ذلك • فتقول له الفتاة ضاحكة :

— لم يعترض بالطبع • وحتى اذا جاء الى ذهنه ان يعترض • فأن جمال ماري انطوانيت سيشفع لديه • يقولون انها قطعة فنية رائعة •

ويسألها فيرسن •

ــ هل رأيتيها ؟ • فتجيبه :

ــ ليس بعد • أ •• أحسب انني سأغار منها فور رؤيتها • لماذا بحق السماء يتزوج لويس فتاة اجنبية •• لماذا ؟ • ليس اكثر من الاميرات الصالحات للزواج في الاسرة الفرنسية الشهيرة • ويسألها فيرسن :

ــ يخيل الي انك تميلين الى ولي العهد ؟ • فتجيبه ضاحكة :

ــ ولي العهد السمين ؟ • كلا • ميلي كله الى التاج • ويتساءل فيرسن :

ــ اذن فهي جميلة ؟ • فترد عليه الفتاة :

ــ جميلة رائعة • ما رآها احد الا وقع في هواها • احترس ! • فسأراقب كل نظراتك اليها ياكونت فيرسن • ويجاوبها فيرسن :

ــ يا آنستي الظريفة • انني لم آت الى فرنسا لمطارحة زوجة ولي العهد الغرام •

ومع هذا •• ما ان رآها •• حتى وقع في هواها •

ولكنه • لم يبح بهذا الغرام لاحد حتى للمحبوبة نفسها • وهي •• ترى ماذا كان وقع جمال الفتى ذي النظرات الحالمة على قلبها ؟ • قالت لاحدى صديقاتها :

ــ أهو يحضر حفلاتنا كثيرا ؟ • قالت الصديقة :

ــ أجل يا صاحبة السمو • انه ملحق بالبلاط من اكبر اسر السويد • قالت الملكة :

ــ اوه ! • لابد ان يكون من أشرافها ايضا ؟ • أ •• انظريه فهو ينظر الي كثيرا ! •

ــ مولاتي • مامن احد لاينظر اليك ! •

— قدميه الي يا مدام لامارت ولكن في حرص • لا اريده ان يعلم انني طلبت منك هذا •

★ ★ ★

و •• قبل فيرسن يدها كأنه عابد في معبد ! •

ومن يومها ،وهو يتبعها أينما ذهبت • فاذا غاب لسبب او لاخر • تلفتت الاميرة ماري انطوانيت حولها في لهفة وترقب قائلة :

— أين الكونت فيرسن ؟ • لـ •• لماذا لا أراه ؟ •

وتظل مقطبة حتى يشرق نور جمال الفتى على دنياها • فتبتسم وتغدو حلوة المزاج ، رقيقة الكلمة والنظرة ايضا • ولاريب ان هناك من ارسل الى أبيه بقصة الغرام الجديد • فأرسل الاب اليه رسالة قال فيها :

— لا تعقد صداقات قد تفسد مستقبلك كتلك الصداقة التي لا نفع من ورائها بينك وبين احدى سيدات البلاط الفرنسي • لقد عزمت على ان ازوجك من احدى الاسر الانكليزية الشهيرة يا ولدي • عد الى السويد لننتهي من هذا الموضوع في أسرع وقت ممكن •

★ ★ ★

ولم يكن في استطاعته ان يعصي •

ولعل حب ماري انطوانيت قد تمكن من قلبه لايفلته • فعاد الفتى الى السويد • ورأى عروسه التي يرشحها له أبوه •

كانت ابنة السفير الانكليزي في السويد • كانت جميلة رقيقة مثقفة • ولم يكن اللقاء موفقا • فعاد الفتى الى فرنسا • وكتب الى اخته (صوفي) مكمن سره وكانت تقيم مع زوجها في النمسا • كتب اليها :

— الفتاة يا أختاه جميلة ولطيفة وذات مواهب كثيرة • وهي مثال الرقة

والظرف والكمال الخلقي ولكننا لم نتفق • لماذا ؟ •• لا أدري • قالت انها تريد ان تعيش في السويد وانها تفضل الزواج بواحد من اسرتها • حسنا • وهذه نهاية الامر كله يا أختاه • أعرف انه فاتني الكثير بعدم الزواج منها • وهذا رأي ابي أيضا ولكن • هذا هو قدرنا • سأعود الى باريس في الغد •

★ ★ ★

من المؤكد ••

انه لم يبذل أي جهد ليروق في عيني الفتاة الانكليزية • كان خيال ماري انطوانيت وذكريات بسماتها الرقيقة وكلماتها الحانية ، تبعده عن كل فتاة سواها •

ولكنه لم يبق كثيرا في باريس • فقد رشحه ولي العهد دون مبرر واضح ، للالتحاق بجيش لافايير الذي يقاتل مع الثوار في اميريكا • قالت له مدام لامبال صديقة زوجة ولي العهد وهو يستعد للرحيل :

— في استطاعتك ان ترفض السفر ياعزيزي كونت فيرسن • لكن فيرسن اكد لها انه قد اعطى صاحب السمو ولي العهد كلمته • فقالت له مدام لامبال :

— من المؤسف ان تهجر محبيك بهذه السرعة ياعزيزي • فرد عليها فيرسن

— سيدتي • لو أعلم ان لي محبين •• لما سافرت • ولكني غير واثق • سألته مدام لامبال قائلة :

— الم تحدثك محبوبتك مثلا عن حبها لك ؟ • قال فيرسن :
مشغولة عني بأكثر من ثلاثة وعشرين مليونا من المعجبين هم كل

الشعب الفرنسي • فردت عليه مدام لامبال مستغربة :

— ولكني اعرف انه ليس في قلبها غير شخص واحد هو الكونت فيرسن•

ورد فيرسن مؤكدا :

— ولكنها لم تذكر لي هذا ياسيدتي •

★ ★ ★

و •• سافر الى اميريكا •

ولكن كلمات مدام دي لامبال كانت تؤرقه • أهي تحبه حقا ؟ • ثم •• ما فائدة هذا الحب وجدواه وقد تزوجت في نهاية الامر الملك لويس السادس عشر وتوجا في كنيسة روتردام منذ اسابيع ؟ • عاد وفي ذهنه ان كل شيء وعدته به عيناه قد مات •

ولكنها • ما أن رأته حتى نسيت كل من حولها واسرعت تمسك بيديه الاثنتين أمام زوجها الملك وتقول له :

— لقد كنت اتتبع أخبارك في لهفة يا كونت و •• كذلك صاحب الجلالة الملك •

وعاد الحب كما كان •

وكتب سفير السويد الى مليكه غوستاف الثالث • وكان السفراء في تلك الايام يوافون ملوكهم بكل شيء • مـــن التحركـات العســكرية والسياسية ، الى ادق التفاصيل الخاصة لكبار الرعايا في الدولة المضـيفة • قال السفير في رسالته :

— أرى من واجبي ياصاحب الجلالة ان أقول لك ان الملكـــة مــاري انطوانيت • لاتدع فرصة لاتبدي فيها اعجابها بالكونت فيرســـن • اعتقد انها تحبه • واعتقد ايضا انه يبادلها نفس العاطفـة • وليســـ

عندي أي دليل على لقاءات سرية وقعت بينهما • ولكنه منذ ان عـاد من اميريكا وهو عضو ثابت في حاشيتها • يحسن ان نفعـل شـيئا ياصاحب الجلالة قبل ان تتطور الامور الى مالا يرضي احدا فقد بـدأ الهمس في القصر •

★ ★ ★

ولم يكن في استطاعة ملك السويد ان يفعل شيئا •

حين اوعز الى سفيره ان يطلب من الملك ابعاد فيرسـن • قـالت الملكة :

— انني ارى في الكونت فيرسن خير سفير لبلاده في فرنسا • فلماذا يريد صاحب الجلالة ملك السويد حرماننا منه ومن خدماته ؟ •
وسكت ملك السويد • ولم يتكلم ملك فرنسا •

وصارت الهمسات في القصر كلمات واضحة • ولعب الخيال دورا في اعطاء هذه العلاقة البريئة شكلا •• جعل من الكونت دي فيرسن أبغض رجل الى الشعب الفرنسي • كما كانت مدام دي لامبال وصيفة الملكـة أبغض امرأة اليه •

وكان لايفتأ يكتب الى اخته بتطورات علاقته بالملكة قال :

— اختاه • ستصلك شائعات كثيرة فلا تصدقيها • انني احبها • اجل • بل أنا على استعداد للتضحية بحياتي من أجلها • ولكني أشهد اللـه على ان شفتي لم تلمس منها غير ظهر يدها وأمام الجميع •
وكانت أخته صوفي تثق في عفته •

أشفقت عليه من هذا الحب العارم • ولكنها لم تستطع بالبعد عـن محبوبته • بل بالغت بأن طلبت منه في رسالة قالت فيها :

— اذا كنت قد حدثتها عني • فلعلها تعرف الان كم هي عزيزة علي وقريبة الى قلبي • كم أتوق الى ان تتكرم فترسل الي خصلة صغيرة من شعرها فأضعها في ايقونة لصق قلبي • انني أحب كل من تحب يا فيرسن •

★ ★ ★

وحين كلم فيرسن الملكة في طلب أخته ••

سارعت باجابتها اليه فرحة سعيدة • أرسل خصلة الشعر الذهبية الى اخته في رسالة قال فيها :

— اليك خصلة الشعر التي طلبتيها • لقد سعدت الملكة بطلبك • ابدت استعدادها لامدادك بخصلة اخرى اذا شئت • كم هي رقيقة وطيبة يا اختاه • لاتصدقي كل ما يقال عنها •

وحين ثارت فضيحة العقد المشهورة •

لعب فيرسن دورا واضحا في البحث عن مدبرةالحادث •• مدام لاموئت • بل كان هو الذي قبض عليها قبل هروبها الى انكلترا •

ورغم وضوح براءة الملكة في تلك القضية • فان الشعب الفرنسي لم يصدق بتلك البراءة وظل يحمل الملكة وصديقها فيرسن مسؤولية الاسراف المشين والعبث المروع بمال الشعب •

وحين بدت نذر الثورة • كان فيرسن هو المدبر الاول لحادث فرار الاسرة المالكة من باريس الى فارين • ولولا خطأ الملك •• لنجحت خطة الفرار الى خارج فرنسا • وحين عاد فيرسن يدبر من جديد أمر فرار الملكة • تنكر في هيئة حدائقي وتسلل الى غرفة الملكة وهمس في أذنها :

— كل شيء معد لفرارك ياصاحبة الجلالة • انها الفرصة الاخيرة •

فأجابته الملكة :

— لا أستطيع يا فيرسن . وتساءل فيرسن :

— لماذا ؟ .. بالله لماذا ؟ . فقالت له الملكة :

— هناك ولدي وبنتاي . ثم هناك زوجي الملك أيضا لا أستطيع أن أتنكر لهؤلاء جميعا وأفر بجلدي وحدي .

★ ● ★

وحين اكتشف أمر تسلله الى القصر . صار القبض على الكونت فيرسن هو مطلب الشعب الاول . ولكنه كان يحسن الاختفاء . وحين أعدم الملك وصدر الحكم على الملكة بالاعدام .. قام بآخر محاولة لانقاذها من سجن تامبل وفشلت المحاولة . وهرب فيرسن هذه المرة بعد اعدام الملكة .. فر الى السويد ومرت سبع عشر سنة ، وبلغ فيرسن في بلاده أقصى مراتب الشرف . صار المستشار الاول لملك السويد .

ولكنه ، لم يكن محبوبا من الشعب . صاح به أحد الناس ذات يوم وهو في موكب الملك :

— غادر السويد يافيرسن قبل ان تشعل هنا ثورة كالتي أشعلتها في فرنسا ! .

★ ★ ★

وكان من الممكن ان تمر الامور بلا تعقيدات كثيرة .

غير ان ولي العهد سقط ميتا اثناء احدى الحفلات وتناثرت الهمسات . قالوا :

— قتله فيرسن . وقال اخرون :

— انه يريد ان يخلو منصب ولي العهد كي يعود الملك غوستاف من المنفى من جديد . والبعض الاخر قال :

•

— لايجب ان يمر الحادث دون تحقيق •

واصر فيرسن على ان يكون بين مشيعي جنازة ولي العهد • ورغم انه وجد على فراشه في ذلك الصباح ورقة عليها تقول له :

— ايها التعس ! • اقرأ هذه الورقة وارتعد خوفا • اذا كان عنقــك الطويل الذي يحمل الرأس الخاوية قد نجا من المقصلة بباريس •• فثق من انه لن ينجو من بلطة الجلاد هنا • لست أنت فقط ، بــل واختك أيضا • هي التي دست السم بأمرك لولي العهد المسكين • سننتقم له ! •

★ ★ ★

وسار فيرسن في الجنازة بعربته الانيقة •

ورغم انه كان محاطا من كل ناحية بالحرس المدجج بالسلاح • فقد تجاسرت الجماهير على سبه وشتمه • صاحوا به :

— ايها الحقير ! • تقتل القتيل وتسير بجنازته ؟ • الموت لفيرسن ! •

ثم •• طار حجر وكسر زجاج العربة • ثم توالت الاحجار وأصيب في رأسه وسال دمه ولم يتدخل رجال الحرس لحمايته • فرأى فيرسن ان ينزل من عربته ويندس بين كبار المعزين ولكنهم اوقعوه ارضا واوسعوه ضربا بالايدي والاقدام والعصي • فصاح واستغاث :

— يا الهي ! • ماذا فعلت بحق السماء ؟ ! • انني بريء •• بريء ! •

لكن الجماهير صاحت به ثانية : مت ايها الحقير ! •• الى الجحيم بفيرسن ! •

★ ★ ★

وفر فيرسن الى مبنى قريب واغلق الباب خلفه • ولكنهم تبعوه •

قال للسيدة التي آوته :

— أخشى ان ينالك منهم شر • سأخرج اليهم • اني أعرف ان ساعتي قد اقتربت • وخرج لتتلقفه الايدي •

اوقعوه ارضا • وانهالوا عليه بالضرب المبرح •

مات ! • فمزقوا ثيابه وداروا بها في شوارع ستوكهولم ! •

ووجد أحدهم في جيب من جيوب صديريته ، ورقـة بخط ماري انطوانيت •• اخر رسالة منها اليه منذ سبعة عشر عاما • قالت الرسالة :

كل شيء يدفعني نحوك أيها العزيز •

وكان ذلك يا اخي القاريء في الخامس والعشرين من حزيران عام ١٨١٠ للميلاد •

لويس التاسع

الملك القديس

الملك الفرنسي الذي قاد حملتين صليبيتين فاشلتين .. الخامسة والثامنة .

في الخامسة ..

وقع وكبار رجال مملكته وزعماء فرسان المعبد (أسرى) . والقي بهم أذلاء مهانين في بيت القاضي ابن لقمان في المنصورة .

وفي الثامنة ..

وفي الثاني عشر من شهر آب عام ١٢٧٠ للميلاد . وأمام مدينة قرطاج في تونس .. لقي لويس حتفه .

★ ★ ★

بعد موته بعشرين عاما .. نصبوه قديسا ! .

لنستمع الى المؤرخ مولاريه يعبر عن اجماع المؤرخين الكاثوليك في ذلك العهد اذ يقول :

— كان موت القديس لويس بالطاعون أمام قلعة قرطاج في الثاني عشر من اغسطس (آب) عام ١٢٧٠ ضربة قاصمة لباقي الحملة الصليبية . فقد انهارت الروح بين الامراء وخاصة بين الدوق دانيال روب وبين الامير شارل والامير فيليب ولي العهد .

وعادت السفن الى فرنسا خائبة بعد ان تعدت الخسائر ثلاثة ارباع

عدد الذين أقلعوا منذ ثلاثة شهور من قولون قاصدين تونس • ودفن الملك في كنيسة سان رينيه في الثالث من اكتوبر عام ١٢٧٠ •

★ ★ ★

ولكن مؤرخا معاصرا هو برناند دستان يخرج على العالم بنظرية جديدة مثيرة ويقول :

— لم يدفن لويس التاسع في كنيسة سان رينيه • وان الجثة المدفونة في الكنيسة هي لاحد جنود الحملة الصليبية الثامنة ! • أما لويس التاسع فقد خرج عن المسيحية واعتنق الاسلام على يد احد المتصوفين التونسيين ودفن في تل قرية بيرسا قرب مدينة قرطاج في تونس • ولا يزال قبره حتى الان هناك ويعرفه الناس بوسعيد الباجي •

★ ★ ★

لم يطلق المؤرخ دستان رأيه دون دليل •

ولكن ، قبل أن ننظر في ذلك الدليل •• تعال معنا يا أخي القارىء في رحلة في جوف الزمن مكانها تل بيرسا قرب مدينة قرطاج في تونس • ووقتها الخامس من أغسطس عام ١٢٧٠ •

بعيدا عن معسكر الجيش الصليبي الذي يحاصر قرطاج ••

نلمح رجلا ضئيل الحجم يحمل ما عليه من درع وما في منطقته من سيف بجهد جهيد •• انه لويس التاسع الملقب بالقديس • يسمعنا ونحن نخاطبه بهذا اللقب فيلتفت الينا ويقول بسخرية :

— آه ! • قديس ؟•• أنا قديس ؟ • فنقول له :

— هكذا يسمونك بعد موتك • الى أين أنت ذاهب الان ياسيد لويس ؟•

قال :

— أ .. عندي موعد فوق التل مع رجل من فضلاء المسلمين يدعى الشيخ بوسعيد الباجي . قلت :

— عجيب ! . الذي أعرفه انك اشتهرت ببغضك الشديد للمسلمين ! . لقد كنت وراء ثلاث حملات صليبية على الاقل ؟ . قال :

— لاتلومني . فلكل خاطيء توبة . دعني الان فموعدي مع الشيخ الباجي قد اقترب . قلت له :

— لم أدعك قبل ان أعرف لماذا جئت في هذه الحملة الصليبية ياسيد لويس بعد هزيمتك المذلة في الحملة الخامسة وحبسك وأمراء جيشك في الحديد في بيت ابن لقمان بالمنصورة ؟ . أجاب ضاحكا :

— هه ! . تسألني لماذا ؟ . أقول : جئت هذه المرة لانتحر ! .

— ماذا ؟ .

— أجل . اردت ان أموت في عرض مثير على مسرح التاريخ دفاعا عن عقيدة المسيحية . ولعلي في الحقيقة ، اول ملك اوروبي لم يكن الاستعمار هدفه . كنت اريد ان أموت هذه المرة للخلاص من حياتي المريرة فكلها احباطات عائلية .

— تعني مارگريت زوجتك ؟ . قال :

— انك يا سيد فيما يبدو . تعرف الكثير عن حياتي . أجل . انها مارگريت .. التعسة ! .

— لقد تزوجتما عن حب جارف ياصاحب الجلالة ! . قال :

— كنت في الخامسة والثلاثين وهي في الخامسة عشر . اما الان . فهي في السادسة والثلاثين وانا .. هه ! .. أنا كما ترى .. عجوز مهدم ! . قلت :

— الحب الصادق يسمو على النزعات الجسدية يا صاحب الجلالة .

— فأجاب متسائلا :

— ومن قال لك ان مارگريت أحبتني حبا صادقا ؟ . قلنا له :

— مؤرخو الحملات الصليبية يقولون هذا . ثم .. أليست مارگريت هي التي جمعت الفدية لتدفعها الى السلطان توران شاره ليعيدك الى بلادك ؟ .

— لم اكن انا وحدي ياسيدي المقصود بالفدية . بل كان المقصود بها على وجه الخصوص رجلا من رجالي كان سجينا معي في دار ابن لقمان بالمنصورة .

— ومن ذاك ياصاحب الجلالة ؟ .

— صديقها الدوق دانيال روب ! . قلت :

— عجبا ! . تعرف ان روب هذا صديق زوجتك ومع ذلك تأتي به معك في هذه الحملة ايضا ؟ . الا يكفي أنه مرغ كرامتك في الوحل ايام حملة المنصورة ؟ . اجاب :

— كان لابد ان آتي به معي ولا أدعه معها في البيت . سألته :

— لماذا اذن تركته يفعل بك مافعل في المنصورة ؟ . قال :

— ظروفي السيئة ياسيد والحاح ماركريت وتدخلها الدائم في الامور العسكرية . وحين استولينا على دمياط في أوائل أيام الحملة . أردنا الانحدار في الدلتا للوصول الى القاهرة . عندها ابت مارگريت ان تسير معنا وقالت :

— سأبقى هنا للدفاع عن دمياط . فقلت لها (والكلام للملك) :

— ليس هذا عملك يا عزيزتي . مكانك بجانبي .. بجانب زوجك . أنا رجل مريض في حاجة الى عنايتك . لكنها ردت قائلة :

— حسنا . سأسير معك ولكن على شرط . قلت :

— وما ذاك ؟ . قالت :

ـــ ان تجعل من الدوق دانيال روب مستشارك العسكري الاول فيسير معنا .

ـــ ولكن يا عزيزتي هذا غير ممكن . فمستشاري الاول هو الكونت دارتوا وان نصف الجيش من رجاله . ثم .. ثم انني عينت روب حاكما على دمياط في غيابي . قالت :

ـــ اختر لك أحد الامرين يا لويس . اما ان ابقى في دمياط ادافع عنها مع الدوق روب او تجعله مستشارك فأسير معك في الحملة . ولما سألتها :

ـــ أي انك تريدين ان تكوني معه هو اينما كان وليس معي أنا ؟ . اجابت ماركريت :

ـــ انك تفسر الامور حسب هواك . كل مافي الامر انك تغار من روب ! .

* * *

ـــ وعلام استقر رأيك يومها يا صاحب الجلالة ؟ . قال الملك :

ـــ ارغمت روب على السير معنا وبقيت ماركريت في دمياط حين هددتها بأعادتها الى فرنسا . وحين هوجمنا في المنصورة والقي بنا في سجن دار ابن لقمان . لم تتحرك ماركريت لجمع الفدية التي طلبها السلطان توران شاه الا حين علمت ان روب معي في السجن وكانت تظنه قد مات في المعركة . هه ! . كانت تظنه مات . قلت :

ـــ المهم . انها اخرجتك من السجن يا صاحب الجلالة . قال جلالته :

ـــ والمهم عندها .. انها اخرجت روب والد طفلها . قلت للملك :

ـــ هذه تهمة خطيرة يا صاحب الجلالة . الست انت والد ولي عهدك فيليب ؟ . اجاب :

— فيليب ولدي منها ياسيد دون ريب • ولكنني أعني ولدها كريستان • قلت :

— كريستان ياصاحب الجلالة مقيد في السجلات بانه ولدك ؟ • اجاب الملك في تحد :

- انظر اليه جيدا ياسيد ! • سترى انه صورة طبق الاصل من الدوق دانيال روب ! •

★ ★ ★

لخطورة التهمة ••

رأينا ان نقطع حديثنا مع لويس التاسع لنسأل مارگريت عساها تقدم ما يمحو عن تاريخها تلك الوصمة البشعة • قالت مارگريت :

— لاتعليق عندي على هذا الاتهام • وسألناها :

— يقول احد مؤرخي زمانك ياسيدتي انك اعترفت لاحد القساوسة ببنوة كريستان لصاحبك روب • فماذا تقولين ؟ • قالت :

— لا تعليق • قلنا :

— بصراحة يا سيدتي • ماذا بينك وبين لويس ؟ • قالت مارگريت :

— بيني وبينه دانيال روب ياسيدي • وسألناها :

— ما معنى هذا بوضوح ؟ • قالت :

— ستعرف معنى هذا أذا تجاسر زوجي وأغتال روب في سجنه •

— وماذا يجعلك ياسيدتي تتوقعين من زوجك أ •• فعلة بشعة كهذه ؟•

— هذه مخاوف روب نفسه واعتقد انه على حق في مخاوفه •

— ماذا ستقولين للتاريخ ياترى اذا تحققت مخاوفك هذه ؟ • قالت الملكة :

— سأقول كل شيء • سأفضح لويس فاقد الرجولة ! • سأذكر اسم الاب الحقيقي لولدي كريستان ! •



وعدنا الى لويس عند تل قرية برسا بالقرب من حصون قرطـاجة .
وما ان رآني متجها اليه واقترابي منه حتى التفت وراءه وسألني :

— هاه ؟ . سألتها عن حقيقة كريستان ؟. قلت :

— دعنا من هذا الدنس ياسيد لويس . وخبرني عن سبب حضورك في هذه الحملة . لماذا اخترت تونس هذه المرة فقد كانت حملاتكم دائما على الشام ومصر ؟ . قال :

— لقد جربنا ياسيدي الغزو عن طريق الشرق فلم نفلح . أردنا هذه المرة ان نغزو الشرق الاسلامي عن طريق الغرب . كان البابا وهو الذي مول هذه الحملة يرى ان الاستيلاء على تونس سيمكننا مـــن السير شرقا للاستيلاء على مصر ثم على الشام . ولكن كل شيء صار على عكس ما توقعناه .
توقعنا ان يتمكن الامير بيبرص عن نصرة سلطان تونس المستنصـــر الحبشي فخابت توقعاتنا . فجيش بيبرص في الطريق الينا الان عبـــر برقة . توقعنا ان نستولي على ابار الماء حول قرطاجة فاذا بالمسلميـــن يطمون تلك الابار ويسممون اكثرها . توقعنا ان نحصل على تموين الجيش من مزارع تونس ، فاذا بجنود السلطان ينقلون كل المواشي الى اقصى الغرب . عضنا الجوع وأتلف العطش عزم الرجال وتفشى المرض فيهم . ومع الجوع والعطش والمرض وقع الشقاق .

— اذن . فأنتم تستعدون الان للعودة بعد فشل الحملة ياسيد لويس ؟ .

— هم الذين يستعدون للعودة ولست انا ياسيدي . قلت :

— ولكن انت قائدهم .. انت الملك . لماذا لاتريد العودة معهـــم ؟ .
اجاب لويس :

— ذلك لاني .. استعد لعودة من لون جديد ! . قلت :

— لا افهم والله ياسيد لويس • فأجاب وقال :
— ستفهم فيما بعد ! •

* * *

تركنا لويس وأوغل في التل •

تبعناه دون ان يشعر بنا • رأيناه يدخل خيمة على قمة التل • اقتربنا من بابها • نظرنا دون ان يرانا أحد •

رأينا منظرا لم نتوقعه •• رأينا لويس التاسع يتوظأ وشيخا وقورا يصب عليه الماء صبا هينا من ابريق فضي يشع نورا عجيبا • وقاما للصلاة • وحين انهيا صلاتهما • قال لويس للشيخ الوقور :

— اني متعب ومريض ياشيخ بوسعيد • ولكن قلبي مطمئن • قال له الشيخ :
— ذلك يا لويس لانك عرفت الحق وعدت الى دين الحق • فقال لويس :
— بودي لو أموت هنا ياشيخ بوسعيد • وسأله الشيخ :
— ما يدفعك الى ان تقول هذا يا لويس ؟ • فأجاب :
— لا ادري • بودي لو اموت الان •• هنا •• مكاني هذا ! • قال الشيخ :
— لا تتمن الموت يا أخي • لقد امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا تتمنى الموت ابدا • قال لويس :
— طاعة لامر الله ولامر رسول الله صلى الله عليه وسلم • ثم نادى لويس الشيخ بوسعيد :
— ياشيخ بوسعيد • اجاب الشيخ :
— نعم يا عزيزي لويس • قال له لويس :

— لقد كنت قبل ان اسلم على يديك ، جاهدا في اطفاء نور الحق • ماذا افعل لاكفر عن ذنوبي ؟ • ماذا افعل ليغفر الله لي ؟ • قال الشيخ :

— الاسلام يجز ماقبله يا اخي لويس • فقال :

— اخشى ان يعلم الجيش بأسلامي فيحبسوني ويقتلوني ياشيخ بوسعيد• قال بوسعيد :

— لن يعرفوا بأسلامك حتى تموت • ثم تنطلق روحك الى فراديس ربك لتوفي اجرك كما يوفي المسلمون الصالحون اجورهم عند ربهم • فرفع لويس يديه الى السماء وقال :

— اللهم ادخلني جنتك والحقني بالصالحين • ياشيخ بوسعيد •• هل ستقوم على دفني اذا حالت منيتي ؟ • اجابه بوسعيد :

— اجل • وبعدها ، سأذهب الى حيث لا يعرف مكاني احد • وسينظر الناس الى قبرك ياسيد لويس ويقولون :

— هنا • عاش الشيخ بوسعيد الباجي • وهنا •• مات • فرد لويس قائلا :

— لكن سيظنونه قبرك ياشيخ بوسعيد • فأجابه الشيخ :

— اجل • وستحمل اسمي منذ تلك الساعة الى يوم القيامة يا لويس • وسأله لويس :

— ماذا ؟ • احمل اسمك ؟ • قال الشيخ :

— اجل يا لويس • قال لويس :

— قم ياشيخ بوسعيد يا باجي فقد حانت صلاة المغرب • قم للصلاة !•

★ ★ ★

ومات لويس التاسع ••

في الثاني عشر من اغسطس عام ١٢٧٠ للميلاد •• في الخيمة •

وقام الشيخ بوسعيد على دفنه ، ثم انطلق الى حيث لايدري احد •

بحث الجيش الصليبي عن الملك • ثم ادركوا الحقيقة •

ارادوا نبش القبر ولكن السلطان المستنصر الحبشي هاجم جمعهم ذات ليلة واضطرهم الى الرجوع الى سفنهم فانطلقوا بها فارين الى البحر •

وعلى سفينة القيادة • اتفقوا على كذبتهم التاريخية وقالوا :

— مات لويس التاسع (القديس) بالحمى امام قرطاج • وهذه جثتـــه بعد ان غير ملامحها المرض !•



لم تكن الجثة التي حملوها الى كنيسة سان رينيه لتدفن دون ان يراها احد •• لم تكن غير احد جنود الحملة الصليبية الفاشلة •• على تونس •

هنري الرابع

الملك الذي قتله محام !

حين يسقط رئيس دولة تحت ضربات سفاح مجهول سواء نجح في محاولته الاجرامية او لم ينجح •• فعادة ما يتخذ التحقيق في الحادث وجهة يراد منها •• العثور على مساعديه في الجريمة او •• محرضيه عليها •

وهذا تقريبا ما حدث مثلا عند اغتيال كندي او عند الاعتداء على قداسة البابا يوحنا بولص الثاني • او محاولة اغتيال الرئيس الاميركي ريغان وكما حدث أيضا في محاولة فرانسوا رابياك اغتيال هنري الرابع ملك فرنسا في اليوم الثالث عشر من شهر ابريل عام ١٦١٠ •

يومها • اتجهت اصابع الاتهام ، الى الكثيرين من كبار رجال البلاط • بل •• الى الملكة ماري موديتشي نفسها ! •

فما هي الحقيقة وسط طوفان اوراق التحقيق التي أمتلأت بأقوال الجاني والشهود وغيرهم ممن حامت حولهم الشبهات ؟ • دعونا نرى الحادث اولا •

قال المنجمون :

— احذر يومي الحادي عشر والثاني عشر من مايو عام ١٦١٠ ياصاحب

الجلالة • بل قالوا له اكثر من ذلك واكثر تحديدا وأشد سوادا •
قالوا :
ــ ستكون ليلة الثاني عشر من مايو ، ليلة حزينة بالنسبة لـك أيهـا الملك •

* * *

طوال ليلة الحادي عشر وهو يبحث دون جدوى •• عن هدوء النفس وقرارها • كان يشعر بانقباض وضيق شديدين • كان يقول متأففا :
ــ آه ! احس كأن خنجرا قد اندس في حلقي ! • ويقطع قاعة العرش ذهابا وعودة •• مئات المرات •
وجاء يوم الثاني عشر ••
وكان الحزن هذه المرة • هو الاحساس الطاغي على نفس الملك هنري الرابع الذي قال :
ــ لو لم يطلعني المنجمون على ماكتب في قدري •• لما حزنت كل هذا الحزن • اعرف انه لم يبق انسان على وجه الارض وان لا أحد مخلد ولكن ، ان تعرف يوم وساعة ذهابك •• هذا هو المحزن •

* * *

وكان يوم جمعة •
وجاءه ولده (غير الشرعي) الامير وندوم وقال له :
ــ لا تخرج اليوم من القصر مهما كانت الاسباب يا صاحب الجلالـة •
ويرد عليه الملك متسائلا :
ــ لماذا ؟ • هل تشعر ما أشعر به يا ولدي ؟ • قال الامير :
ــ أجل ياصاحب الجلالة • لقد استشرت العراف بروس فقال انـك ستموت الليلة اذا غادرت القصر ! •

لكن الوالد رد على اقوال ولده ساخرا :

— هه ! • بت أسخر من أقوال العرافين والمنجمين • لا أحد أوتي هذه القدرة يا وندوم •• لا تصدق •

ويتوسل اليه ولده ان لا يخرج في تلك الليلة لكن دون جدوى • ثم يلتفت الى والدته الملكة طالبا منها ان تضم جهدها الى جهده في هذا السبيل • فأكدت له انها حاولت مرارا منعه من الخروج لكنه رفض وأصر على الخروج وهي لا تدري لماذا • وكلما حاولت الملكة ذلك ، رد عليها الملك :

— أنت تعرفين لماذا ؟ • لازور وزيري سالي • انه مريض وقد وعدته بزيارة وأنا اؤثر طرح الاشياء التي اريد الحديث معه فيها •

وعبثا حاولت الملكة هذه المرة أيضا منعه من ذلك • فرد عليها الملك قائلا :

— لا • لقد حددتها ولكني لن أخرج الان على اي حال •

★ ★ ★

ومرت ساعات الصباح •

وتناول الملك غداءه وسط عدد من السيدات وأشراف البلاط • اكل كثيرا • ولكنه كان ساهما قليل الكلام • حتى حين وقعت السكين •• فزع منها وقال فيما يشبه الصياح :

— بحق السماء ! • لماذا تصنع السكاكين من مادة كثيرة الجراح ؟ •

وترامق من حوله ولم يجدوا معنى للملاحظة غير القلق الذي استولى على الملك والخوف المفاجيء من النصل اللامع • وقام عن المائدة فـ •• استلقى على فراشه • وما ان رأته الملكة حتى قالت :

— لعله يريد ان يمضي بساعة من نعاس •

★ ★ ★

ولكنه •• لم ينم •

عاد الى المشي على طول وعرض القاعة • وسأل :

ـــ كم الساعة الان يا دوق أدنون ؟ • فأجابه :

ـــ الرابعة بعد الظهر يا صاحب الجلالة • فرد عليه الملك :

ـــ لا مفر من الخروج يا دوق • وتوسل اليه الدوق قائلا :

ـــ يا صاحب الجلالة • ماذا لو اجلت زيارة الوزير سولي ؟ • فأجابه الملك :

ـــ هل صدقت حقا انني ذاهب لزيارة سولي ؟ • لا ياصديقي • انني ذاهب لزيارة من هو أهم من سولي •

ـــ هل لي ان اسأل ياصاحب الجلالة صاحب الحظ السعيد ؟ •

ـــ انها ابنة الوزير يا دوق •• توليه الحسناء ذات الشعر الاحمر • لقد وعدتها بزيارة ولا أحب أن اخلف وعدي • أعتقد انني أحب الفتاة • فاذا لم اذهب ، ضاع اعتباري عندها • فقال له الدوق :

ـــ لو انها تحبك حقا يامولاي • لقبلت عذرك بعدم الخروج اذا شرحته لها فيما بعد •

ـــ عليك اللعنة يا ادنون • لماذا ترفع صوتك هكذا ؟ • الا تخاف من الملكة وما ستفعله بك اذا سمعتك تقول كلاما كهذا ؟ • قال الدوق :

ـــ آسف ياصاحب الجلالة • كل ما ارجوه هو أن تؤجل خروجك اليوم •

ـــ لا • لا ! • قل لهم يا دوق أن •• أن يعدوا عربتي وأريدها دون حرس ! •

ـــ دون حرس يا مولاي ؟ •

ـــ أجل • لا أحب أن •• الفت الي الانظار •

— كما تشاء يا صاحب الجلالة .

— ادنون ! . انتظر ! . لاتطلب منهم اعداد العربة .. لن أخرج .

★ ★ ★

مرات عديدة ..

يقرر فيهـا الخروج ، ثم يعدل في كل مرة . وأخيـــرا .. قـرر رأيه نهائيا . قال :

— حسنا . قل لهم يا دوق يعدوا العربة . سأخرج ولن اعدل عـــن رأي . هذه المرة .. كان قدره في انتظاره في الشارع .

غادرت العربة قصر اللوفر وقد جلس الملك فيها بين صديقيه دوق ادنون والكونت مونتازو . كان يقرأ مذكرة قدمها له مونتازو عن اقامـة قنطرة جديدة بأسمه على نهر السين . حين توقفت العربـــة في منتصـف الشارع ، صاح الملك بالحوذي لاپيير مستفسرا :

— لاپيير ! . لم توقفت العربة ؟ . اجاب لاپير :

— وقع تصادم بين عربتين يامولاي . أ .. احداهما تحمل الشعير . والثانية تحمل براميل من النبيذ .

ضحك الملك وقال :

— وطبعا يصر كل منهما على المرور أولا ؟ . وأستمر في الضحك . ورد عليه لاپيير :

— طبعا يامولاي . هل .. أخبر الناس ياصاحب الجلالة ان هذه هـي العربة الملكية ؟ . قال الملك :

— هذا هو الخطأ بعينه . دعهم يفضوا مشاكلهم ثم .. نتابع السير .

★ ★ ★

كل شيء حدث بعد ذلك بسرعة عجيبة .

اقترب القاتل فرانسوا رابياك من العربة . كان يتبعها منذ خرجت من اللوفر . صعد الدرجة التي توصله الى النافذة المفتوحة و .. طعن ! .

وصاح الملك :

— آخ .. آخ .. لقد جرحت ! .. آخ ! .

ورفع يده يحمي وجهه بطريقة لاشعورية . وطعنه القاتل مرة ثانية . غرس سكينه هذه المرة في القلب تماما ! . وسقط الملك بين ذراعي ادنون .. ميتا ! .

كانت الساعة الخامسة تماما .

نقلوا الجثمان الى اللوفر . أرادوا ان يخفوا النبأ . وتصرفوا بسرعة بناء على تعليمات الوزير الناشيء ريشيليه التي تنص على أن يسارعوا الى حماية قصر اللوفر بالمدفعية خشية أن يكون هدف هذه المؤامرة قلب نظام الحكم ومهاجمة قصر اللوفر والقضاء على الملكة وولي العهد أيضا . بينما ذهب مونتازو لحماية القناطر على نهر السين ومعه الدوق ريجيه واخفوا النبأ عن كثيرين . جاءت الملكة مولولة وصاح فيها مونتازو :

— يا صاحبة الجلالة . انه جرح بسيط ، اطمئني تماما . وتسأله الملكة باكية :

— لماذا اذن حاصرتم القصر بالمدفعية ؟ . ويرد مونتازو :

— هذه أوامر صاحب الجلالة الملك . لكن الملكة لم تقتنع بذلك وصاحت :

— مستحيل ! . ارجوك يامونتازو . لماذا تمنعني من الوقوف على حقيقة الامر ؟ .



و •• دفعته بشدة •

وشاهدت الملك يرقد على فراشه بوجه ميت شاحب • صاحت :

— القتلة ! • أهي مؤامرة على العرش ؟ • تكلم يا أدنون ! • ثم وقف ادنون وقال :

— لقد قبضنا على القاتل ياصاحبة الجلالة • اننا نجهل ابعاد الحادث • اتوسل اليك ان تمالكي نفسك • يجب اخفاء نبأ موت الملك حتى نعلنك أمام مجلس البلاط وصية على العرش • تلك أخطر لحظة يا صاحبة الجلالة لو فقدنا فيها رشدنا •• فقدنا كل شيء • فقالت له الملكة :

— افعل ماتراه مناسبا يادوق ادنون •

★ ★ ★

في التاسعة من مساء ذلك اليوم ••

انتشر النبأ في شوارع باريس • البعض منهم قال :

— قتلوا الملك هنري الرابع ! • واخرون قالوا :

— انهم الكاثوليك • واخر قال :

— لا • بل هو رجل وحده •

وتساءلوا فيما بينهم من يحكم الان ؟ • فجاءهم الجواب مؤكدا ان الملكة ماري موديتشي هي التي ستحكم بوصفها وصية على الملك الصغير لويس الثالث عشر • لكن البعض من هؤلاء لم يصدق • فقالوا انها اشاعة •• لنذهب الى اللوفر ونرى •

★ ★ ★

وذهبوا الى اللوفر •

وهناك • شاهدوا العلم منكسا • وأدركوا ان الملك الذي استطاع

خلال عشرين عاما ان يسير بالسفينة الفرنسية وسط أحقاد العقيدتين (الكاثوليكية والبروتستانتية) •• قد لقي حتفه •

والان • لنرى من هو القاتل فرنسوا رابياك ؟•

يقول رابياك عن نفسه :

— انني محام من مدينة انجيلين ياسيدي • أعترف انني قتلت الملك •

ونسأله :

— لماذا ؟ فيجيب :

— لانه يعادي البابا • قلنا :

— كيف وهو كاثوليكي ؟ • فأجاب :

— بل هو بروتستانتي ياسيدي • قلنا :

— كان ذلك • ولكنه غير عقيدته الى الكاثوليكية ياسيد رابياك بعد ان صار ملكا • بهذا وعد الملك هنري الثالث وهو على فراش الموت • وبهذا وفى • قال رابياك :

— هه ! • كانت تلك منه ، خدعة للوصول الى التاج • ولكنه ظل طيلة حياته يخدم البروتستانت على حساب الكاثوليكية • سألناه :

— وما دليلك ياسيد رابياك ؟ • فأجاب :

— هل تعرف قرارات نان عام ١٥٩٨ ياسيدي ؟ • قلنا :

— لا • فقال :

— هذه القرارات ، خاصة بالقيود التي وضعت على البروتستانت في فرنسا لممارسة طقوس العبادة • هه ! • حسنا • هذه القرارات ياسيدي • كانت تمنعهم بصريح النص من انشاء اية كنيسة او بيعة او دير على مسافة ٥٩ كيلو مترا من حدود باريس •

— فماذا حدث ياسيد رابياك ؟ • قال رابياك :

— الذي حدث • ان الملك وافق على الطلبات التي قدموها له استثناء من

هذه القيود • وقد بنيت الكنائس والبيع على مشارف باريس اخرها عند حي ابلون على مسافة كيلو متر واحد من حدود باريس • قلنا :

— أنت كاثوليكي طبعا ياسيد رابياك ؟ • قال :

— والحمدلله • وسألناه :

— أتحب ان يمنعك أحد من ممارسة طقوس عقيدتك في أي مكان ؟ • فأجاب :

— ياسيدي • الكاثوليكية ، هي العقيدة الحقة • وما سواها •• كفر صريح •

— وماذا أخذت على الملك أيضا ياسيد رابياك ؟ •

— سلوكه السياسي ياسيدي ، يتعارض مع سياسة قداسة البابا •

— كيف ؟ • قال رابياك :

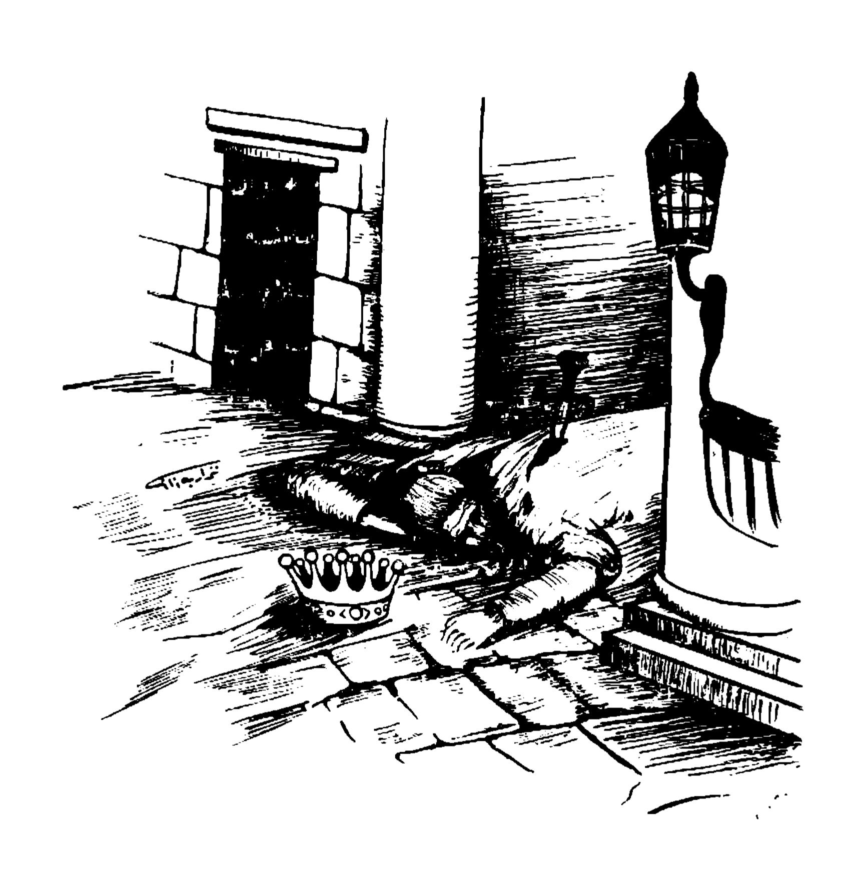
— انه يعقد معاهدات صداقة وتحالف مع هولندا ومع السويد وهما دولتان للبروتستانت ضد دولتين للكاثوليك هما النمسا وأسبانيا • لقد عزمت على قتل الملك منذ عام وأحمد الله على انني تمكنت اليوم من ذلك

★ ● ★

جرى التحقيق مع رابياك في سرية تامة • وتماسك طيلة الوقت بقوله :

— ليس لي شركاء ولم ابح بسري لاحد ولم يحرضني أحد على قتل الملك • لم تصلني تعليمات بهذا الشأن من البابا ولم اسافر قط الى روما ولم اقابل ابدا أي مندوب من طرف قداسة البابا •

واصدر الدوق ادنون الذي اشرف على التحقيق •• أصدر اوامره مشددة قال :



ملك فرنسا هنري الرابع

قتله محامي عندما كان الملك في طريقه لملاقاة احدى خليلاته خلسة !٠

— عذبوه أشد العذاب ليعترف على شركائه • ولكن • اياكم ان يموت اثناء العذاب • انه قوي كالثور ولا أحسبه سيموت الا بالحكم الذي سيصدر عليه •

★ ● ★

وعذب الرجل عذابا مروعا ! •

ظل هادئا لا يتأوه ولا يقول غير ماقال سابقا :

— ليس لي شركاء • ولم ابح بسري لاحد • ولم يحرضني أحد على قتل الملك • ولم تصلني تعليمات بهذا الشأن من البابا •

هددوه بان يقتلوا أمامه أمه وأباه • ولكنه ظل يردد ما قال دون ان يذكر في اعترافاته اسما واحدا يتلهف القضاة على سماعه •

وجاءت جلسة المحاكمة الاخيرة •

عذب أمام قضاته على عجلة تكسير الاعضاء وكف تماما عن الكلام فتلي عليه الحكم :

— الموت بالطريقة المبينة في أسفل هذا الحكم •

★ ● ★

ولنشهد كيف قتلوه ؟ •

أخذوه الى الساحة المواجهة لقصر اللوفر • استقبلته هناك صيحات الكراهية والحقد •

أرقدوه على الارض مقيدا • حرقوا بالرصاص المغلي يده التي طعنت بالسكين القتيل ثم قرضوا لحمه بمقاريض ملتهبة • وبعدها •• صبوا فوق جروحه الحية الدامية ، خليطا من الشمع المغلي والرصاص المذاب ! •

ولم يصرخ ! •

مع كل لونمن الوان العذاب يصب عليه .. كانت شتائم الغوغاء وسبابهم تصم الاذان . واقترب منه القس وقال له :

— اعترف على شركائك أباركك قبل موتك . لكن راباك رد قائلا :

— ليس لي من شركاء . ولكني لو كنت أعلم ان شعب فرنسا يحب الملك كل هذا الحب .. لما قتلته ! .

★ ● ★

ربطوا أطرافه الى اربعة جياد ، وأطلقوها ليعدو كل جواد الى ناحية حاملا في الحبل المعلق على سرجه .. طرفا من أطراف راباك ! .
ولكن هذا ايضا لم يجد شيئا . ولم تتمزق اطراف الرجل المسكين . فأمتطى ظهور الجياد ، اربعة رجال يستحثونها بالضرب الشديد على القيام بالمهمة الشيطانية . وسمعوه يقول :

— فعلت مافعلت .. من أجل العقيدة .

ثم ..

تحررت الجياد وانطلقت تعدو ، بعد ان صار المسكين ، أربعة اشلاء ممزقة .. دامية !! .

ميري ستيوارت ...

أجمل واقسى ملكة في الدنيا التي قطعت المقصلة رأسها !

زعموا ان مأساتها في أنها حرمت في طفولتها من ان تلعب وتلهو بما يحب الاطفال ان يلهوا ويلعبوا فأستعاضت في سن النضوج عما فاتهـا ، باللعب بالرجال وبالعروش فأنتهى بها هذا اللعب الخطر الى فأس الجلاد .. ميري ستيوارت .. ملكة سكوتلاندا .

زوجوها وهي في السادسة من عمرها بولي عهد فرنسا .. فرنسوا ابن الخامسة ! .

كان عليهما ان يلعبا لعبة العريس والعروس أمام الجميـع . أما في خلوتها . فقد كانت تخمش وجهه بأظافرها كلما اقترب منها . وكان يركلها بقدمه في بطنها كلما اقتربت منه . وحين مرض ولي العهد ، فلم يستطع يوما ان يهبها حبا كاملا . فعاشت متخمـة بالمجد كمملكة لفرنسا ووارثة لعرش سكوتلاندا ولكن محرومة من كل شيء يمت الى الحب بشيء . ثم مات ولي العهد بعد اعتلائه أريكة الملك وتركها عجوزا وهي بعد لم تتعد عامها الثامن عشر . ونراها يوم الخامس عشر من اوغسطس عام ١٥٦١ مستندة في اسى على مقدمة السفينة التي تحملها من فرنسا الى انكلترا . ويتقدم نحوها صديقها شارل ويقول لها :

— يا صاحبة الجلالة • ياصاحبة اجمل عينين في العالم كله • يا ملكة فؤادي •• هاتيني دقيقة واحدة من وقتك •

وترد عليه الملكة :

— لاتكن سفيها ياشارل • وأذكر ان على السفينة اكثر من رقيب •

ويتساءل شارل :

— وما يهمك من الرقباء ؟ • فرنسا ؟ • ها انت تغادرينها بعد ان مات زوجك الملك فرنسوا الثاني الذي تريدينه •• تريدين الحداد عليه • صحيح ان الثياب البيضاء تليق بأرملة ملكة ولكنك فيها أشبه بأجمل فراشة تطير في بساتين الغرام • وصاحت به الملكة :

— كف عن هذا يا شارل شاتيللا والا أمرت بالقائك في البحر • قال لها شارل :

— لو فعلت ذلك يامولاتي • لظللت اسبح وأسبح بجانب السفينة من الشاطيء الفرنسي حتى نصل الى شواطيء اسكتلندا ! • قالت له :

— وبالمناسبة ياشارل • أذكر انني ملكة سكوتلاندا • فلا تخاطبني الا بهذا اللقب والا •• اطعمني قساوسة سكوتلاندا من نيرانك • لن ترحم الكنيسة البروتستانتية ملكة كاثوليكية • ترى ، كيف سيستقبلونني ؟ • واجابها شارل :

— بالورود والرياحين يا مولاتي • قالت :

— هه ! • بل بالمؤامرات والدسائس يا شارل •

— في استطاعتك القضاء عليها جميعا أيتها الملكة • نظرة واحدة من عينيك تصوب الى أي متآمر ، تصعقه في الحال وتحيله محبا وافقا • هه ! •صحيح انني عندها سأشعر بالغيرة ولكني من فرط ثقتي من حبك لي سأتجلد وأبكي أحزاني شاعرا في وصف محاسنك وجمالك الفريد يامولاتي • قالت له الملكة :

— كن حذرا يا صديقي شارل • عليك ان تبقى في الظل • ثق انني (رغم حبي لك) لم اتورع عن الامر بنفيك اذا لاكت ألسنة قساوسة الكاثوليك سيرتك معي • قال لها شارل :

— سأكون حريصا ياميري • وصاحت فيه ميري :

— قل ياصاحب الجلالة ! • فقال ضاحكا :

— ياصاحبة الجلالة • قالت له الملكة :

— خذ الامر جدية يا شارل • انني قادمة على تجربة جديدة • لا أحد معي • لا رجال الكنيسة ولا أشراف البلاد ولا ابنة عمي الملكة اليزابيث ملكة انكلترا • الجميع لا يريدونني • وقد سعدوا جميعا بزواجي من ملك فرنسا • وظنت اليزابيث ان الطريق الى تاج سكوتلاندا هه ! •• صار ممهدا • ولكن موت زوجي ملك فرنسا قلب خططها في المهد •

— لا حق لها يامولاتي في تاج سكوتلاندا • ثم •• ثم انه تاج أبيك •

— لا احد يجاريني في هذا ياشارل • ولكنهم قادرون بدسائسهم على ان يؤلبوا الشعب علي •• يطردونني كما طردت من فرنسا • سيقولون له بألحاح كيف ترضى بملكة كاثوليكية وليست في سكوتلاندا كلها سوى ١٤٠٠ كاثوليكي وكنيسة كاثوليكية واحدة ؟ • اجابها شارل :

— ميري ! •• ميري • انك •••

وتقاطعه ميري بشدة قائلة :

— قلت لك الا تخاطبني بغير لقبي ! •

— أوه ! • أجل ياصاحبة الجلالة • أقول لو أنك سرت في شعبك سيرة عادلة دون ان تحاولي اعطاء الكاثوليك أية ميزات جديدة ودون ان تقربي اليك أشرافهم •• لما طعنوك من هذه الناحية • قالت له :

— صدقت ياشارل •• صدقت • لم أعط ابنة عمي اليزابيث الفرصة ابدا •• ابدا • والان ياشارل قل لهم ان يصعدوا لي فراشا على سطح السفينة •

— على السفينة يامولاتي ؟ •

— أجل • أريد أن ارى شواطىء بلادي سكوتلاندا قبل أي بحار على هذه السفينة •

— ولكني أخشى عليك يا مولاتي من جنيات البحر في الظلام وآه ! • ولكن اي ظلام ؟ • ان عينيك تضيئان البحر كله • نورهما يبدد اي ظلام ويجبر الليل على ان يذهب الى مملكته الابدية • اما حوريات البحر •• فسيشعرون بالغيرة من جمالك ولا يجسرن مع ذلك على الاقتراب منك لهالة القداسة فوق رأسك الجميل ! •

— أوه ياشارل !• قلت لك كف عن هذا الهراء وبالمناسبة •• فقد رأيتك اكثر من مرة ترامق وصيفاتي ! •

— ماذا ؟ • هل •• هل تغارين يامولاتي ؟ •

— ولم لا ؟ • ألم تقل في قصيدتك الاخيرة ان الغيرة أمرأة ؟ •

★ ● ★

وعلم الجميع ••

ان الفتى شاتيلا هو صديق الملكة الاخير • خاصة حين عينته مشرفا على القصر الذي نزلت فيه الملكة في ادنبره •• قصر هولي وود •

ولكن أحدا لم يجسر على أن يتكلم عن تلك العلاقة بشارل الا جيمس ستيوارت • الرجل الذي جلس على العرش نائبا عنها حين كانت الملكة في فرنسا • وجيمس هذا رجل غيور حقود لا حد لاطماعه • قال يوما للملكة :

— ياصاحبة الجلالة • لست وحدك صاحبة الحق في اختيار حاشيتك • ان لشعبك رأيا في هذا • وترد عليه الملكة قائلة :

— من تعني يا امير جيمس ؟ • ويجاوبها جيمس :

— مولاتي • هل نسيت انني كنت الملك في غيبتك ؟ • فتجاوبه الملكة :

— أجل كنت • هه ! • أما الان •• فأنا الملكة وأنت الامير جيمس ستيوارت ابن عمي من حقك ان تصبح وليا • وهذا ما سوف أعلنه للشعب • ولكن ليس من حقك أن تقترح علي أصدقائي ورجال حاشيتي •

— ليس هذا رأيي ياصاحبة الجلالة • وسألته :

— رأي من اذن ياجيمس ؟ • فأجاب جيمس :

— رأي رجال الكنيسة البروتستانت ! •• رأي تسعة وتسعين في المئة من شعبك يا صاحبة الجلالة • وعليك أن تبذلي جهدك لارضاء هذه الاغلبية والا قالوا انك ضالعة مع الكاثوليك ! •

— لم يقل هذا احد سواك يا جيمس • ومن يجد في نفسه الشجاعة على ان يتكلم فباب قصري مفتوح له • وأعلم ياسيدي • ان في استطاعتي ان اتزوج وانجب وليا فتحرم من ولاية العهد أيضا • قال جيمس :

— انا اول المرشحين للزواج منك يامولاتي • وهذا رأي كبير الاساقفة البروتستانت •

— يا أمير جيمس ! • يخيل الي انك تزج كثيرا بهذه الخلافات العقائدية كي ترغمني في ساعة غضب على ان اقول مالايرضي أصدقاءك • حسنا • قل لكبير الاساقفة البروتستانت انني كاثوليكية

ولن اتزوج سوى أمير كاثوليكي • والان • ها قد ظفرت بما تريد • اذهب وأملأ الدنيا صراخا ! •

★ ★ ★

وتربص بها ولي العهد منذ تلك المقابلة العاصفة •

وكان يعيش في الجناح المقابل لجناحها في القصر ، فرأى الفتى شارل شاتيللا يدخل اليها ليلة فعزم على ان يقضي الليل ساهرا ومعه عدد من اصدقائه ليقرروا امام الاسقف نوكس عدوها البروتستانتي اللدود انهم شاهدوا الفتى العاشق يغادر مخدعها • وما ان دخل شارل الى جناح الملكة حتى صاحت به :

— أوه يا شارل ! • انك لم تلتزم الحذر حين جئتني الليلة • انا على ثقة من ان الامير جيمس ستيوارت قد شاهدك وانت تدخل جناحي •

ورد عليها الفتى :

— لالا • لم يرني احد • فقالت له الملكة :

— حسنا • ابق هنا حتى اخرج وأرى من يتصنت علينا • وسألها الفتى :

— ما هذه الوسوسة يا حبيبة القلب ؟ • ليست هذه اول مرة آتيك بها ليلا •

فقالت له الملكة :

— انك غير حريص ياشارل ولقد حذرتك • وانه لن يجدني أي هم اذا صار الصراع بينك وبين جيمس علنيا • فقال لها الفتى شارل :

— تزوجينيياميري •• تزوجيني لنقطع بهذا الزواج كل الالسنة •

ضحكت ميري وقالت :

ــ هه ! • أتزوج من كان أبوه خائن عهدي ؟ • فقال لها :

ــ امنحيني لقبا يامولاتي • قالت :

ــ الالقاب ياعزيزي شارل لا تغير لون الدم • قال شارل :

ــ يكفيني حبك اذن ! • فقالت له :

ــ انتظر لحظة ياشارل حتى أرى ماذا هناك • يخيل الي ان جيمس يحدث احدى وصيفاتي •

★ ★ ★

وتسللت الملكة الى الردهة دون ان يراها أحد •

وسمعت الحوار الذي يدور بين جيمس وبين وصيفتها فيما يشبه الهمس • سمعت الامير جيمس يقول لوصيفتها : هل انت واثقة من ان شارل معها بالمخدع ؟ • فتجيبه الوصيفة قائلة : كل الثقة ياصاحب السمو والا لما تسللت اليك • ويسألها الامير ثانية : وهل تعتقدين انه جاء ليبقى ؟• فترد عليه الوصيفة بالايجاب •

وفي سؤال اخر وجهه الامير الى الوصيفة قال فيه :

ــ لعله يريد ان يحدثها في أمور ميراثها من فرنسا ؟ • بدليل ان شارل سافر منذ اسابيع الى باريس وعاد منذ ايام • وسألته الوصيفة :

ــ تحدثه بالميراث عند منتصف الليل ياصاحب السمو ؟ • لقد طلبت منه ان يتفقا على موعد غرام ! •

ــ لقد وقعت الملكة في يدي هذه المرة • لن أنسى مكافأتك ياعزيزتي •

ــ أ •• لقد وعدتني بضيعة مناسبة ياصاحب السمو • ضحك الامير وقال :

ــ سوف أترك لك الضيعة التي وهبتها الملكة لعشيقها • انها لك يوم يقتلها شعب سكوتلاندا او •• ترضى بي زوجا لها •



باعتها الوصيفة اذن ! .

وكان على الملكة أن تتصرف بسرعة وحكمة . ما أن عادت الى المخدع حتى شدت انشوطة الجرس مرات وفي عصبية زائدة . سألها شارل : ما معنى هذا يا ميري ؟ . لماذا تستدعين الوصيفات ؟ . اجابته الملكة :

— اني آسفة ياعزيزي . لقد حذرتك ولكنك كنت دائما شديد الحمق والتهور . وسألها :

— لكن . لماذا جذبت انشوطة الجرس يامولاتي ؟. قالت :

— سترى حالا لماذا . بعدها .. طرقت الملكة الباب مرات ثم .. نادت على الحراس . صاحت فيهم :

— ايها الحراس ! . اقبضوا على هذا الفتى . وسألها شارل في دهشة :

— ماذا ؟ . يقبضون علي ؟ . فردت عليه الملكة قائلة :

— ماذا تتوقع اذن ؟ . كيف جسرت على ان تدخل مخدعي في غيبتي وتختبيء تحت فراشي ؟ هذه جريمة عقوبتها الموت ! . وتوسل اليها شارل وهو يقول :

— ياصاحبة الجلالة . انا لا .. لا .. لست أفهم . لكن الملكة لم تأبه بتوسلاته وطلبت الى الحراس ثانية أن يأخذوه ! .

★ ★ ★

وفي اليوم التالي ..

ودون ان ترتعش الريشة في يدها .. وقعت على حكم الاعدام .. اعدام عشيقها شارل شاتيللا لتنجو بنفسها من الفخ الذي نصبه لها ولي عهدها ! .



ميري ستيوارت ٠٠ اجمل واقسى ملكة في الدنيا
قادتها جرائمها الى بلطة الجلاد !

في فناء القصر • اعدوا السيف والنطع • وقبل ان يضع الفتى رأسه على المقصلة • نظر طويلا الى شرفتها • تمنى ان يراها للمرة الاخيرة • ارتدت الملكة ثوبها الاسود •• الثوب الذي ارتدته ذات يوم حدادا على زوجها ملك فرنسا ، وخرجت الى الشرفة •

نظر شارل اليها طويلا • وارتسمت على وجهه اخر ابتسامة له في العالم وصاح :

— وداعا •• وداعا يا أجمل وأقسى ملكة في الدنيا ! • ثم •• هوى سيف الجلاد ! •

بعدها بأيام ••

جاءها الكاردينال نوكس البروتستانتي وعدوها اللدود • جاءها يحمل ورقة طويلة عليها توقيع كل رجال الدين في سكوتلاندا • وقرأت الملكة مابها • وما ان رأت الطلبَ حتى علقت عليه قائلة :

— انكم تطلبون الي ان اتزوج • وترشحون لي الامير جيمس ستيوارت • ولست ادري كيف تطلبون مني ان اتزوج رجلا يعتبر من محارمي طبقا للعقيدة الكاثوليكية التي ادين بها • حسنا • سأتزوج ولكن لن يكون جيمس ستيوارت هو الزوج • واذا كان لكم مرشحكم ويكون لابنة عمي الملكة اليزابيث ملكة انكلترا مرشحها •• فأن لي انا الاخرى مرشحي • انه اللورد هنري دارلي • وانا الملكة ايها السادة • وكلمتي هي النافذة • الى اللقاء ياكاردينال نوكس •



وبدأ الصراع الرهيب •

الذي شغل من سجل التاريخ صفحات وصفحات • والذي انتهى

بسقوط رأس اجمل ملكة في تاريخ اوروبا • واستؤنف الصراع هذه المرة ملتهبا •

هذه المرة •• حول ضرورة زواج الملكة باحد المرشحين •

اما الاسقف نوكس • فيساند ابن عمها جيمس ويقول :

— انها تدعي بأني بروتستانتي • وان عقيدتها الكاثوليكية تمنعها من الزواج من المحارم • حسنا لتغير عقيدتها الى البروتستانتية فترضى بذلك الشعب كله ويبقى التاج في ذرية آل ستيوارت •

ودون خوف او وجل • ذهب اليها في قصرها كصوت يوحنا الصائح في البرية وقال :

— ايتها السيدة • استمعي الى صوت الله على لساني • واذا رفضت ان تصاعي لاوامر الرب المقدسة • فالنار الابدية هي مثواك • عودي الى حضيرة البروتستانتية ولا تستسلمي لنزعات الشيطان يهمس في اذنيك كردنال نوتردام الفرنسي • الشعب يريد جيمس ستيوارت زوجا لك •

★ ● ★

وتدعه الملكة في صراخه وتغادر القاعة وهي تقول لياورها :

— قدم لقداسة الاسقف كأسا من النبيذ الذي يعشقه ولا يكف عن شربه مع صاحبه الامير جيمس وقرب منه هذا المقعد فأني اخشى ان تعاوده نوبات الصرع ! •

اما اليزابيث ملكة انكلترا ابنة عمها التي تنافسها في الغيرة والطموح في التاجين •• تاج سكوتلاندا وتاج انكلترا • واما اليزابيث هذه الطاغية الباهرة الذكاء • فلها مرشح ثان • ويومها قالت اليزابيث لدارلي :

ـــ معي الان اللورد كلودستر • انه نموذج الفتى الذي تعشقه ميـري ابنة العم •• تناسق وحسن وجه وشجاعة • رغم انه يحبها • لقـــد كتب اليها بذلك وعسى انني اريد في النهاية ان اضم تاج سكوتلاندا الى تاج انكلترا • هكذا كان من قديم الزمان •• تاجا واحدا ولـن يحقق هدفي هذا الا روبرت دارلي • سيشغلها بجماله ورجولتـه عن كياسة • فيخلو لي الجو •

★ ● ★

ولم تكن الملكة ميري غافلة عن مشروعات ابنـة عمهـا الطمـــوح اليزابيث •

كانت الغيرة النسوية تفسد مابين بنتي العم من علاقات الدم والقرابة •

قالت ذات يوم :

ـــ صحيح ان روبرت دارلي فتى رشيق جميل شجاع • ولقد غازلنـي مرات فأستجبت لغزله • وادركت كم هو رائع كزوج وصـديق • ولكنه العوبة في يد اليزابيث وقد كان خليلها في يوم من الايام فهـل آخذ نفاية اليزابيث ؟ • ثم •• كيف ترضى هذه المأفونة ان يجلس على عرش سكوتلاندا من كان أبوه سائس خيول في حضائر ابي ؟•

وأعلنت الملكة قرارها •

وظهرت في اكثر من حفل ويدها في يد الفتى الجميـــل • وثـــار لاسقف نوكس • ولم يعد له من نفحة في عظاته غير نغمة نار جهنم التـي لتهم الخاطئات اللاتي يقدن عصيان البروتستانت • بينما أوعزت الملكـة ميري الى قساوسة الكاثوليك لتركيز عظاتهم على خطيئة الزواج بالمحارم حيث قالت :

— لاشيء يمنعني من تحقيق رغبتي في الزواج من هنري دارلي الذي أحبه • لا نيران الجحيم الذي يتأجج في رأس الاسقف نوكس وحده • ولا تهديدات ابنة العم اليزابيث الخفية بمهاجمة الحدود • ولا مؤامرات ابن العم جيمس ستيوارت ولي العهد • ورغم هذا ، فقد آثرت التريث •

هنا • ظهر على المسرح المغني الايطالي ديفيد ريكو •

قدم عرضا أمام الملكة و •• سرعان ما قفز درجات الحضوة عند ميري المحبة للفنون • ولم يكن ريكو انيقا جميلا • ولكنه كان يحسن الملق ويجيد السهام ويعرف اتجاهات الريح وكيف يفيد من هبوبها • وعينته سكرتيرا خاصا • عندها قال ريكو :

— مولاتي • اتسمحين لخادمك المتواضع أن يتقدم نحو أعتاب جلالتك برأي قد يحل هذه الازمة التي يثيرها اللعين نوكس ؟• ضحكت الملكة وقالت :

— قل ما لديك ياعزيزي ريكو • فمن مهام وظيفتك الجديدة ان تقدم لي النصيحة والمشورة حتى ولو لم أطلبها منك • عندها تكلم ريكو فقال :

— أ •• لقد طال ترددك في شأن الزواج من لورد دارلي • انك تحبيه يامولاتي وليس من مصلحة البلاد تأخير الزواج • سيجد خصومك الفرصة لافساد الامر كله •
فأجابته الملكة :

— وكيف أتزوجه يا ريكو والشعب كله وراء الاسقف اللعين ؟ • قال ريكو :

— ليكن زواجا سريا • فاذا شاع أمره ، تبين رأي الشعب فيه • واذا

استنكر . فما اسهل ان ينكر حديث الزواج . واذا سكت .. اعلناه صراحة .

★ ★ ★

ووافقت الملكة على فكرة سكرتيرها الايطالي الذكي .

وعقدت قرانها سرا على هنري دارلي في قصر ستانلي على يد قس كاثوليكي .

وتوالت على العريس الالقاب والضياع .. الكونت بروس .. لورد آرميناك .. دوق أوف البانيا .

ولكن العريس . كان يطمح في لقب آخر .. اللقب الذي من اجله قبل الزواج من ميري ستيوارت . سألها يوما :

— متى تعلنينني ملكا يا ميري ؟ . قالت :

— حين نعلن الزواج السري يا حبيبي . قال :

— لكن ذلك غدا لماذا نخاف ؟ . أنا كفيل بالقضاء على المعارضة . واذا رغبت أن أعهد الى أصدقائي بأغتيال نوكس .. لفعلت على الفور .

وأجابته الملكة :

— لالا . دعنا لا نبدأ زواجنا السعيد بالدم . فقال لها :

— لي رجاء ياحبيبتي . واجابته الملكة :

— رجاؤك أمر ياحبيبي . قال الحبيب :

— هذا اللعين الايطالي ريكو . لا أريد ان اراه في القصر . فقالت له ميري :

— ولكنه سكرتيري الخاص . فأجابها :

— قد تتطور وظيفته الى مالا يحب الزوج . انا لا أحب الخيانة يا ميري ؟ .

ـــ اي قول هذا الذي تقوله يا دارلي ؟ • ايخطر ببالك ان ريكو عشيقي مثلا؟ •

قال دارلي :

ـــ لوتيقنت من هذا •• لقتلته • وسألته الملكة :

ـــ لماذا تتحدث كثيرا عن الدماء والخيانة ياحبيبتي ؟ • اهذا لانك جبلت على الخيانة واستبحت الدماء •

فأجاب :

ـــ ياحبيبتي • دعينا لانبدأ حياتنا بالمشاجرات • وسألها دارلي :

ـــ اذن فما يخافك من اعلان الزواج لاحصل رسميا على لقب الملك ؟ •

قالت ميري :

ـــ تمنعني نفس الاسباب التي عجلت بزواجنا السري • صبرا ياحبيبي ، قليلا من الصبر •• ويتحقق لك بعده كل شيء •

★ ★ ★

وقضيا ليلة الزفاف في غرفتين منفصلتين •

وحين سألتها وصيفتها عن ذلك • قالت :

ـــ اردت أن يعلم الجميع في القصر ان زواجي بدارلي لم يكن لرغبات جسدية كما سوف يزعم الاسقف نوكس • فقالت لها الوصيفة :

ـــ اذن يامولاتي • اننا جميعا نريد ان يكون لك طفل يغدو وليا للعهد ويقصي عدوك اللدود جيمس ستيوارت عن العرش • قالت ميري :

ـــ سوف أزيل الستار الفاصل ياعزيزتي مابين الغرفتين ، حين أجد الوقت مناسبا •



يزعم بعض المؤرخين ..

ان حب ميري للايطالي ريكو ، كان وراء هجرانها فراش الزوج السري الذي لم يرض بالموقف المشين الا املا في اللقب المرموق .. لقب الملك زوج الملكة .

وحتى قبل اعلان ذلك الزواج السري ، أخذ الزوج يتصرف وكأنه الملك ، جمع حوله ثلة من الاشراف الافاقين البارعين في حبك المؤامرات واللعب بالسيف ، وبدأ يتدخل في شؤون الدولة غير آبه باعتراضات ميري ، ثم .. شرع يوجه لها الاتهامات علنا امام وصيفاتها ، قال لها ذات يوم :

— لقد رأيت الايطالي اللعين يغادر مخدعك أمس ! ، وردت ميري محتجة :

— أنت كاذب يا هنري دارلي ، فالايطالي ريكو سافر الى روما منذ يومين في مهمة خاصة ، أشهدن أيتها الوصيفات ان زوجي لورد دارلي اتهمني اليوم اتهاما باطلا ، فأجابها هنري :

— هذا لايمنع انه يتردد على مخدعك في غيابي ، ولسوف أضع حدا لذلك .

★ ★ ★

وأعد هنري خطته مع زملائه الاشراف ، (الاشرار) للقضاء على كل انصار ميري في القصر .

اجتمع سرا مع نوكس أسقف ادنبرة وقال له :

— اني لا أخشى الايطالي ريكو كما اخشى اللورد بودويل عمدة ادنبرة ، انه كان كاثوليكيا مثلها ، ولقد رأيته يتردد على القصر

مرارا ويختلي بالملكة ولا يحضر اجتماعها سوى ريكو • فأجابه القس نوكس :

— الله لا يرضى عن الخنى • اضرب ضربتك يا لورد دارلي • اقض على اعدائك جميعا ويد الله معك • فأجابه اللورد :

— ياقداسة الاسقف • لاتنس انني كاثوليكي مثل ميري ومثل ريكو وبودويل ايضا • واخشى اذا اكتشفت قداسة بابا روما ان لي يدا في مصرع هؤلاء •• ان يحرمني من بركات الكنيسة •

— فأدخل اذن وقر عندها بالعقيدة البروتستنتية • قال نوكس :

— هل ستساعدنا يا لورد اذا قتلنا بودويل وريكو وبقية انصار الملكة ؟• فقال دارلي :

— بل سأساندك حتى اذا قتلت الملكة نفسها • قال :

— لا ياسيدي • ان موت الملكة يفقدني العرش وينقله تلقائيا الى صديقك ولي العهد الحالي •

— حسنا • اقض على الجميع عدا الملكة • عندها لم تملك الملكة وقد صارت وحيدة بين اعدائها الا ان تخضع لرغباتنا •

— الى ليلة الغد اذن • ويجب ان يكون معنا ولي العهد • لن اتحرك ويتحرك رجالي نحو القصر •• الا اذا كان ولي العهد الامير جيمس في صحبتنا •

★ ★ ★

مساء السبت • التاسع من مارت عام ١٥٦٦

وبينما الملكة في غرفتها ومعها بعض خاصتها ووصيفاتها وسكرتيرها الايطالي ريكو • اقتحم الغرفة زوجها دارلي وعن يمينه ويساره بقية المتآمرين وفيهم ولي العهد • تقدم الى الملكة وقال لها :

ـــ هل تناولت عشاءك ياسيدتي ؟ • ان لي حديثا معك • وليبادر هؤلاء جميعا بالخروج في صحبة أصدقائي • فقالت الملكة :

ـــ لا • لا يغادر أحد الغرفة • ماذا تريد يا لورد دارلي ؟ • وسألهـــا دارلي :

ـــ أين اللورد نوكس ؟ فأجابته الملكة :

ـــ لو كان هنا ياسيدي ، لما جسرت على ترديد السؤال • فقال لها :

ـــ حسنا • سمعت أين هو • والان ايها الايطالي أخرج مع اصحابي • انهم يريدونك في أمر هام • وصاح الايطالي :

ـــ مولاتي ! •• مولاتي ! • أتوسل اليك • انهم يريدون قتلي • فردت عليه الملكة :

ـــ لا تخف يا ريكو • لا أحد يجسر على أن يمسك بشر • فصاح بها دارلي :

ـــ دعيه يغادر الغرفة مع أصحابي يا ميري • هيا ايها الرجل اخرج ! • لكن الملكة منعته من الخروج وقالت له :

ـــ لاتغادر الغرفة ياريكو انك في حمايتي •

★ ★ ★

وانكمش ريكو المسكين عند قدمي الملكة وتشبث بثوبها •

وهوى السيف على يده فقطعها ولوث الدم ثوبها الابيض • ثم •• سحبوا المسكين الى خارج الغرفة عنوة وأخذ يصيح :

ـــ العدل •• العدل أيها السادة •• العدل • لاتقتلوني •• لاتقتلوني ! وقتلوا ريكو ! •

وأسرع بعض أصدقاء الملكة فدقوا اجراس كنيسة القصر • فهـرع الناس الى الساحة المواجهة • وخرج لهم دارلي وقال :

— الملكة بخير .. بخير . وهي تدعوكم الى السكون والعودة الـــى بيوتكم .

★ ★ ★

حبسوا الملكة في غرفتها .

وانطلق الى قصر بودويل عمدة ادنبرة نصير الملكة القوي . ولكن الطير كان قد غادر العش الدافىء استعدادا لمعركة مكشوفة مع اعدائــه واعـداء حبيبته الملكة ميري . فقد كان بودويل هو صديقها الحقيقي وليس المسكين ريكو المظلوم . وكان يقول دائما :

— يجب ان نفكر اولا في انقاذ الملكة من براثنه . انه يريد ان يحتفظ بها سجينة في القصر بأدنبره كي يرغمها على ان تعلنه ملكا بجانبها على العرش . فقالوا له :

— ان الملكة يا لورد بودويل أقوى من ان تخضع للتهديد . فرد عليهم بودويل قائلا :

— لهذا ارى ان نجمع رجالنا ونهاجم ادنبره ونستولي عليها بعد ان نهزم جيش دارويل ومؤيده الاسقف نوكس . قالوا له :

— لكن ليست هذه بالخطوة المثلى يا[illegible]دويل . فرد عليهم قائلا :

— أتعرفون ماذا سأفعل ؟ . انني عمدة ادنبره وسأعود غدا الـى مقـر عملي . قالوا له :

— هذا هو الحمق بعينه يالورد بودويل . أتعرض عنقــك لســيف الجلاد ؟ . فأجاب :

— لم يجسر أحد على المساس بي . وهم يعرفـون علاقاتـي الطيبـة بالملكة اليزابيث ملكة انكلترا . هناك في ادنبره . أستطيع ان اقابـل الملكة في قصرها ولن يجسر دارلي على منعي من مقابلتها والا لكان

ذلك اعترافا بأنه يسجن ملكة البلاد وهي جريمة لا عقوبة لهـا الا الاعدام وحتى عدوتها اليزابيث ستدافع عنها كأنها تدافع عن نفسها •
ولا تنس ياسيدي ان الملوك يتعاونون دائما ساعة الخطر •

★ ● ★

وعاد بودويل الىا نكلترا •

ولم يجسر دارلي على ان يمنعه من مقابلة الملكة • قال له :

— انها في شهر حملها التاسع يا بودويل فلا تطل المقابلة • وانني احملك مسؤولية أي خطر يتهدد حياة الملكة بسبب المشاكل التي تثيرهـا عادة • وأجابه بودويل :

— ياصاحب الفخامة انني ••• فقاطعه الملك وقال له :

— صاحب الجلالة يا بودويل ! •• صاحب الجلالة ! • أ •• أنا الان الملك ! • ورد عليه بودويل :

— تعني زوج الملكة ياصاحب الفخامة ؟ • اننا لا نخاطب غير الجالس على العرش بكلمتي صاحب الجلالة •
وقابل الملكة •

★ ● ★

يعتقد المؤرخون •

ان المؤامرة التي أدت بحياة هنري دارلي •• حيكت خيوطها في تلك المقابلة الخاصة • ورغم ان ميري كانت في آلام المخاض • فيبـدو انهـا وافقت دون تحفظ على تفصيلات الخطة المروعة • وقبل ان يغادر بودويل القصر ، وضعت الملكة وليدها •

وحين همس دارلي للطبيب بقوله :

ـــ الا تراه يادكتور أقرب الناس شبها بالايطالي ريكو ؟ • عندها سمعته الملكة فصاحت به :

ـــ لقد سمعتك يادارلي ! • حسنا • ليسمعني الجميع وانت والحاضرون جميعا وفيهم لورد بودويل • انني احتج أمامهم وأمام الله على هذا الاتهام البشع الذي يوجهه الي زوجي • ان هذا الطفل ياسيدي • هو ابنك • وليشهد الله على ذلك • انه ابنك يا دارلي الذي سيرث يوما ليس تاج سكوتلاندا فحسب • بل تاج انكلترا أيضا •

ويسألها الزوج مستغربا :

ـــ ماذا ؟ • تاج انكلترا أيضا ؟ • وأين ستذهب اليزابيث ابنة عمك ؟ •

فردت عليه الملكة قائلة :

ـــ اذكر ياسيدي • ان البلدين كانا دائما تحت تاج واحد هو تاج ابي •

فيقول لها الزوج :

ـــ لا تغضبي ياعزيزتي • وارجو ان تصفحي عني •

عندها ، استدارت الملكة نحوه وقالت له بالحرف الواحد :

ـــ اسمع يادارلي • لقد غفرت كل أخطائك معي ولكنني لا أستطيع ان أنساها ! •

★ ★ ★

لوكان دارلي ذكيا ••

لادرك التهديد المروع في جملتها الاخيرة • ولكنه كان شديد السعادة بالوليد الجديد ابنه الذي سيرث العرش •قال ذات يوم :

ـــ ما اسهل ان ادبر للملكة حادثا صغيرا تذهب فيه الى الجحيم ويصبح هوالوصي على ابنه الملك الطفل • ولكن الملكة ميري لم تمهله • أمرت بودويل ورجاله ان يسرعوا في تنفيذ خطتهم • وتحركت هي

لتؤدي دورها ببراعة • وساعدتها الظروف حين اصيب زوجها دارلي بالجدري • قالت له الملكة :

— ان بقاءك يا عزيزي في أدنبره سيعرض الطفل للعدوى • كما انـــه سيؤدي الى تفاقم مرضك •

ويسألها دارلي :

— والى اين اذهب يا عزيزتي ؟ • فتجيبه الملكة :

— ان لنا قصورا في كل مكان يازوجي الحبيب فأختر القصر الذي يروق لك • قال لها الزوج :

— ميري يا عزيزتي • انا لا أستطيع ان انكر حقك مهما فعلت • فقالت له :

— يا حبيب القلب انني زوجتك وحبيبتك هل نسيت ؟ • قال دارلي :

— لم انس ياميري ولكم كانت اياما سعيدة تلك التي قضيناهـا في اول زواجنا • كان ذلك في قصر هوليوود ولكنه لسوء الحظ مهجور • قالت له :

— اذا كنت ياعزيزي تريد ان تمرض في قصر هوليوود فما أســـهل من هذا • في اسبوع واحد أعيده كما كان • ورغم ذلك فحدائقه كما هي غناء تصدح بها الطيور التي تحـب أنـت ألوانهـا • اتذكـر يا دارلي ؟ •

— أجل يا حبيبتي • لن أنسى ذلك ابدا يا عزيزتي •

— حسنا • بعد اسبوع ستكون في قصر هوليوود •

— بشرط واحد يا حبيبتي • قالت له ميري :

— أعرف شرطك • هه ! • أن اكون معك • لاتخف • سأزورك ثلاث مرات في الاسبوع وسأبقى معك في كل مرة يوما كاملا • ما رأيك ؟•



بقدر ماكان دارلي يريد ان يفتح صفحة جديدة مع زوجته الملكة ميري •• بقدر ما احكمت هي خطتها لقتله • شركاؤها في الجريمة ثلاثة من اللوردات هم بودويل ودالدريش وبوري • كانوا على اتصال دائم بها لتوقي خطر أي بادرة من ناحية الاسقف نوكس واعوانه • وانتقل دارلي الى قصر هولي‌وود (شبه المهجور) بعد ان أعدته ميري لاستقباله على عجل •

جعلت غرفة نوم الملك في الطابق الارضي • قالت له :

— ستكون ياعزيزي قريبا من الحديقة التي تحبها • تستطيع اذا كان الجو صحوا ان تخرج اليها • ولكن • بحق السماء • لاتعرض نفسك لخطر الرطوبة في الامسيات •

وأجابها الزوج باسما :

— لكم أنت عطوفة يا حبيبتي • ستبقين معي اليوم أليس كذلك ؟ •
واجابته الزوجة :

— أجل ياحبيبي • اليوم و •• الليلة ايضا •

★ ★ ★

في تلك الليلة ••

كتبت الملكة الى اللورد بودويل رسالة قالت فيها :

— آه ! • أشعر بسعادة طاغية وأنا اكتب اليك • بينما الاخرون بالقصر يغطون في نومهم • ياليتني معك ياحبيب القلب لتشهد كيف يسير كل شيء حسب اتفاقنا • هه ! • زوجي بين يدي الان كالعجينة أشكله كيف اشاء وهو يأمل في نهم كل مايشبع به خياله المريض من كلمات الحب والعطف • لقد بدأت أشعر بالشفقة عليه • لاتخف ياعزيزي

اللورد فلن اتراجع وسأبذل كل ما في وسعي لنتم ما بدأناه بنجاح •

وسأضحي بكل شيء • كن مخلصا يا عزيزي ••• ميري •

وكان هذا الخطاب ••

هو الوثيقة الدامغة التي أودت بها بلطة الجلاد بعد تسعة عشر عاما !•

أنكرته يومها وطعنت بالتزوير • وصدق الكثيرون يومها ان الخطاب مزور • ولكن • ظلت الحقيقة التي وقعت عام ١٥٦٧ قائمة تشير اليها أصابع تقطر دما • قالوا : ميري ستيوارت •• هي التي أمرت بقتل زوجها دارلي ! •

★ ★ ★

قضت ميري تلك الليلة ••

مع زوجها تسقيه من كأس حبها الكاذب غير آبهة بما قد تتعرض له من خطر العدوى • قالت له وهي تهم بمغادرة القصر :

— يا حبيبي • سأعود الى ادنبره • فقال لها الزوج :

— سأنتظر زيارتك القادمة على احر من الجمر ياحبيبتـــي • وردت الملكة عليه :

— اعتن بنفسك ياحبيبي • لاتخرج الى الحديقة الا في الامســيات • احذر الرطوبة وابق معك خادمك الخاص يلبي كل طلباتك • كما ان بقية خدم القصر رهن اشارتك • وسألها الزوج •

— متى ستغادرين أدنبره ؟ • فقالت له :

— اليوم هو السبت وموعدنا الثلاثاء عند الظهر • يا الهي • أيلزم أن أعود وأدع زوجي العزيز وحده ؟ • ولكنها مهام الملك ياحبيبي •

فقال لها الزوج :

— عودي الى ادنبره ياحبيبة القلب وسأنتظرك بكل الاشواق ..
وغادرت ميري قصر هوليوود في الصباح .

ولكن اصحابها المتآمرين بقوا في المبنى الثاني من القصر . وجلس دارلي يكتب الى أبيه :

— ابعث اليك هذه الرسالة يا ابتي مع احد خاصتي لاطمئنك ليس على صحتي فحسب . بل على عودة العلاقات الحميمة التي بيني وبين زوجتي المحبوبة الملكة . فلقد قضت معي هنا في هوليوود يومين من اجمل أيام حياتي . سأعود الى ادنبرة فور شفائي . ولقد وعدتني الملكة المحبوبة بكل مايصبو اليه قلبي من مجد ورفعة . فأطمئن من من هذه الناحية . مع حبي .. ولدك دارلي .

* * *

عند الظهر ..

جاء الى القصر الكبير ، رجلان على عربة كبيرة . وتصدى لهما البواب . وسألهما : ماذا تريدان ؟ . فأجاباه :

— أ .. عجبا لك ! . أ .. اننا نريد مقابلة اللورد بودويل . أ .. قالوا لنا ان هذه البراميل تخصه وارسلونا بها الى هذا المكان .

وسألهما البواب :

— وما في هذه البراميل . فرد عليه احدهما :

— أ .. أجود انواع النبيذ لجلالة الملك والحاشية . قال البواب :

— حسنا . ادخلا ولاتثيرا ضجة . فجلالة الملك في الحديقة الجنوبية

ولا يريد ان يضايقه أحد •

— أ •• قالوا لنا ان نضع البراميل في المبنى الاول •

— حسنا • حسنا • أ •• اتجها بالعربة من هذا الطريق • واذا سألكما جلالة الملك فقولا له ماقلتماه لي بالذات •

— أ •• شكرا أيها الرجل الطيب •

★ ★ ★

ودخل الرجلان بالعربة •

ومرا بها المشى حيث يجلس دارلي بالقرب منه • وسألهما :

— أ •• ما هذه البراميل ؟ • فقالا له :

— نبيذ يا صاحب الجلالة ارسله اللورد بودويل لجلالتكم • فرد عليهما الملك باسما :

— ما أرق قلب اللورد بودويل • فقال له الرجلان :

— سنضع البراميل في المبنى الاسفل ياصاحب الجلالـة • فأجابهما الملك :

— لا بأس • ضعوها في القبو • رائع •• رائع • حتى يمكن لخادمي ان يأتيني به كلما اردت • القوه تحت جناحي تماما •

ولم يكن بالبراميل •• غير أخطر أنواع البارود ! •

وتسلل أحد المتآمرين الى غرفة بودويل وقال له :

— المفاتيح يا صاحب الفخامة كي نشعل الفتيل • وسألهما اللورد :

— ولماذا تشعلون الفتيل قبل ساعتين • فرد عليه المتآمر :

— لنكون خلالهما قد بلغنا أدنبره على الجياد وعلى هذا كان الاتفاق يا صاحب الفخامة •

واستجاب اللورد بودويل لطلبهما واعطاهما المفاتيح وقال لهما :

— اليكما المفاتيح ولكن حذارى من أن يسمعكم خادم الملك • لا أريده ان يراكم • وأجابه احدهما :

— ليذهب خادم الملك مع سيده الى الجحيم فور انفجار البارود ياصاحب الفخامة •

★ ★ ★

عند منتصف الليل تقريبا ••

تحرك المتآمرون باشعال فتيل البارود • وتحركت المفاتيح في الاقفال فكان لها صهير في هدأة الليل •• صاح الملك بخادمه :

— وليم ! • انظر ماذا هناك ؟ • بعضهم يفتح الابواب • لماذا في مثل هذا الوقت ؟• وجاء وليم الى سيده يولول :

— مولاي ! •• مولاي ! • اسرع ! •• اسرع ! • انهم في الغرفة السفلى • البراميل ! •• البراميل مليئة يامولاي بالبارود • وصاح الملك :

— يا الهي ! • اذن فهناك خطة لنسف المبنى ؟ • يا لها من جهنمية هذه الزوجة الخادعة • اسرع ياوليم لنغادر القصر عن طريق الحديقة • و •• أشعل المتآمرون الفتيل ! •

وحين رأوا الملك يجري في الحديقة بثياب النوم • أدركوا ان الصيد سيفوتهم • وصاح احدهم :

— لا تدعه يغادر الحديقة •• عاجله بخنجرك • فصاح الملك متوسلا :

— الرحمة .. الرحمة بحق السماء .. الرحمة . فرد عليه المتآمرون :
— لا رحمة مع أفاق مثلك أيها الافاق اللعين . فسألهم الملك :
— بأمر من تقتلونني ؟ . الرحمة .. انني الملك ! . فأجابوه :
— اننا لا نعرف غير الملكة ميري . خذها في صدرك ! . وصاح الملك :
آخ ! . وسقط على الارض يتلوى ! .
وهرع المتآمرون الى الباب فرارا من الانفجار المرتقب . بينما أسرع الخادم المخلص لنجدة سيده المحتضر .
لم تمر دقائق حتى دوى انفجار مروع . وتهدم قصر هوليوود على من تبقى من كان بداخله . ودفن دارلي وخادمه تحت الانقاض .
وجاء أحد المتآمرين الى بودويل يطرق بابه وقال له :
— ياصاحب الفخامة . لقد قتل زوج الملكة . ويسأله بودويل :
— حقا ؟ . ان هـذه مأساة . من دبر هذه الجريمـة ياترى ؟ . آه يا الهي . لشد ما ستحزن الملكة ! . وأدار وجهه عن الرسـول وابتسم في خبث ! .

★ ★ ★

تلك ..

هي الجريمة المروعة التي ارتكبتها ميري ستيوارت ملكة سكوتلاندا الدموية التي ظنت انها نجت تماما من عواقب جريمتها .

ولكن الله يمهل ولا يهمل . أمهلها تسعة عشر عاما ثم .. قادتها جريمتها الى .. بلطة الجلاد .

مصرع الملكة ميري ستيوارت

من المآسي التاريخية التي تحرك القلب حقا .. مصرع ميري ستيوارت ملكة اسكوتلاندا .. بل هي ملكة على ثلاثة عروش في فترة من فترات حياتها . أسكوتلاندا وانكلترا وفرنسا .



لم ندخل اليوم في الدوامة السريعة الدوران للاحداث التي عاشت ستيوارت في مركزها الصاخب . ولكنا نقابلها في ساعة من أحلك ساعات حياتها .. يوم الثاني عشر من أغسطس عام ١٥٨٦ للميلاد .

انها في سجن (فودريكيه) تنتظر حكم المحكمة البرلمانية التي شكلتها أبنة خالتها اليزابيث ملكة بريطانيا . والتهمة .. الخيانة العظمى .

لكن ميري ترد التهمة عن نفسها في سخرية وتقول :

— لا خيانة ولا شبه خيانة . المسألة ببساطة ، انني كاثوليكية وأريد ان اعيد العقيدة البابوية الى انكلترا وسكوتلاندا ، واليزابيث انجيليكية . وجاء بالحكم رجلان . لورد بيرهارد ورجل اخر يحاول ان يخفي وجهه .

— من هذا الذي معك يا لورد ؟ .

ـــ جلاد لندن ياسيدي •

ـــ ماذا ؟ • الاعدام اذن يا لورد ؟ •

ـــ اجل • والتنفيذ بعد ثلاثة ايام الخامس عشر من هذا الشهر ! •

★ ★ ★

ودخل اللورد بيرهارد على الملكة ميري ستيوارت •• دخل غرفتها في السجن وقال لها :

ـــ معذرة ياسيدتي •••

فردت عليه الملكة :

ـــ ما عليك يالورد • أعرف انك مندوب المحكمة البرلمانية • وجهك الرقيق ينبيء بالحكم ••• الاعدام • أليس كذلك ؟ •

ـــ اجل ياسيدتي • قالت له الملكة :

ـــ في هذه الحالة يالورد • أطلب الاستعانة بقس كاثوليكي لتلقي اعترافاتي • فقال لها :

ـــ آسف ياسيدتي • لم توافق المحكمة الا على الاستعانة بقس انجليكاني •

ـــ حتى هذا الطلب يا لورد ترفضه البزابيث ؟ • أذكر حين كنا صغارا كانت تقول لي : يا أبنة الخالة ، بودي لو اكون كاثوليكية مثلك ولكن ابي يزجرني بشدة اذا تكلمت في هذا الموضوع • حسنا • حسنا يالورد لا أريد القس الانجليكاني ولكن • لا أحسب ان الملكة تمانع في ان أكتب رسالة الى قداسة البابا في روما •

ـــ سأسألها في هذا يا سيدتي • قالت ميري :

— سأعد الرسالة على أي حال . اذا لم تصل الى قداسته .. فستصل حتما الى آذانه .

★ ● ★

لا تنكر يا أخي القاريء ..

أننا أشفقنا على هذا الجمال أن يضيع هباء بضربة من بلطة الجلاد . أسرعنا الى قصر الملكة اليزابيث على أمل ان نثير شفقتها وحبها القديم لابنة الخالة ميري ستيوارت . لكن اليزابيث رفضت وأصرت على تنفيذ الحكم وقالت :

— لا مفر من موتها ياسيدي لسوء الحظ . لقد أبقيت عليها في السجن عشرين عاما ولم يكن في الحقيقة سجنا . كانت تعيش في قصر تحت الحراسة . هذا كل ما في الامر . لم يكن ينقصها الا الخروج من باب القصر .

— فما الذي جعلك فجأة تقررين محاكمتها بتهمة الخيانة ياصاحبة الجلالة ؟ .

— كنت قد حصلت منها على وعد وقسم بأن لاتحاول التآمر على العرش او تحريض أية دولة كاثوليكية على الكنيسة الانجليكية . ولكنها لم تف بوعدها . وصار ذلك القصر الذي وهبته اياها ، مرتعا لكل المتآمرين من عملاء البابا وعملاء فرنسا . كان مجرد وجودها على قيد الحياة ، اخطر تهديد لعرشي وللعقيدة الانجليكية أيضا . أتعرف ؟ طالما تمنيت ان تموت فجأة دون تدخل من جانبي . بل طالما تمنيت ان يغتالها أحد رجالي فلا أضطر الى محاكمتها وقطع رقبتها .

ـــ اذن • فلماذا لم ينفذ رغبتك تلك أحد رجالك ياصاحبة الجلالة ؟ •

ـــ هه ! • لا أنكر ان ثلاثة على الاقل حاولوا ذلك وفشلوا لسوء الحظ الواحد بعد الاخر •

ـــ ما قولك يا صاحبة الجلالة في الشائعة التي تزعم ان الغيرة النسائية وراء هذا التعطش الى دم أبنة خالتك ؟ • انها جميلة رائعة ذات جاذبية خاصة اشتهرت بها وانت (معذرة) أعني ••• قالت :

ـــ لا تعليق ! • تفضل بمغادرة القصر والا قطعت رقبتك مع رقبة ميري ! •

★ ★ ★

وخرجنا •

لاخوفا من قطع الرقبة طبعا •• ولكن لنكون قرب ميري الجميلة في الايام الثلاثة الباقية لها من الحياة •

قابلنا مدير السجن اللورد فرانسيس ولنكهام • رأينا الدموع في عينيه • سألناه :

ـــ هل اتخذتم اجراءات التنفيذ قبل الموعد المحدد في الحكم ؟ • أجاب :

ـــ لا ياسيدي • ولكنني كنت مع الملكة ميري ستيوارت وتوسلت اليها ان تكتب التماسا الى جلالة الملكة اليزابيث لتخفيف الحكم • أنا الذي كتبته لها ياسيدي وحاولت جهدي ان اثير عطف الملكة اليزابيث على ابنة خالتها • قلت :

ـــ لا اعتقد يا لورد بعد ما سمعت الملكة اليزابيث أنها ستوافق • اجاب :

ـــ العجيب انها وافقت ياسيدي • وسألته :



اليزابيت الاولى ملكة بريطانيا
اقرت حكم الاعدام الصادر على ابنة خالتها الملكة
ميري ستيوارت ملكة سكوتلاندا

ـ حقا ؟ • اذن فلن تعدم ميري ستيوارت ؟ • قال مدير السجن :

ـ الملكة اليزابيث وافقت ولكن على شرط • قلنا :

ـ اي شرط ؟ • قال :

ـ أن يعرض الالتماس على البرلمان • أعطته الملكة للورد كنت ليعرضه على المحكمة البرلمانية ليحصل على موافقة اجماعية من اعضاء المجلس • النهاية معروفة ياسيدي • فأعدى اعداء ميري هو اللورد كنت • وقد حرض كل من أبدى اللين والرحمة • والشخص الوحيد الذي أبدى شجاعة منقطعة النظير هو اللورد بيركلي • فقد وافق على تخفيف الحكم • فطلب كنت تأجيل الجلسة ولساعتين لغرض الاستراحة •

ـ و •• قتلوا بيركلي في خلال هاتين الساعتين يالورد ؟ •

ـ لا • اقترب منه اللورد كنت خلال فترة الراحة وهمس في صوت واضح :

ـ علمت هذه اللحظة يا لورد بيركلي انه وقع اعتداء على ولدك • حمدا لله انه سليم معافا هذه المرة • وسلم اللورد كنت الرسالة الى الاب المسكين فانصرف الاب الى بيته خوفا على ولده • وهكذا حصل كنت على الموافقة الاجماعية على عدم تخفيف الحكم • وجاءني لاعلم به ميري ستيوارت • قلت :

ـ مسكينة ! • قال :

ـ لا • لاتقل هذا أيها الزميل • انها في منتهى الشجاعة وتعرف تماما ان اليزابيث لن تستريح الا اذا أخرجتها الى الابد من حلبة الصراع على التاج •

ـ وكيف ستواجهها يا لورد ؟ •

ـ لا مفر من ذلك • هذا أفضل ألف مرة من دخول اللورد كنت على

ميري معي • انه يبغضها أشد البغض • قلنا :

— لماذا يالورد ؟ • اجاب قائلا :

— حاول كنت مرة ان يتقرب اليها على امل ان تتخذه صاحبا • ولكن ميري كما تعلم تحسن اختيار عشاقها • كيف بالله تريد لهذه الساحرة الجميلة الانيقة ، ان تعشق جلفا قبيحا سيىء المنظر اللورد كنت ؟ • ردته الملكة ردا عنيفا حتى حين ارسل اليها في السجن يعرض خدماته لتهريبها ثمنا لزواجها منه والجلوس على العرش بجانبها اذا استردت عرشها •

— كانت فرصة اذن يالورد ؟ • وأي ضير في ان يجد أصحابها صاحبا ؟ •

— أنت لاتعرف ياسيدي ميري ستيوارت اذن ؟ • انها تختار عشاقها بنفس الذوق الممتاز الذي تختاره به ثيابها •

★ ★ ★

وأصر اللورد كنت امعانا في التشفي من المرأة التي رفضت حبه ، ان يدخل مع مدير السجن يعلمها برفض الالتماس • سألناه :

— للتشفي فقط يالورد • أم زلفى للملكة اليزابيث ؟ • اجاب :

— للامرين معا ياسيدي • هل نسيت ان اليزابيث تبحث عن عشيق جديد بعد ان أقصت عن حياتها حبيبها القديم سير وولتر رالف ؟ • لعل وقوعها بالزواج بي أيضا من يدري ؟ •

— ماذا ؟ • تستبدل المرأة الصلعاء بأجمل امرأة في اوروبا ؟ • اليزابيث مكان ميري ؟ • قال :

— (بيني وبينك) • لو ان ميري استجابت لحبي ، لحاربت مع اليزابيث

الى اخر الزمان • ولكنها ردتني في اباء • حسنا • دعها اذن تلقـــي مصيرها دون عون من احد •

★ ★ ★

ودخل اللورد بيركلي مدير السجن على الحسناء التي تستعد للموت • قال للملكة ميري :

ـــ يؤسفني ياسيدتي أن اخبركم بأن •••

فقاطعه اللورد كنت وقال :

ـــ لا أسف هناك • دعني أنا أقرأ عليها قرار البرلمان يالورد بيركلي •

لكن ميري ردت على اللورد كنت بعنف وقالت له :

ـــ لا داعي لهذا يالورد كنت • انني أعرف •• أعرف ! •

أخذ اللورد كنت يقرأ عليها قرار البرلمان • قال :

ـــ من اجل سلامة الملكة والدولة والعقيدة الحقة • يرفض البرلمـان تخفيف الحكم بالاعدام الصادر على ميري ستيوارت مغتصبة عرش اسكتلندا ! •

وصاحت ميري في وجهه :

ـــ لا ! • لست مغتصبة ! • انني الملكة الشرعية يا لورد كنت • وأنت أول من يعرف ذلك • ولكن ما الفائدة الان ؟ • انني لست آسفة على أي حال أيها السادة • بل اني أشكر الله ان جعل حياتي فداء للعقيدة الكاثوليكية •

وصاح بها لورد كنت :

ـــ كفي عن هذا أيتها السيدة ؟ •

لكن ميري لم تسكت • والتفتت الى اللورد فرانكلين وقالت له :

ـــ لست أريد يالورد الا •••



اجراءات تنفيذ حكم الاعدام على الملكة
ميري ستيوارت
ارادت ان تخرج على الذين يشهدون اعدامها في ابهى منظر !

وهنا حاول اللورد اسكاتها وأن توجه اليه الحديث وحده •
فأستشاطت ميري غضبا وقالت له :

ـــ انك لاتستحق هذا الثناء • ثم التفتت الى اللورد فرانكلين وقالت له :

ـــ انني لا اريد ياسير فرانكلين سوى امرين • أن أستعين في لحظاتي الاخيرة بقس كاثوليكي وان تعطوني نسخة من الكتاب المقدس بدلا من كتاب الصلوات الانجليكية •

وصاح بها اللورد كنت :

ـــ الا تكفين عن اهانة عقيدتنا أيتها السيدة ؟ • لا ! • لن نحقق لك واحدة من الرغبتين • ليذهب جسدك وروحك معا الى الجحيم ! •

والتفت اليه اللورد فرانكلين وقال له :

ـــ اني أعترض على هذا يالودر كنت • هل نسيت انها ابنة خالة صاحبة الجلالة الملكة ؟ • ثم تقدمت ميري ستيوارت الى اللورد فرانكلين وسألته :

ـــ متى التنفيذ يالورد ؟ • وأجاب اللورد :

ـــ غدا صباحا في الثامنة ياسيدتي • قالت ميري :

ـــ شكرا • دعوني من فضلكم فأنني في حاجة الى الخلوة مع خالقي •

* * *

وتركاها لوصيفاتها اللاتي كن يبكين بحرقة • قالت لهن ميري :

ـــ لم البكاء ياحبيباتي ؟ • بل يجب أن تفرحن لخلاص جسدي من العذاب • أما روحي فما يستطيع أحد أن يمسها بشر • اني أغفر لكل واحدة منكن لا يمكن أن تكون قد ارتكبت في حقي ذنبا •

وركعت ميري تصلي ساعات ثم قامت الى فراشها • نامت بعمق وأفاقت

كعادتها نشطة مليئة بالحيوية • ثم التفتت الى احدى وصيفاتها وسألتها :

— انهم يعدون منصة الاعدام أليس كذلك ياحبيبتي ؟ • قالت الوصيفة :

— أجل يا صاحبة الجلالة • فقالت لها الملكة :

— لاتبكي ياحبيبتي • دعيني أستقبل الموت فيما بعد • اني أكلفك بمهمة خاصة يا حبيبتي • فور اعدامي ، سافري الى فرنسا • قولي لولدي من ملك فرنسا السابق ان لا يحاول الانتقام لمصرعي • لا أطلب منه الا ان يبقى على العقيدة الكاثوليكية ولا يحيد عنها حتى لو عرضوا عليه تاج بريطانيا •

— أجل ياصاحبة الجلالة •

— والان • هات هذا الصندوق قربيه مني • في ودي ان أوزع مالدي من أشياء على وصيفاتي وأحبائي • قربي •• قربي الصندوق يا جانيت •

★ ★ ★

ووزعت ما في الصندوق على خادماتها •

منهن من فازت بجوهرة أثرتها وأثرت ابناءها من بعدها • ومنهن من رفضت جوهرة مماثلة لتحصل بدلا عنها على خصلة من شعر الملكة المحبوبة •

صاحت ميري بوصيفتها جانيت :

— والان ياجانيت • زينيني • اريد أن اخرج على الذين يشهدون اعدامي في أبهى منظر • هات أجمل ثيابي وقصي شعري على

★ ★ ★

الطريقة التي تناسب سقوط البلطة على عنقي • معذرة ياجانيت • لم أقل هذا لاحزنك • صدقيني فلست أخاف الموت •

ابدت ميري ستيوارت شجاعة منقطعة النظير وهي تصعد سلم منصة الاعدام وتنحني لتضع رأسها على المصرع • وقال الجلاد :

— اغفـري لي ياسيدتي • فأجابته ميري :

— من كل قلبي • ولكن ارجوك ان تكون سريعا معي وحازما •

★ ★ ★

ولكن الجلاد في رعشة الانفعال •• لم يكن سريعا ولا حازما •

احتاج الامر الى ثلاث ضربات على العنق الجميل لتذهب ميـــري ستيوارت الى خالقها ! •

وكان ذلك يا أخي القاري في الخامس عشر من شهر آب من عـام ١٥٨٦ للميلاد •